بسم الله الرحمن الرحيم

خلافة المقتدر بالله (٢٩٥هـ-٣٢٠هـ)

دراسة في النواحي السياسية والإدارية

إعداد الطالبة

منى لطفي ذياب ذياب

إشراف الأستاذ الدكتور

عبد العزيز الدوري

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في

التاريخ

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

ب

آب / ٢٠٠٣

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ ٢٠٠٣/٨/١٣م .

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
الأستاذ الدكتور، عبد العزيز الدوري،	(مشرفاً)	....
الدكتور تقي الدين الدوري،	(عضواً)	....
الأستاذ الدكتور صالح درادكة،	(عضواً)	....
الدكتورة غيداء خزنة كاتبي،	(عضواً)	....

الإهـــداء

إلى من ترك في الروح غربة وشـوقاً
إلى أعز إنسـان...

أبـي

عند أكرم جوار

إلى الأرق قلباً والأكثر تفانياً
إلى نور قلبي ...

أمـي

أهدي هذا الجهد المتواضع
حبــاً ... وعرفانــاً

الشـكر والتقديــر

إلى أسـتاذي الدكتـور عبـدالعزيـز الـدوري :

لك من الشـكر جزيلُـهُ ، وشـعورٌ من الإمتنان يظل حادياً في نفسـي ، وباقـات من الود الخالص تتقدم خجلى إلى شـخصكـمُ الكريـم علَّها تساوق ما أوليتـم هذه الرسـالة من عنايـة ورعايـة ، وعلى ما شـرفـتموني به من إشـراف علـيها ، فكانت توجيهاتكمُ السـديدة مقيلةً لعثراتي ، ومصوبةً لهفواتي .

إلى الأسـاتذة الأفاضل الذين تفضلوا وتكرموا عليَّ بقبول مناقشـة الرسـالة وإغنائها بآرائهمُ السـديـدة وتوجيهاتهمُ الكريمـــة .

و إلى شـقيقتي "حنـان"، وصديقــاتي "هنــى" ،"ابتـسـام"، "رحــاب" ،و"منــال"، اللاتــي غمرننــي بفـيض مــن مـشـاعر نبيلـةٍ لا تنسـى .

فلكم مني جميعاً عميــق الشـكر وعظيــم الإمتنــان ، والشــكر لا يحيط بفضل هؤلاء الكــرام .

منــى

ثبت المحتويات

الموضوع	الصفحة
قرار لجنة المناقشة	ب
الإهـــداء	ج
الشكر والتقدير	د
ثبت المحـــتويات	هـــ
الرمـــوز والمختصرات	ز
الملـــخص باللغة العربية	ح-ط
المـــقدمة	**١-٢**
الفصل الأول: الأوضاع العامة للدولة العباسية	
قبل تولي المقتدر بالله الخلافة	٣-٥٨
-الأوضاع السياسية	٤-٣٦
-الأوضاع الماليـــة	٣٦-٤٣
-الأوضاع الإدارية	٤٣-٥٨
الفصل الثاني : سيرة الخليفة المقتدر بالله	**٥٩-١٤٩**
-نشأة المقتدر وشخصيته	٦٠-٧١
-إختيار المقتدر للخلافـــــــة	٧١-٨٦

- سياسة المقتدر والقوى المؤثرة في عهده ١٢٢-٨٦

- الأوضاع السياسية ١٤٩-١٢٢

الفصل الثالث : الـــوزارة ٢٠١-١٥٠

-إختيار الوزراء ومؤهلاتهم ١٦٦-١٥١

-مسؤوليات الـــوزير ١٩٦-١٦٦

-تراجع الـــوزارة ٢٠١-١٩٦

الفصل الرابع : الدواويـــن ٢٣٨-٢٠٢

الخلاصة ٢٤٠-٢٣٩

المصادر والمراجع ٢٦١-٢٤١

الملخص باللغة الإنجليزية ٢٦٣-٢٦٢

الرموز والمختصرات

يشار إلى اسم المؤلف أو اسم شهرته، ثم يذكر اسم الكتاب، ثم الجزء –إن وُجد– ثم الصفحة.

مثال: مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٠١.

في حال ورود الكتاب مرتين متتاليتين استعمل الرمز (ن.م.) للإشارة إلى المصدر نفسه أو المرجع نفسه.

مثال: الصولي، أخبار المقتدر، ص٢٧.

ن.م.، ص٣٠.

ترمز الحروف التالية إلى ما يقابلها أينما وردت في الرسالة .

ت: تاريخ الوفاة.

تح: تحقيق

ج: جزء

د.ت: دون تاريخ نشر

د.ن: دون دار نشر

د.م: دون مكان نشر

ص: صفحة

ط: طبعة

ق: قسم

م: ميلادية

مج: مجلد

هـ: هجرية

E.I.: Encyclopedia Of Islam.

Ed.: Edition

P: page

Vol.: Volume.

الملخص

خلافة المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٨-٩٣٢م)

دراسة في النواحي السياسية والإدارية

إعداد

منى لطفي ذياب

المشرف

الأستاذ الدكتور عبدالعزيز الدوري

تبحث هذه الدراسة في خلافة المقتدر بالله من النواحي السياسية والإدارية، إذ تمثل مرحلةً مفصليةً في تاريخ الخلافة العباسية، انخرقت فيها هيبة الخلافة، وطمع بها المتغلبة، وقد أسهمت الظروف السياسية في تصديع كيان الدولة وانحلال مؤسساتها المختلفة.

وقد مهدت للفترة بدراسة الأوضاع العامة للدولة العباسية قبيل تولي المقتدر الخلافة، حيث تمكنت الدولة العباسية من اجتياز الإضطرابات السياسية والأزمة المالية، وترسيخ هيبتها، وتأكيد سيطرتها على المؤسسة العسكرية، بالإضافة إلى انتعاش المؤسسة الإدارية.

وتناولت الدراسة الحديث حول شخصية المقتدر التي أثرت فيها عوامل متعددة أدت إلى اتصافها باللين والضعف والبعد عن الحزم. وأدى اختياره للحكم في سن صغيرة إلى ظهور القوى المختلفة من جديد فتركت آثارها واضحة على سياسته مما أدى مع الزمن إلى صراع على السلطة بين مختلف مؤسسات الدولة، انتهى بمقتل الخليفة وإضعاف الدولة ولعبت الإضطرابات السياسية دوراً كبيراً في ذلك، وأدت إلى أعمال شغب في بغداد.

ثم تطرقت الدراسة للحديث عن الوزارة زمن المقتدر والتي شهدت ظهور وزراء كبار ذوي كفاءة ومقدرة. ومارس الوزراء صلاحيات مدنية وعسكرية، ورغم قوة الوزارة إلا أنهـــا شهدت تراجعاً –لعوامل متعددة– أدى إلى إضعاف تأثيرها على الدولـــة، واســـتهانة المؤســـسة العسكرية بها.

وأخيراً تناولت الدراسة الحديث عن الدواوين ومن خلالها يشرف الوزير على شؤون الدولة. وقد وجدت في العاصمة على نوعين دائمة ومؤقتة.

المقدمة:

يمثل عصر المقتدر بالله فترةً خطيرةً في انتكاس الخلافة العباسية باتجاه سيطرة الجيش، وتدهور الوزارة، وتراجع المؤسسات. وتوجد دراسات جادة تتصل بالفترة مثل دراسة بووين عن عصر علي بن عيسى الوزير الصالح وهي دراسة سياسية شاملة.

ودراسة الدوري عن التاريخ الاقتصادي وغيرها. إلا أنه لا توجد دراسة شاملة لهذا العصر تتناول الجوانب المختلفة مع أهمية ذلك لأن تشابك المؤثرات والتطورات يتطلب ذلك.

وبعد ذلك فهناك مصادر جديدة نشرت بعد تلك الدراسات مثل الجزء الخاص بالمقتدر من كتاب الأوراق للصولي، وديوان ابن المعتز، والتكملة للهمداني، إضافةً إلى نشوار المحاضرة للتنوخي، وفي هذه المصادر الجديد والمفيد.

وقد أفادت الباحثة من الدراسات الحديثة التي لها صلة بالموضوع ولكن الأساس هو العودة إلى المصادر الأولية وهي واسعة ومتنوعة بين التاريخ والأدب والجغرافية فرضت على الباحثة عبئاً كبيراً أشعرها بصعوبة الموضوع.

ومن هنا حاولت الدراسة إلقاء الضوء على هذه الفترة ، ومحاولة فهمها بصورةٍ معمقةٍ ومتكاملةٍ.

وقد اشتملت الدراسة على مقدمة وأربعة فصول وخلاصة بالنتائج:

تناول الفصل الأول الأوضاع العامة في الخلافة العباسية قبل تولي المقتدر الخلافة وهي فترة بدأت باضطراباتٍ سياسيةٍ، وتضعضعٍ للوضع الأمني والمالي فيها، إلا أن الخلافة تمكنت

من اجتياز هذه الأزمات منذ خلافة المعتمد بفضل سياسة أخيه الموفق الحكيمة، وشخصيته القوية. وأكمل المعتضد والمكتفي ما بدأه وحققا للدولة بعضاً من قوتها السياسية.

وعني الفصل الثاني بحياة المقتدر دراسةً وتحليلاً ابتداءً من شخصية المقتدر ونشأته الأولى، واختياره للخلافة بظروف غير طبيعية وهو لا يملك المؤهلات الكافية لهذا المنصب الخطير، ثم تعرضه في بداية حياته لمؤامرة للإطاحة به بدعوى عدم شرعية خلافته لصغر سنه، وتثبيت حكمه بقوة الجيش لا بد أنها تركت آثارها على شخصيته ونفسيته، فخضع في كثيرٍ من قراراته وتوجهاته لمؤثرات وضغوطات متعددة أبرزها الجيش الذي أكد وجوده منذ بداية خلافة المقتدر.

واهتم الفصل الثالث بالوزارة حيث برز فيها وزراء كبار امتازوا بكفاءتهم ومقدرتهم فأكدوا هيبة الوزارة وسلطتها. إلا أن الوزارة شهدت تراجعاً في أواخر خلافة المقتدر؛ بسبب شغب الجند مطالبين برواتبهم ومكافآتهم، والأزمة المالية التي أسهم فيها سوء إدارة بعض الوزراء، كما أدى تنافس الوزراء وتآمرهم على بعضهم لدرجة الإستعانة بالجيش إلى تضاؤل الوزارة ومن ثم شلل إدارة الدولة.

وتناول الفصل الرابع الدواوين الخاضعة لإشراف الوزير، وتساعده في إدارة شؤون الدولة. وقد وجدت الدواوين في العاصمة على نوعين دائمة لها صفة الإستمرارية ومؤقتة نشأت لظروفٍ طارئة تزول بزوال أسباب نشأتها.

الفصل الأول

الأوضاع العامة للدولة العباسية

قبل تولي المقتدر بالله الخلافة

أولاً: الأوضاع السياسية

ثانياً: الأوضاع المالية

ثالثاً: الأوضاع الإدارية

أولاً: الأوضاع السياسية:

لقد تمكنت الدولة العباسية من اجتياز حالة الفوضى السياسية والعسكرية والإدارية التي عاشتها في فترة التسع سنوات (٢٤٧-٢٥٦هـ/٨٦١-٨٦٩م)، وأثبتت أنها لا تزال تنطوي على حيوية وقوة كامنة[١]، وقد بدأت فترة من الهدوء والإستقرار منذ أن تولى المعتمد على الله أحمد ابن جعفر المتوكل الخلافة في (١٦/رجب/٢٥٦هـ/٨٧٠م)[٢]. ولد المعتمد في سامراء سنة (٢٢٩ هـ/٨٤٣م) من أم ولد رومية، وهو أسمر، ليس بالطويل أو القصير جميل، خفيف اللحية، منهمك على اللهو والملذات[٣].

ولعل من الأسباب التي ساهمت في حالة الهدوء والاستقرار، ظهور الموفق طلحة ابن جعفر المتوكل أخو الخليفة المعتمد، والذي ولد سنة (٢٢٧هـ/٨٤١م)[٤]، وقيل في سنة (٢٢٩هـ/٨٤٣م)[٥]، والذي أصبح الحاكم الفعلي بيده الأمر والنهي، والتولية والعزل، وقيادة الجيوش ومحاربة الأعداء[٦]، وتلقب بالألقاب كالخلفاء يخطب له بها على المنابر بعد المعتمد[٧]. كما أثبت أنه شخصية سياسية يمتلك الحنكة، وحسن التدبير اللذين برزا في تعامله مع الأزمات، والفتن التي هزت أركان الدولة، إذ تمكن من توجيه طاقات الجيش لدرء هذه الأخطار

---

(١) أنظر، الدوري، دراسات، ص٢٩.

(٢) ابن قتيبة، المعارف، ص٣٩٤. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢ص٤٧٣. الطبري، تاريخ، ج٥ص٤٧٣. المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢١١. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٤ص٢٨٠. الذهبي، سير أعلام، ج١٠ص٣٦٨.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٤ص٢٨٠-٢٨١. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص١٠٣. الدواداري، كنز الدرر، ج٥ص٢٦٥. الكتبي، فوات، ج١ص٦٤-٦٥. القرماني، أخبار الدول، ج٢ص١٢٧.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٣٠٣.

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٢ص١٢٥. الذهبي، سير أعلام، ج١٠ج٥٤٤. ابن كثير، البداية، ج١١ص٦٣. ابن تغري بردي، مورد اللطافة، ج٢ص١٧٠.

(٦) ابن الطقطقي، الفخري، ص٢٤٥.

(٧) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٢ص١٢٥. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٣٠٣. ابن كثير، البداية، ج١١ص٦٣.

خاصةً في جنوب العراق بدل التناحر والتنافس الداخلي. وربما ساهمت هذه الأزمات في الحد من عبث وتدخلات الجيش في الدولة، خاصة وأنه فشل في البداية في مواجهة التحديات. هذا إلى الجد والحزم اللذين أبداهما الموفق في قيادة الجيوش، والإنتصارات التي تحققت على يديه. مما أدى إلى وقوف الجيش عند حدود عمله وصلاحياته، وبدأت هيمنة الخلافة بالبروز من جديد بفضل جهود الموفق. ويضيف بوون أن اختيار المعتمد تم بناءً على رأي موسى بن بغا أعظم قادة الترك قوةً وسلطةً، ولما كان الخليفة صنيعته لم يعد هنالك مبرر للصراع في البلاط[١]، وهو بدوره لم يعترض على سياسة الموفق بل خدمه بإخلاص وولاء[٢].

كما ساهمت جهود بعض الخلفاء في فترة التسع سنوات في التمهيد لهذا الاستقرار، إذ حاولوا التخلص من سيطرة الأتراك خاصةً من الناحية السياسية، فالمنتصر بالله (٢٤٧-٢٤٨هـ/٨٦١-٨٦٢م) تململ من سيطرتهم وقتلهم الخلفاء مما دفعهم للتخلص منه[٣]، وكرهوا اختيار أحد أولاد المتوكل للخلافة، فاختاروا أحمد بن محمد بن المعتصم، وتلقب بالمستعين بالله سنة (٢٤٨هـ/٨٦٢م)[٤]. كما حاول الخليفة المعتز بالله (٢٥٢-٢٥٤هـ/٨٦٧-٨٦٩م) التخلص من كبار القادة الأتراك من خلال ضرب عناصر الجيش بعضها ببعض[٥]، وهو الأسلوب الذي لجأ إليه المهتدي بالله (٢٥٤-٢٥٥هـ/٨٦٩-٨٧٠م) مع محاولته التقرب للعامة[٦]. لا بد أن مثل

---

(١) Bowen, Ali b. Isa, p, 5.

(٢) الدوري، دراسات، ص١٨٧.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٥ص٣٥١. المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص١٤٦. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص١٦. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص١٤٨. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٢٨٣.

(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢ص٤٥٨. الطبري، تاريخ، ج٥ص٣٥٣-٣٥٤. المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص١٥٦، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٦. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص١٤٩-١٥٠، ابن العبري، تاريخ الدول، ص١٤٦.

(٥) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢ص٤٦٩.الطبري، تاريخ، ٥ص٤٢٥.المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص١٩١.ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٧٣.

(٦) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢ص٤٦٩.الطبري، تاريخ، ج٥ص٤٦٩. المقدسي، البدء، ج٥ص١٢٣. المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص١٩٨. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٣-٤.

هذه المحاولات أنهكت من قوى الجيش.

لهذا شهدت الدولة بعضاً من الاستقرار والوئام بين مؤسساتها المختلفة، تمثلت بعهود ثلاثة من الخلفاء المعتمد (٢٥٦-٢٧٩هـ/٨٦١-٨٩٢م)، والمعتضد (٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٩٢-٩٠١م)، والمكتفي (٢٨٩-٢٩٥هـ/٩٠١-٩٠٧م).

كان أول خطر هز أركان الدولة واختبرت فيه مقدرتها، ظهور ثائر ادعى النسب العلوي يدعى علي بن محمد[١]، تمكن من أن يستميل إليه الزنج الذين كان يتم الحصول عليهم من سواحل إفريقيا الشرقية خاصةً الصومال وزنجبار[٢]. بالإضافة إلى أعدادٍ من جند السودان التابعين لجيوش الخلافة[٣] وبعض العرب[٤]. ولعل القليل من أصحاب الحرف في المدن انضموا إليه[٥]. وكان ظهوره في سواد البصرة في بقعةٍ تمتد فيها المستنقعات؛ جراء البثوق والفيضانات فيما عرف باسم البطائح. وكان الزنوج يستخدمون لكسح السباخ[٦] للإستفادة من الأملاح المتجمعة، وجعل الأرض قابلة للزراعة[٧]. ومنهم من كان يعمل باستخراج الدبس من التمر وهم الذين عرفوا بالتمارين أو الدباسين[٨]. وكان منهم في سواد البصرة عشرات الألوف، إذ بلغ عدد إحدى الجماعات العاملة على نهر دجيل الأهواز ١٥،٠٠٠[٩]، وضم صاحب الزنج إليه في

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٥ص٤٤١. المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢٠٧. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٨٥. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٢٠٦. النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص١٠٤.

(٢) الدوري، دراسات، ص٧٦. السامر، ثورة الزنج، ص٢٢.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٥ص٤٤٤. ابن الطقطقي، الفخري، ص٢٤٥.

(٤) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٥١.

(٥) الدوري، دراسات، ص٨٣.

(٦) الطبري، تاريخ، ج٥ص٤٤١. المقدسي، البدء، ج٥ص١٢٤. المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢٠٨. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٨٥. الدواداري، كنز الدرر، ج٥ص٢٦٦.

(٧) الدوري، دراسات، ص٧٦. علبي، ثورة الزنج، ص٧٨-٧٩.

(٨) علبي، ثورة الزنج، ص٧٩.

(٩) الطبري، تاريخ، ج٥ص٤٤٤.

يوم واحد ما تجاوز الألف، وبلغ جيشه ٣٠٠،٠٠٠[١]. ساعد هذا التكتل الواسع على بعث شعور عام بينهم بالمصلحة، والقيام ضد أسيادهم[٢].

كما أن ظروفهم المعيشية كانت بالغة الصعوبة، فقد كانت أقواتهم من الدقيق والسويق والتمر[٣]. والبطائح لم تكن بالمكان المناسب للعيش. إذ وصفها المقدسي بأنها شديدة الحر، كربة، بليذة، بق مهلك، وعيش ضيق[٤].

أخذ علي بن محمد صاحب الزنج بدعوة هذه الفئات وهم يقبلون إليه للتخلص من الرق والتعب حتى اجتمع منهم خلق كثير، فخطب فيهم وذكرهم ما هم عليه من سوء الحال وأن الله قد استنقذهم به من ذلك، وأنه يريد أن يرفع أقدارهم ويملكهم الأموال والعبيد والمنازل ويبلغ بهم أعلى الأمور[٥]. ثم بدأ ثورته في (٢٦/رمضان/٢٥٥هـ-٥/آب/ ٨٦٩م)[٦].

وقد سيطر صاحب الزنج في الفترة من (٢٥٥-٢٥٦هـ/٨٦٩-٨٧٠م) على مدن كبيرة الأهمية، كالأبلة وعبادان وجُبّى، وفرض سلطانه على مصب نهر دجلة، وعاث فساداً في منطقة البصرة[٧]. كما تغلب على جيوش الخلافة، وأنزل بها الخسائر الفادحة، حتى غلب على النعمانية والبصرة وأكثر كور الأهواز وما يلي أرجان من أرض فارس وواسط وجرجرايا من شواطيء

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٤٣.

(٢) الدوري، دراسات، ص٧٧.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٥ص٤٤٣. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٦.

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١١٩و١٢٥. وانظر الإصطخري، مسالك الممالك، ص٨١-٨٢.

(٥) الطبري، تاريخ، ج٥ص٤٤٤. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٨٧. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٦-١٧. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٢٠٨.

(٦) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٨٧. المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢٠٧. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٢١١. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣٠٢.

(٧) الطبري، تاريخ، ج٥ص٤٧٦. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص١٠٨. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٢٢٥. أبو الفداء، المختصر، ج١ص٣٦٦. النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص١١٥.

دجلة إلى الطفوف ونواحي الكوفة[١]. وبهذا يكون قد استولى على مقاطعات زراعيةٍ شاسعةٍ وأضر بها. وألحق خسائر فادحة بالتجارة القادمة إلى الخليج ثم إلى بغداد. وكلما أعاد العباسيون المواصلات قطعها الزنج. حتى أن السفن النهرية لم تستطع السير في شط العرب مدة عشر سنوات من سنة (٢٥٥-٢٦٥هـ/٨٦٩-٨٧٨م)[٢].

وبقيت جيوش الخلافة تتقهقر أمام ضربات الزنج حتى سنة (٢٦١هـ/٨٧٤م) عندما تولى الموفق قيادة الجيوش بنفسه[٣]. ويبدو أن الموفق استفاد من التجارب السابقة في محاربة الزنج مما جعله أكثر خبرة ممن تقدمه في حربهم[٤]. فأدرك الموفق ضرورة التأني والتروي فبنى المعسكرات، وأمن طرق المواصلات، ونجح في ضمان استمرار التموين[٥]. ثم اتخذ سياسة الحصار الاقتصادي على الزنج. فكان قطع الميرة والمؤن من أهم الأسباب التي مهدت للإنتصار عليهم[٦]. وبعد أن ضيق الموفق الحصار على الزنج نادى بالأمان بينهم، مما ساعد في نشر البلبلة والفرقة بين الزنج، كما أنه بهذه الطريقة استقطب إليه عدداً من قادة الزنج وذوي الرأي والتدبير[٧]، مما ساعده على التعرف على خفايا ومسالك عسكر صاحب الزنج[٨]. وفي سنة (٢٦٧هـ/٨٨٠م) أقام مدينة أسماها

---

(١) مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٤.

(٢) السامر، ثورة الزنج، ص٧٩.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٠٢. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص١٦٣. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٢٢.

(٤) الدوري، دراسات، ص٩٢.

(٥) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٣٥ و٥٣٧ و٥٣٩ و٥٤٣.

(٦) ن.م.، ج٥ص٥٥٣ -٥٥٦. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٣٢١. النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص١٧١-١٧٣. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣٢١-٣٢٢.

(٧) انظر مثلاً، الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٥١-٥٥٣ و٥٤٣ و٥٥٧ و٥٦١. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٥٠-٥١.

(٨) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٧٦.

بالموفقية أزاء المختارة مدينة صاحب الزنج لتكون مركزاً لعملياته، وشحنها بالتموين والسلاح(١).

وقد شارك أبو العباس (المعتضد بالله) ابن الموفق مشاركةً متميزةً وموفقةً في حرب الزنج ابتداءً من سنة (٢٦٦هـ/٨٧٩م). وتمكنت جيوش الخلافة بقيادة الموفق وابنه المعتضد من فتح المنيعة والمنصورة وهي مدن أنشأها بعض قادة الزنج سنة (٢٦٧هـ/٨٨٠م)(٢). ثم بدأ الموفق في حصار المختارة مدينة صاحب الزنج، وهي مدينة محصنة بالخنادق والأسوار حتى سقطت(٣). وفي (٢/صفر/٢٧٠-١١/آب/٨٨٣م) أصدر الموفق منشوراً أعلن فيه القضاء على ثورة الزنج، وطلب من أهل السواد والأهواز العودة إلى أراضيهم(٤).

إن ثورة الزنج تمثل أول صرخةٍ اجتماعيةٍ خطرةٍ في العصر العباسي الثاني ضد النظام الاجتماعي الاقتصادي السائد، كما أنها تكشف عن مدى فظاعة استغلال الرقيق بشكل يخالف مباديء الإسلام، ويمثل الجشع المادي المتطرف لأصحاب الأموال(٥).

وأثناء انشغال الموفق بحرب الزنج ظهر خطر جديد، تمثل بالصفاريين وعلى رأسهم يعقوب بن ليث الصفار الذي كان في بداية حياته يعمل في صفر النحاس، ثم التحق بمتطوعة سجستان لحرب الخوارج بقيادة صالح بن النضر الكناني، وعندما هلك هذا قام بأمر المتطوعة درهم بن الحسن الذي لم يستطع ضبط عسكره، فاجتمعوا على يعقوب بن الليث الصفار واستقل

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٥ص ٥٤٤.

(٢) ن.م.، ج٥ص٥٢٩-٥٣٣ و٥٣٦. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٢١١. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٤٠-٤٣.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٤١. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٤٨-٥٤. النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص١٥٢-١٥٧.

(٤) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٨٦-٥٨٧.

(٥) الدوري، دراسات، ص٢١.

بالأمر وعظم شأنه وحارب الخوارج حرباً لا هوادة فيها، وظفر بهم وخرب قراهم، فغلب على سجستان[١]. ويبدو أن يعقوب بن الليث الصفار حين توطد نفوذه في سجستان، وكثر عسكره خرج عن حد طلب الشراة، إذ استولى سنة (٢٥٣ هـ/٨٦٧م) على هراة وبوشنج[٢]، واستولى على كرمان سنة (٢٥٥هـ/٨٦٩ م)[٣]. وفي سنة (٢٥٧هـ/٨٧١م) سار يعقوب إلى فارس فأنكر عليه المعتمد ذلك، فكتب إليه الموفق بولاية بلخ وطخارستان وسجستان والسند[٤]، وبالفعل ضم تلك المناطق لسيطرته، ويبدو أن الموفق كان يهدف إلى إبعاد يعقوب بن الليث عن جواره[٥].

إلا أن أطماع يعقوب بن الليث الصفار لم تتوقف عند هذا الحد، فعندما لاحظ ضعف الطاهريين سار إلى نيسابور سنة (٢٥٩هـ/٨٧٢م) وأسر محمد بن الطاهر واستولى على خراسان[٦]، ومنها سار إلى طبرستان لكنه لم يقم فيها وتابع مسيره إلى الري[٧].

وتأزمت علاقة الخلافة بالصفاريين سنة (٢٦٠هـ/٨٧٤م) نتيجة سياستهم التوسعية وقوة نفوذ الطاهريين ببغداد من جهة[٨]، ومن جهةٍ أخرى وصل وفد من أهل جرجان إلى الخليفة

---

(١) الأصفهاني، تاريخ سني، ص١٧٠. المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢١٢. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص١٩٣. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣ص٤٠٠. النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص٣٧٣.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢١٣. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص١٩٣. النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص٣٧٤. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٢٩٣-٢٩٤.

(٣) الطبري، تاريخ،ج٥ص٤٢٧. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٢٣٢. النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص٣٧٤. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٢٩٤.

(٤) الطبري، تاريخ، ج٥ص٤٨٠.ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٢٣٢.النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص٣٧٨.

(٥) الدوري، دراسات، ص١١٤.

(٦) الطبري، تاريخ،ج٥ص٤٩٨. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٢٦. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٢٤٢. الذهبي، العبر، ج١ص٣٧٢.

(٧) الطبري، تاريخ، ج٥ص٤٩٩. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٢٤٦. النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص ٣٨٠. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣٠٩.

(٨) الدوري، دراسات، ص١١٤-١١٥.

المعتمد يشكون من ظلم وعسف يعقوب بن الليث الصفار[١]. فأصدر الخليفة منشوراً أعلن فيه أن يعقوب خارج على الخلافة وأن الخليفة لم يوله شيئاً[٢]، فقابل يعقوب هذا المنشور بالاستيلاء على فارس سنة (٢٦١هـ/٨٧٥م)[٣]. أمام هذا التأزم الواضح رأى الموفق ضرورة تهدئة الأوضاع فأعلن تولية يعقوب على خراسان وطبرستان وجرجان والري وفارس وشرطة بغداد وذلك سنة (٢٦٢هـ/٨٧٤م)[٤]. إلا أن يعقوب بن الليث الصفار قرر المسير إلى بغداد وطمع في الاستيلاء على الأهواز، فكان لا بد للموفق أن يواجه يعقوب بن الليث الصفار، ووقعت معركة بين الطرفين بدير العاقول في (رجب سنة ٢٦٢ هـ/٨٧٤م) ومني يعقوب بالفشل[٥]، وانسحب إلى جند يسابور حيث ثبت سلطانه في إيران فقط [٦]. وبعد ذلك بقليل توفي يعقوب ابن الليث الصفار سنة (٢٦٥هـ/٨٧٨م)[٧].

تحسنت الأوضاع قليلاً بتولي أخيه عمرو بن الليث الحكم، فأعلن الولاء والطاعة للخلافة. وكتب إليه الخليفة كتاب العهد على خراسان وفارس وأصبهان وكرمان وسجستان والسند[٨]. وقد عرف عمرو بالتدبير وحسن السياسة حتى قيل عنه: "ما أدرك في حسن السياسة

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣ص٤٠٥.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٠١. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٢٧. الدواداري، كنز الدرر، ج٥ص٢٧٥. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٢٥٩.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٠٢. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٣٠. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٢٦٠. النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص٣٨١. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣١١.

(٤) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٠٤. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٣١. الدواداري، كنز الدرر، ج٥ص٢٧٦. الذهبي، العبر، ج١ص٣٧٦.

(٥) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٠٤-٥٠٥. المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢١٣. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص١٧٣.

(٦) الدوري، دراسات، ص١١٥.

(٧) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٢٠. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٣٨. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣ص٤٠٨.

(٨) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٢٠-٥٢١. مجهول، العيون، ج٤ق٢ص٣٩. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص ٢٨٤. النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص٣٨٦. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣١٨.

للجنود، والهداية إلى قوانين المملكة منذ زمن طويل مثل عمرو بن الليث"[١].

وكان لـــه أربع خزائن: واحدة للسلاح، وثلاث للأموال وهي دائمًا معه، إحداها خزينـــة مال الخراج والجزية وتصرف على ما يخص الجيوش، وخزينة أخرى خاصة بكل ما يجمع من العلل والضياع وتختص بالنفقات والمطبخ، والثالثة للمال الذي يجمع من الأحداث ومـــصادرات الحشم الذين يثبت أن لهم ميلاً إلى الأعداء، وتصرف كصلات للحشم والمخبرين والرسل، وكان عمرو بن الليث يهتم كثيراً بأمور جنده. إذ كان يأمر بصلات لهم كل ثلاثة أشهر[٢]، ويستعرض الجيش رأس كل سنة[٣].

لقد طبق الصفارون مباديء العدل والمساواة بين أتباعهم، فأدى ذلك إلى تأييد الطبقـــات الفقيرة في سجستان لهم، هذا ويذكر أن يعقوب بن الليث الصفار عاش عيشةً بسيطةً[٤]. وكـــانوا يدعون للخليفة في الخطبة حتى بعد قطع علاقتهم ببغداد، ومع ذلك حاولوا التجاوز على سلطته رغم كونها أسميةً. فكان يعقوب أول من أدخل اسمه في الخطبة مع اسم الخليفة، وعمـــرو أول من نقش اسمه على الدنانير، ويظهر أنهم لم يدفعوا جزية منتظمة للخلافـــة[٥]. ورغـــم تجـــاوز الصفارين لسلطة الخليفة إلا أنهم كانوا بحاجةٍ لدعمه؛ لقوة نفوذه الديني، وطلباً لجلـــب رضـــى الجماهير، فنجد العلماء والمتطوعة لم يعترفوا بشرعية ولاية عمرو إلا بعد وصول عهد الخليفة إليه[٦].

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣ص٤٠٩.
(٢) الكرديزي، زين الأخبار، ص١٧.
(٣) ن.م.، ص١٨-١٩.
(٤) المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢١٧.
(٥) الدوري، دراسات، ص١١٨-١١٩.
(٦) ن.م.، ص١١٩.

بدأ نفوذ عبد الله الخُجُستاني بالظهور في مناطق نفوذ الصفاريين. والخجستاني من أتباع يعقوب بن الليث الصفار، لكنه خلع الطاعة، واستولى على نيسابور وبسطام سنة (٢٦١هـ/٨٧٤م). وتمكن من هزيمة عمرو بن الليث سنة (٢٦٦هـ/٨٨٠م)، ودعا لنفسه وللمعتمد على المنابر(١)، وضرب لنفسه دنانير ودراهم. وقتل على يد غلامه سنة (٢٦٩هـ/٨٨٣م)(٢)، فاستولى رافع بن هرثمة على ما كان غلب عليه الخجستاني من كور خراسان وقراها. ورافع ابن هرثمة من أتباع محمد بن طاهر. ولما أسر على يد يعقوب بن الليث الصفار إلتحق به إلا أن العلاقة بين الطرفين لم تكن ودية؛ فالتحق بالخجستاني وصار قائد جيشه (٣). وبعد مقتل الخجستاني قام بجباية خراج مجموعة من كور خراسان سلفاً لبضع عشرة سنة فأفقر أهلها(٤). أعلن المعتمد سنة (٢٧١هـ/٨٨٤م) عزل عمرو بن الليث عن خراسان ليليها رافع بن هرثمة بالنيابة، وأقر نصر بن أحمد الساماني على ما وراء النهر(٥). وفي ذات السنة خرجت جيوش الخلافة بقيادة صاعد بن مخلد لحرب عمرو بن الليث وانتصرت عليه. وفي سنة (٢٧٤هـ/٨٨٧م) خرج الموفق بنفسه على رأس جيش لحرب عمرو بن الليث فاستأمنه قائد جيش الصفاريين، ولم يقع صدام مباشر بين الطرفين(٦).

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٤٥-٥٤٦. الأصفهاني، تاريخ سني، ص١٧٢. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٣٤. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣١٥.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٥١-٥٥٢. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣١٥.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٦٤. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٣١١. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣ص٤١٠. النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص٣٩٣.

(٤) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٦٤.

(٥) ن.م.، ج٥ص٥٩٠. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٢٤٣. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٣٤١. النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص٣٨٦. ابن كثير، البداية، ج١١ص١٤٨.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٣٤١ و٣٥١. النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص٣٨٧. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣٣٤.

أما جرجان وطبرستان فقد كانتا خاضعتين لحكم الشيعة الزيدية بزعامة الحسن بن زيد العلوي الملقب بالداعي[(١)]. وكان بداية ظهوره سنة (٢٥٠هـ/٨٥٥م) عندما حاز أحد العمال في طبرستان إضافةً لإقطاعه أرضاً فيها "مرافق أهل الثغور... ومحتطبهم وفيها مرعى ماشيتهم... ليس لأحد عليها ملك... غير أنها ذات أشجار وغياض"[(٢)]. فاجتمع رجلان ممن لهما نفوذ بتلك الناحية وهما محمد وجعفر ابنا رستم، وبايعا الحسن بن زيد على محاربة عمال الخليفة وعلى رأسهم والي طبرستان سليمان بن عبد الله.

وتمكن الحسن من هزيمة جيوش سليمان ودخول طبرستان سنة (٢٥٠هـ/٨٥٥م)[(٣)]، ثم ضم إليه الري[(٤)]. وفي سنة (٢٥١هـ/٨٥٦م) كر سليمان بن عبد الله على الحسن بن زيد واستعاد طبرستان، وأسر واليه على الري فهرب الحسن بن زيد إلى الديلم[(٥)].

نتيجةً لاضطراب الأوضاع في بغداد سنة (٢٥٥هـ/٨٦٠م) تمكن الحسن بن زيد من إحكام سيطرته على طبرستان[(٦)]، واستولى على جرجان سنة (٢٥٧هـ/٨٦٢م)[(٧)]، وعلى قومس سنة (٢٥٩هـ/٨٦٤م)[(٨)]. إلا أنه هزم على يد يعقوب بن الليث الصفار سنة (٢٦٠هـ/٨٦٥م) وهرب إلى الشِّرز من أرض الديلم، ولم يقدر يعقوب بن الليث الصفار على متابعته[(٩)]. وهزم

---

(١) الصابي، المنتزع، ص٤٤. الدواداري، كنز الدرر، ج٥ص٢٥٢.

(٢) الصابي، المنتزع، ص٤٢.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٥ص٣٦٣. الصابي، المنتزع، ص٤٢-٤٤. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٣٤. ماديلونغ، أخبار أئمة الزيدية، ص٥٧٨.

(٤) الطبري، تاريخ، ج٥ص٣٦٥. الدواداري، كنز الدرر، ج٥ص٢٥١-٢٥٢.

(٥) الطبري، تاريخ، ج٥ص٣٨٣-٣٨٤.

(٦) ن.م.، ج٥ص٤٤٠. المقدسي، البدء، ج٥ص١٢٤.

(٧) المقدسي، البدء، ج٥ص١٢٤. النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص٨٥.

(٨) النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص٨٦.

(٩) الطبري، تاريخ، ج٥ص٤٩٩-٥٠٠. النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص٨٦.

الفصل الأول

الأوضاع العامة للدولة العباسية

قبل تولي المقتدر بالله الخلافة

أولاً: الأوضاع السياسية

ثانياً: الأوضاع المالية

ثالثاً: الأوضاع الإدارية

أولاً: الأوضاع السياسية:

لقد تمكنت الدولة العباسية من اجتياز حالة الفوضى السياسية والعسكرية والإدارية التي عاشتها في فترة التسع سنوات (٢٤٧-٢٥٦هـ/٨٦١-٨٦٩م)، وأثبتت أنها لا تزال تنطوي على حيوية وقوة كامنة(١)، وقد بدأت فترة من الهدوء والإستقرار منذ أن تولى المعتمد على الله أحمد ابن جعفر المتوكل الخلافة في (١٦/رجب/٢٥٦هـ/٨٧٠م)(٢). ولد المعتمد في سامراء سنة (٢٢٩ هـ/٨٤٣م) من أم ولد رومية، وهو أسمر، ليس بالطويل أو القصير جميل، خفيف اللحية، منهمك على اللهو والملذات(٣).

ولعل من الأسباب التي ساهمت في حالة الهدوء والاستقرار، ظهور الموفق طلحة ابن جعفر المتوكل أخو الخليفة المعتمد، والذي ولد سنة (٢٢٧هـ/٨٤١م)(٤)، وقيل في سنة (٢٢٩هـ/٨٤٣م)(٥)، والذي أصبح الحاكم الفعلي بيده الأمر والنهي، والتولية والعزل، وقيادة الجيوش ومحاربة الأعداء(٦)، وتلقب بالألقاب كالخلفاء يخطب له بها على المنابر بعد المعتمد(٧). كما أثبت أنه شخصية سياسية يمتلك الحنكة، وحسن التدبير اللذين برزا في تعامله مع الأزمات، والفتن التي هزت أركان الدولة، إذ تمكن من توجيه طاقات الجيش لدرء هذه الأخطار

---

(١) أنظر، الدوري، دراسات، ص٢٩.

(٢) ابن قتيبة، المعارف، ص٣٩٤. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢ص٤٧٣. الطبري، تاريخ، ج٥ص٤٧٣. المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢١١. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٤ص٢٨٠. الذهبي، سير أعلام، ج١٠ص٣٦٨.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٤ص٢٨٠-٢٨١. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص١٠٣. الدواداري، كنز الدرر، ج٥ص٢٦٥. الكتبي، فوات، ج١ص٦٤-٦٥. القرماني، أخبار الدول، ج٢ص١٢٧.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٣٠٣.

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٢ص١٢٥. الذهبي، سير أعلام، ج١٠ج٥٤٤. ابن كثير، البداية، ج١١ص٦٣. ابن تغري بردي، مورد اللطافة، ج٢ص١٧٠.

(٦) ابن الطقطقي، الفخري، ص٢٤٥.

(٧) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٢ص١٢٥. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٣٠٣. ابن كثير، البداية، ج١١ص٦٣.

خاصةً في جنوب العراق بدل التناحر والتنافس الداخلي. وربما ساهمت هذه الأزمات في الحد من عبث وتدخلات الجيش في الدولة، خاصة وأنه فشل في البداية في مواجهة التحديات. هذا إلى الجد والحزم اللذين أبداهما الموفق في قيادة الجيوش، والإنتصارات التي تحققت على يديه. مما أدى إلى وقوف الجيش عند حدود عمله وصلاحياته، وبدأت هيمنة الخلافة بالبروز من جديد بفضل جهود الموفق. ويضيف بوون أن اختيار المعتمد تم بناءً على رأي موسى بن بغا أعظم قادة الترك قوةً وسلطةً، ولما كان الخليفة صنيعته لم يعد هنالك مبرر للصراع في البلاط(١)، وهو بدوره لم يعترض على سياسة الموفق بل خدمه بإخلاص وولاء(٢).

كما ساهمت جهود بعض الخلفاء في فترة التسع سنوات في التمهيد لهذا الاستقرار، إذ حاولوا التخلص من سيطرة الأتراك خاصةً من الناحية السياسية، فالمنتصر بالله (٢٤٧-٢٤٨هـ/٨٦١-٨٦٢م) تململ من سيطرتهم وقتلهم الخلفاء مما دفعهم للتخلص منه(٣)، وكرهوا اختيار أحد أولاد المتوكل للخلافة، فاختاروا أحمد بن محمد بن المعتصم، وتلقب بالمستعين بالله سنة (٢٤٨هـ/٨٦٢م)(٤). كما حاول الخليفة المعتز بالله (٢٥٢-٢٥٤هـ/٨٦٧-٨٦٩م) التخلص من كبار القادة الأتراك من خلال ضرب عناصر الجيش بعضها ببعض(٥)، وهو الأسلوب الذي لجأ إليه المهتدي بالله (٢٥٤-٢٥٥هـ/٨٦٩-٨٧٠م) مع محاولته التقرب للعامة(٦). لا بد أن مثل

---

(١) Bowen, Ali b. Isa, p, 5.

(٢) الدوري، دراسات، ص١٨٧.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٥ص٣٥١. المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص١٤٦. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص١٦. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص١٤٨. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٢٨٣.

(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢ص٤٥٨. الطبري، تاريخ، ج٥ص٣٥٣-٣٥٤. المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص١٥٦، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٦. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص١٤٩-١٥٠، ابن العبري، تاريخ الدول، ص١٤٦.

(٥) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢ص٤٦٩.الطبري، تاريخ، ٥ص٤٢٥.المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص١٩١.ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٧٣.

(٦) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢ص٤٦٩.الطبري، تاريخ، ج٥ص٤٦٩. المقدسي، البدء، ج٥ص١٢٣. المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص١٩٨. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٣-٤.

هذه المحاولات أنهكت من قوى الجيش.

لهذا شهدت الدولة بعضاً من الاستقرار والوئام بين مؤسساتها المختلفة، تمثلت بعهود ثلاثة من الخلفاء المعتمد (٢٥٦-٢٧٩هـ/٨٦١-٨٩٢م)، والمعتضد (٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٩٢-٩٠١م)، والمكتفي (٢٨٩-٢٩٥هـ/٩٠١-٩٠٧م).

كان أول خطر هز أركان الدولة واختبرت فيه مقدرتها، ظهور ثائر ادعى النسب العلوي يدعى علي بن محمد[١]، تمكن من أن يستميل إليه الزنج الذين كان يتم الحصول عليهم من سواحل إفريقيا الشرقية خاصةً الصومال وزنجبار[٢]. بالإضافة إلى أعدادٍ من جند السودان التابعين لجيوش الخلافة[٣] وبعض العرب[٤]. ولعل القليل من أصحاب الحرف في المدن انضموا إليه[٥]. وكان ظهوره في سواد البصرة في بقعةٍ تمتد فيها المستنقعات؛ جراء البثوق والفيضانات فيما عرف باسم البطائح. وكان الزنوج يستخدمون لكسح السباخ[٦] للإستفادة من الأملاح المتجمعة، وجعل الأرض قابلة للزراعة[٧]. ومنهم من كان يعمل باستخراج الدبس من التمر وهم الذين عرفوا بالتمارين أو الدباسين[٨]. وكان منهم في سواد البصرة عشرات الألوف، إذ بلغ عدد إحدى الجماعات العاملة على نهر دجيل الأهواز ١٥،٠٠٠[٩]، وضم صاحب الزنج إليه في

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٥ص٤٤١. المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢٠٧. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٨٥. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٢٠٦. النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص١٠٤.

(٢) الدوري، دراسات، ص٧٦. السامر، ثورة الزنج، ص٢٢.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٥ص٤٤٤. ابن الطقطقي، الفخري، ص٢٤٥.

(٤) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٥١.

(٥) الدوري، دراسات، ص٨٣.

(٦) الطبري، تاريخ، ج٥ص٤٤١. المقدسي، البدء، ج٥ص١٢٤. المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢٠٨. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٨٥. الدواداري، كنز الدرر، ج٥ص٢٦٦.

(٧) الدوري، دراسات، ص٧٦. علبي، ثورة الزنج، ص٧٨-٧٩.

(٨) علبي، ثورة الزنج، ص٧٩.

(٩) الطبري، تاريخ، ج٥ص٤٤٤.

يوم واحد ما تجاوز الألف، وبلغ جيشه ٣٠٠،٠٠٠[١]. ساعد هذا التكتل الواسع على بعث شعور عام بينهم بالمصلحة، والقيام ضد أسيادهم[٢].

كما أن ظروفهم المعيشية كانت بالغة الصعوبة، فقد كانت أقواتهم من الدقيق والسويق والتمر[٣]. والبطائح لم تكن بالمكان المناسب للعيش. إذ وصفها المقدسي بأنها شديدة الحر، كربة، بليذة، بق مهلك، وعيش ضيق[٤].

أخذ علي بن محمد صاحب الزنج بدعوة هذه الفئات وهم يقبلون إليه للتخلص من الرق والتعب حتى اجتمع منهم خلق كثير، فخطب فيهم وذكرهم ما هم عليه من سوء الحال وأن الله قد استنقذهم به من ذلك، وأنه يريد أن يرفع أقدارهم ويملكهم الأموال والعبيد والمنازل ويبلغ بهم أعلى الأمور[٥]. ثم بدأ ثورته في (٢٦/رمضان/٢٥٥هـ-٥/آب/ ٨٦٩م)[٦].

وقد سيطر صاحب الزنج في الفترة من (٢٥٥-٢٥٦هـ/٨٦٩-٨٧٠م) على مدن كبيرة الأهمية، كالأبلة وعبادان وجُبّى، وفرض سلطانه على مصب نهر دجلة، وعاث فساداً في منطقة البصرة[٧]. كما تغلب على جيوش الخلافة، وأنزل بها الخسائر الفادحة، حتى غلب على النعمانية والبصرة وأكثر كور الأهواز وما يلي أرجان من أرض فارس وواسط وجرجرايا من شواطيء

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٤٣.

(٢) الدوري، دراسات، ص٧٧.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٥ص٤٤٣. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٦.

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١١٩و١٢٥. وانظر الإصطخري، مسالك الممالك، ص٨١-٨٢.

(٥) الطبري، تاريخ، ج٥ص٤٤٤. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٨٧. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٦-١٧. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٢٠٨.

(٦) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٨٧. المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢٠٧. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٢١١. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣٠٢.

(٧) الطبري، تاريخ، ج٥ص٤٧٦. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص١٠٨. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٢٢٥. أبو الفداء، المختصر، ج١ص٣٦٦. النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص١١٥.

دجلة إلى الطفوف ونواحي الكوفة[١]. وبهذا يكون قد استولى على مقاطعات زراعيةٍ شاسعةٍ وأضر بها. وألحق خسائر فادحة بالتجارة القادمة إلى الخليج ثم إلى بغداد. وكلما أعاد العباسيون المواصلات قطعها الزنج. حتى أن السفن النهرية لم تستطع السير في شط العرب مدة عشر سنوات من سنة (٢٥٥-٢٦٥هـ/٨٦٩-٨٧٨م)[٢].

وبقيت جيوش الخلافة تتقهقر أمام ضربات الزنج حتى سنة (٢٦١هـ/٨٧٤م) عندما تولى الموفق قيادة الجيوش بنفسه[٣]. ويبدو أن الموفق استفاد من التجارب السابقة في محاربة الزنج مما جعله أكثر خبرة ممن تقدمه في حربهم[٤]. فأدرك الموفق ضرورة التأني والتروي فبنى المعسكرات، وأمن طرق المواصلات، ونجح في ضمان استمرار التموين[٥]. ثم اتخذ سياسة الحصار الاقتصادي على الزنج. فكان قطع الميرة والمؤن من أهم الأسباب التي مهدت للإنتصار عليهم[٦]. وبعد أن ضيق الموفق الحصار على الزنج نادى بالأمان بينهم، مما ساعد في نشر البلبلة والفرقة بين الزنج، كما أنه بهذه الطريقة استقطب إليه عدداً من قادة الزنج وذوي الرأي والتدبير[٧]، مما ساعده على التعرف على خفايا ومسالك عسكر صاحب الزنج[٨]. وفي سنة (٢٦٧هـ/٨٨٠م) أقام مدينة أسماها

---

(١) مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٤.

(٢) السامر، ثورة الزنج، ص٧٩.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٠٢. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص١٦٣. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٢٢.

(٤) الدوري، دراسات، ص٩٢.

(٥) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٣٥ و٥٣٧ و٥٣٩ و٥٤٣.

(٦) ن.م.، ج٥ص٥٥٣ -٥٥٦. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٣٢١. النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص١٧١-١٧٣. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣٢١-٣٢٢.

(٧) انظر مثلاً، الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٥١-٥٥٣ و٥٤٣ و٥٥٧ و٥٦١. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٥٠-٥١.

(٨) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٧٦.

بالموفقية أزاء المختارة مدينة صاحب الزنج لتكون مركزاً لعملياته، وشحنها بالتموين والسلاح(١).

وقد شارك أبو العباس (المعتضد بالله) ابن الموفق مشاركةً متميزةً وموفقةً في حرب الزنج ابتداءً من سنة (٢٦٦هـ/٨٧٩م). وتمكنت جيوش الخلافة بقيادة الموفق وابنه المعتضد من فتح المنيعة والمنصورة وهي مدن أنشأها بعض قادة الزنج سنة (٢٦٧هـ/٨٨٠م)(٢). ثم بدأ الموفق في حصار المختارة مدينة صاحب الزنج، وهي مدينة محصنة بالخنادق والأسوار حتى سقطت(٣). وفي (٢/صفر/٢٧٠-١١/آب/٨٨٣م) أصدر الموفق منشوراً أعلن فيه القضاء على ثورة الزنج، وطلب من أهل السواد والأهواز العودة إلى أراضيهم(٤).

إن ثورة الزنج تمثل أول صرخةٍ اجتماعيةٍ خطرةٍ في العصر العباسي الثاني ضد النظام الاجتماعي الاقتصادي السائد، كما أنها تكشف عن مدى فظاعة استغلال الرقيق بشكل يخالف مباديء الإسلام، ويمثل الجشع المادي المتطرف لأصحاب الأموال(٥).

وأثناء انشغال الموفق بحرب الزنج ظهر خطر جديد، تمثل بالصفاريين وعلى رأسهم يعقوب بن ليث الصفار الذي كان في بداية حياته يعمل في صفر النحاس، ثم التحق بمتطوعة سجستان لحرب الخوارج بقيادة صالح بن النضر الكناني، وعندما هلك هذا قام بأمر المتطوعة درهم بن الحسن الذي لم يستطع ضبط عسكره، فاجتمعوا على يعقوب بن الليث الصفار واستقل

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٥ص ٥٤٤.

(٢) ن.م.، ج٥ص٥٢٩-٥٣٣ و٥٣٦. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٢١١. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٤٠-٤٣.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٤١. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٤٨-٥٤. النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص١٥٢-١٥٧.

(٤) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٨٦-٥٨٧.

(٥) الدوري، دراسات، ص٢١.

بالأمر وعظم شأنه وحارب الخوارج حرباً لا هوادة فيها، وظفر بهم وخرب قراهم، فغلب على سجستان(١). ويبدو أن يعقوب بن الليث الصفار حين توطد نفوذه في سجستان، وكثر عسكره خرج عن حد طلب الشراة، إذ استولى سنة (٢٥٣ هـ/٨٦٧م) على هراة وبوشنج(٢)، واستولى على كرمان سنة (٢٥٥هـ/٨٦٩ م)(٣). وفي سنة (٢٥٧هـ/٨٧١م) سار يعقوب إلى فارس فأنكر عليه المعتمد ذلك، فكتب إليه الموفق بولاية بلخ وطخارستان وسجستان والسند(٤)، وبالفعل ضم تلك المناطق لسيطرته، ويبدو أن الموفق كان يهدف إلى إبعاد يعقوب بن الليث عن جواره(٥).

إلا أن أطماع يعقوب بن الليث الصفار لم تتوقف عند هذا الحد، فعندما لاحظ ضعف الطاهريين سار إلى نيسابور سنة (٢٥٩هـ/٨٧٢م) وأسر محمد بن الطاهر واستولى على خراسان(٦)، ومنها سار إلى طبرستان لكنه لم يقم فيها وتابع مسيره إلى الري(٧).

وتأزمت علاقة الخلافة بالصفاريين سنة (٢٦٠هـ/٨٧٤م) نتيجة سياستهم التوسعية وقوة نفوذ الطاهريين ببغداد من جهة(٨)، ومن جهةٍ أخرى وصل وفد من أهل جرجان إلى الخليفة

---

(١) الأصفهاني، تاريخ سني، ص١٧٠. المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢١٢. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص١٩٣. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣ص٤٠٠. النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص٣٧٣.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢١٣. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص١٩٣. النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص٣٧٤. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٢٩٣-٢٩٤.

(٣) الطبري، تاريخ،ج٥ص٤٢٧. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٢٣٢. النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص٣٧٤. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٢٩٤.

(٤) الطبري، تاريخ، ج٥ص٤٨٠.ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٢٣٢.النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص٣٧٨.

(٥) الدوري، دراسات، ص١١٤.

(٦) الطبري، تاريخ،ج٥ص٤٩٨. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٢٦. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٢٤٢. الذهبي، العبر، ج١ص٣٧٢.

(٧) الطبري، تاريخ، ج٥ص٤٩٩. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٢٤٦. النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص ٣٨٠. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣٠٩.

(٨) الدوري، دراسات، ص١١٤-١١٥.

المعتمد يشكون من ظلم وعسف يعقوب بن الليث الصفار[(١)]. فأصدر الخليفة منشوراً أعلن فيه أن يعقوب خارج على الخلافة وأن الخليفة لم يوله شيئاً[(٢)]، فقابل يعقوب هذا المنشور بالاستيلاء على فارس سنة (٢٦١هـ/٨٧٥م)[(٣)]. أمام هذا التأزم الواضح رأى الموفق ضرورة تهدئة الأوضاع فأعلن تولية يعقوب على خراسان وطبرستان وجرجان والري وفارس وشرطة بغداد وذلك سنة (٢٦٢هـ/٨٧٤م)[(٤)]. إلا أن يعقوب بن الليث الصفار قرر المسير إلى بغداد وطمع في الاستيلاء على الأهواز، فكان لا بد للموفق أن يواجه يعقوب بن الليث الصفار، ووقعت معركة بين الطرفين بدير العاقول في (رجب سنة ٢٦٢ هـ/٨٧٤م) ومني يعقوب بالفشل[(٥)]، وانسحب إلى جند يسابور حيث ثبت سلطانه في إيران فقط [(٦)]. وبعد ذلك بقليل توفي يعقوب ابن الليث الصفار سنة (٢٦٥هـ/٨٧٨م)[(٧)].

تحسنت الأوضاع قليلاً بتولي أخيه عمرو بن الليث الحكم، فأعلن الولاء والطاعة للخلافة. وكتب إليه الخليفة كتاب العهد على خراسان وفارس وأصبهان وكرمان وسجستان والسند[(٨)]. وقد عرف عمرو بالتدبير وحسن السياسة حتى قيل عنه: "ما أدرك في حسن السياسة

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣ص٤٠٥.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٠١. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٢٧. الدواداري، كنز الدرر، ج٥ص٢٧٥. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٢٥٩.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٠٢. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٣٠. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٢٦٠. النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص٣٨١. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣١١.

(٤) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٠٤. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٣١. الدواداري، كنز الدرر، ج٥ص٢٧٦. الذهبي، العبر، ج١ص٣٧٦.

(٥) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٠٤-٥٠٥. المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢١٣. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص١٧٣.

(٦) الدوري، دراسات، ص١١٥.

(٧) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٢٠. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٣٨. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣ص٤٠٨.

(٨) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٢٠-٥٢١. مجهول، العيون، ج٤ق٢ص٣٩. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص ٢٨٤. النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص٣٨٦. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣١٨.

للجنود، والهداية إلى قوانين المملكة منذ زمن طويل مثل عمرو بن الليث"[١].

وكان لـــه أربع خزائن: واحدة للسلاح، وثلاث للأموال وهي دائمًا معه، إحداها خزينـــة مال الخراج والجزية وتصرف على ما يخص الجيوش، وخزينة أخرى خاصة بكل ما يجمع من العلل والضياع وتختص بالنفقات والمطبخ، والثالثة للمال الذي يجمع من الأحداث ومـــصادرات الحشم الذين يثبت أن لهم ميلاً إلى الأعداء، وتصرف كصلات للحشم والمخبرين والرسل، وكان عمرو بن الليث يهتم كثيراً بأمور جنده. إذ كان يأمر بصلات لهم كل ثلاثة أشهر[٢]، ويستعرض الجيش رأس كل سنة[٣].

لقد طبق الصفارون مباديء العدل والمساواة بين أتباعهم، فأدى ذلك إلى تأييد الطبقـــات الفقيرة في سجستان لهم، هذا ويذكر أن يعقوب بن الليث الصفار عاش عيشةً بسيطةً[٤]. وكـــانوا يدعون للخليفة في الخطبة حتى بعد قطع علاقتهم ببغداد، ومع ذلك حاولوا التجاوز على سلطته رغم كونها أسميةً. فكان يعقوب أول من أدخل اسمه في الخطبة مع اسم الخليفة، وعمـــرو أول من نقش اسمه على الدنانير، ويظهر أنهم لم يدفعوا جزية منتظمة للخلافـــة[٥]. ورغـــم تجـــاوز الصفارين لسلطة الخليفة إلا أنهم كانوا بحاجةٍ لدعمه؛ لقوة نفوذه الديني، وطلباً لجلـــب رضـــى الجماهير، فنجد العلماء والمتطوعة لم يعترفوا بشرعية ولاية عمرو إلا بعد وصول عهد الخليفة إليه[٦].

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣ص٤٠٩.
(٢) الكرديزي، زين الأخبار، ص١٧.
(٣) ن.م.، ص١٨-١٩.
(٤) المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢١٧.
(٥) الدوري، دراسات، ص١١٨-١١٩.
(٦) ن.م.، ص١١٩.

بدأ نفوذ عبد الله الخُجُستاني بالظهور في مناطق نفوذ الصفاريين. والخجستاني من أتباع يعقوب بن الليث الصفار، لكنه خلع الطاعة، واستولى على نيسابور وبسطام سنة (٢٦١هـ/٨٧٤م). وتمكن من هزيمة عمرو بن الليث سنة (٢٦٦هـ/٨٨٠م)، ودعا لنفسه وللمعتمد على المنابر[١]، وضرب لنفسه دنانير ودراهم. وقتل على يد غلامه سنة (٢٦٩هـ/٨٨٣م)[٢]، فاستولى رافع بن هرثمة على ما كان غلب عليه الخجستاني من كور خراسان وقراها. ورافع ابن هرثمة من أتباع محمد بن طاهر. ولما أسر على يد يعقوب بن الليث الصفار إلتحق به إلا أن العلاقة بين الطرفين لم تكن ودية؛ فالتحق بالخجستاني وصار قائد جيشه [٣]. وبعد مقتل الخجستاني قام بجباية خراج مجموعة من كور خراسان سلفاً لبضع عشرة سنة فأفقر أهلها[٤]. أعلن المعتمد سنة (٢٧١هـ/٨٨٤م) عزل عمرو بن الليث عن خراسان ليليها رافع بن هرثمة بالنيابة، وأقر نصر بن أحمد الساماني على ما وراء النهر[٥]. وفي ذات السنة خرجت جيوش الخلافة بقيادة صاعد بن مخلد لحرب عمرو بن الليث وانتصرت عليه. وفي سنة (٢٧٤هـ/٨٨٧م) خرج الموفق بنفسه على رأس جيش لحرب عمرو بن الليث فاستأمنه قائد جيش الصفاريين، ولم يقع صدام مباشر بين الطرفين[٦].

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٤٥-٥٤٦. الأصفهاني، تاريخ سني، ص١٧٢. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٣٤. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣١٥.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٥١-٥٥٢. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣١٥.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٦٤. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٣١١. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣ص٤١٠. النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص٣٩٣.

(٤) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٦٤.

(٥) ن.م.، ج٥ص٥٩٠. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٢٤٣. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٣٤١. النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص٣٨٦. ابن كثير، البداية، ج١١ص١٤٨.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٣٤١ و٣٥١. النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص٣٨٧. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣٣٤.

أما جرجان وطبرستان فقد كانتا خاضعتين لحكم الشيعة الزيدية بزعامة الحسن بن زيد العلوي الملقب بالداعي(١). وكان بداية ظهوره سنة (٢٥٠هـ/٨٥٥م) عندما حاز أحد العمال في طبرستان إضافةً لإقطاعه أرضاً فيها "مرافق أهل الثغور... ومحتطبهم وفيها مرعى ماشيتهم... ليس لأحد عليها ملك... غير أنها ذات أشجار وغياض"(٢). فاجتمع رجلان ممن لهما نفوذ بتلك الناحية وهما محمد وجعفر ابنا رستم، وبايعا الحسن بن زيد على محاربة عمال الخليفة وعلى رأسهم والي طبرستان سليمان بن عبد الله.

وتمكن الحسن من هزيمة جيوش سليمان ودخول طبرستان سنة (٢٥٠هـ/٨٥٥م)(٣)، ثم ضم إليه الري(٤). وفي سنة (٢٥١هـ/٨٥٦م) كر سليمان بن عبد الله على الحسن بن زيد واستعاد طبرستان، وأسر واليه على الري فهرب الحسن بن زيد إلى الديلم(٥).

نتيجةً لاضطراب الأوضاع في بغداد سنة (٢٥٥هـ/٨٦٠م) تمكن الحسن بن زيد من إحكام سيطرته على طبرستان(٦)، واستولى على جرجان سنة (٢٥٧هـ/٨٦٢م)(٧)، وعلى قومس سنة (٢٥٩هـ/٨٦٤م)(٨). إلا أنه هزم على يد يعقوب بن الليث الصفار سنة (٢٦٠هـ/٨٦٥م) وهرب إلى الشِّرز من أرض الديلم، ولم يقدر يعقوب بن الليث الصفار على متابعته(٩). وهزم

---

(١) الصابي، المنتزع، ص٤٤. الدواداري، كنز الدرر، ج٥ص٢٥٢.

(٢) الصابي، المنتزع، ص٤٢.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٥ص٣٦٣. الصابي، المنتزع، ص٤٢-٤٤. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٣٤. ماديلونغ، أخبار أئمة الزيدية، ص٥٧٨.

(٤) الطبري، تاريخ، ج٥ص٣٦٥. الدواداري، كنز الدرر، ج٥ص٢٥١-٢٥٢.

(٥) الطبري، تاريخ، ج٥ص٣٨٣-٣٨٤.

(٦) ن.م.، ج٥ص٤٤٠. المقدسي، البدء، ج٥ص١٢٤.

(٧) المقدسي، البدء، ج٥ص١٢٤. النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص٨٥.

(٨) النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص٨٦.

(٩) الطبري، تاريخ، ج٥ص٤٩٩-٥٠٠. النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص٨٦.

الحسن بن زيد مرة أخرى على حين غرة على يد الخجستاني سنة (٢٦٦هـ/٨٧١م)[١]، وتوفي الحسن سنة (٢٧٠هـ/٨٧٥م)[٢]. ويبدو أن بداية دعوة الديلم للإسلام كانت على المذهب الزيدي على يده، إلا أن الإسلام لم ينتشر بينهم بصورةٍ كبيرةٍ إلا في فترة لاحقة؛ لانشغاله بمحاربة ولاة السلطان[٣].

استغل محمد بن إبراهيم العلوي –صهر محمد بن زيد أخو الداعي الحسن بن زيد– غيبة محمد بن زيد بجرجان فأخذ البيعة لنفسه وتلقب بالقائم بالحق، فلما اتصل الخبر بمحمد بن زيد سار إليه وأدركه وقتله[٤]، واستولى على جرجان وطبرستان سنة (٢٧٤هـ/٨٧٩م)[٥]. إلا أن رافع بن هرثمة تمكن من هزيمته سنة (٢٧٧هـ/٨٨٢م) واستولى على طبرستان فهرب محمد ابن زيد إلى بلاد الديلم[٦].

على الرغم من النجاح الذي حققه الموفق في مواجهة المشكلات والأزمات التي مرت بها الخلافة، إلا أنه أخفق مع أحمد بن طولون الذي تولى مصر منذ أيام الخليفة المعتز سنة (٢٥٤هـ/٨٥٩م)[٧]. والظاهر أن الموفق لم يكن يطمئن إلى ابن طولون الذي تمكن من توطيد نفوذه في مصر، وظهر ذلك أثناء ثورة الزنج التي ضاق خلالها الموفق إضاقةً شديدة لانقطاع

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٢٥. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٣٤–٣٥.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٨٩. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٥٨. النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص٨٦.

(٣) الصابي، المنتزع، ص٤٥.

(٤) ن.م.، ص٤٥–٤٦. ماديلونغ، أخبار أئمة الزيدية، ص٢٢.

(٥) الصابي، المنتزع، ص٤٦. الدواداري، كنز الدرر، ج٥ص٢٨٦. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣ص٤١١.

(٦) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣ص٤١٠.

(٧) الطبري، تاريخ، ج٥ص٤٦٦. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٧٣. ابن العبري، تاريخ الدول، ص١٤٧. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٢٩٥.

موارد خراج الشرق، وتقاعس الناس عن حمل المال[١]. فكتب الموفق لابن طولون مبيناً شدة حاجته للمال، وأنفذ لحمله نحريراً الخادم، إلا أن المعتمد كتب إليه سراً أن الموفق أنفذ إليه نحريراً عيناً عليه، وعليه الاحتراس وحمل المال إليه. لكن المال وصل الموفق فاستصغره وكتب إلى ابن طولون أن الحساب يوجب أضعافه فأجابه ابن طولون إجابةً أقلقته، ودفعته لإرسال موسى بن بغا لصرف ابن طولون عن مصر، وتوليتها لماجور والي دمشق، لكن محاولات الصرف لم تنجح[٢]. ثم ولى المعتمد ابن طولون منطقة الثغور نتيجة فساد العمال، واشتداد هجمات الروم[٣]، ولم يجد الموفق بداً من التسليم للأمر الواقع، في الوقت الذي كانت فيه الخلافة مشغولةً بخطر الزنج الداهم.

لم تتوقف أطماع ابن طولون عند هذا الحد إذ خرج بنفسه على رأس جيش سنة (٢٦٤هـ/٨٦٩م) يريد الشام فاستولى على الرملة ودمشق وحمص بكل سهولة[٤]، وبسط نفوذه على أنطاكية سنة (٢٦٥هـ/٨٧٠م)[٥]. و اكتشف الموفق أن ابن طولون اتفق مع المعتمد أن يغادر الأخير العراق وينضم إليه في دمشق[٦]، في محاولة من المعتمد للتخلص من سيطرة أخيه الموفق. وفي سنة (٢٧١هـ/٨٨٤م) التقت جيوش الخلافة بقيادة أبي العباس (المعتضد)، مع جيش الطولونيين بقيادة خمارويه بن أحمد أدت إلى هزيمة أبي العباس بكمين نصب

---

(١) البلوي، سيرة أحمد بن طولون، ص٧٩.

(٢) ن.م.، ص٨٠-٨٩.

(٣) ن.م.، ص٢٤. الدواداري، كنز الدرر، ج٥ص٢٦٩. المقريزي، الخطط، ج١ص٣١٩.

(٤) البلوي، سيرة أحمد بن طولون، ص٩١-٩٣. الكندي، الولاة، ص٢١٩. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣١٧. المقريزي، الخطط، ج١ص٣١٦.

(٥) الكندي، الولاة، ص٢٢٠.

(٦) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٦٤ و٥٦٧. المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢٢٦. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٢٢٢.

لـــه[١]. فسلمت الخلافة مؤقتاً بسيطرة الطولونيين على مصر والشام.

وفي صفر سنة (٢٧٨هــ/٨٩١م) توفي الموفق طلحة[٢]، بعد أن أعاد للخلافة بعضاً من هيبتها، وثبت سلطتها المركزية، وكسب ثقة الجيش الذي منح ثقته بدوره لابنه أبي العباس المعتضد. ويبدو أن أبا العباس المعتضد استطاع أن يستقطب حوله بعض القادة والجند في حياة أبيه، إذ ثار بعضهم ضد الموفق عندما حبسه[٣].

تنفس المعتمد الصعداء بوفاة الموفق وظن أن الأمر قد استتب لـــه أخيراً[٤]، إلا أن المعتضد –الذي ورث قوة أبيه[٥] ونشاطه– ظهر كحاكم فعلي في حياة أبيه[٦]، وشارك في كثير من النواحي السياسية والعسكرية بكفاءةٍ كبيرةٍ، وبدا أكثر قوةً من المعتمد خاصةً وأنه حظي بدعم الجيش، وتأييد العامة له في بغداد[٧]. فاضطر المعتمد إلى أن يمنحه كافة صلاحيات أبيه من أمرٍ ونهي وتوليةٍ وعزل[٨]. وتمكن المعتضد في أواخر محرم لسنة (٢٧٩هــ/٨٩٢م) من خلع جعفر المفوض بن المعتمد عن ولاية العهد وبويع لـــه بعد المعتمد[٩]. الذي توفي بعد أخيه

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٩٠. المسعودي، مروج الــذهب، ج٤ص٢٢٣. ابــن الجــوزي، المنــتظم، ج١٢ص٢٤٣.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٠٠. المسعودي، مروج الــذهب، ج٤ص٢٤٣. ابــن الجــوزي، المنــتظم، ج١٢ص٣٠٣. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٦٧. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٣٦٢.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٩٦. المسعودي، مروج الــذهب، ج٤ص٢٤٢. ابــن الجــوزي، المنــتظم، ج١٢ص٢٦٤. ابن العمراني، الأنباء، ص١٣٨. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٣٥٥.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣ص٩١-٩٢. العصامي، سمط النجوم، ج٣ص٤٧٨.

(٥) Bowen, Ali b, Isa, p25.

(٦) E. I, (Al Mutadid) Vol III, p777.

(٧) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٠٤. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤ص١٠٠. المسعودي، مــروج الــذهب، ج٤ص٢٤٣. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٧١. Bowen, Ali b Isa, p27.

(٨) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٠٤. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٣٠٥. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٧١. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٣٦٨.

(٩) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٠٥. المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢٤٤. الخطيــب البغــدادي، تــاريخ بغداد، ج٤ص٢٨١. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٣٢٨. ابن الطقطقي، الفخري، ص٢٥٠.

بستة أشهر[١].

وبويع للمعتضد بالله أحمد بن طلحة الموفق بن جعفر المتوكل بالخلافة في اليوم الذي مات فيه المعتمد وعمره سبعة وثلاثون عاماً. وأمه أم ولد توفيت قبل خلافته بوقت قصير، ولد في سامراء سنة (٢٤٣هـ/٨٤٨م)[٢]. ويوصف بأنه ربعة من الرجال ليس بالطويل ولا القصير، نحيف، حسن الوجه، خفيف العارضين، يخضب بالسواد[٣]. ووصف برجاحة العقل، وحسن الرأي، وعلو الهمة[٤]، والحلم مع سرعة في الغضب، وشدة بطشٍ مع عدالةٍ شديدة؛ لهذا كان أصحابه وجنده يهابونه ويكفون عن الظلم، وفيه شح[٥]، وعرف بحبه للبناء إذ بنى قصر الثريا والفردوس، وابتدأ ببناء قصر التاج[٦]، كما قام بالزيادة في المسجد الجامع، وأمر بتسهيل عقبة حلوان التي كان الناس يلقون منها تعباً شديداً، فبلغت النفقة حوالي ٢٠،٠٠٠ دينار[٧].

وصل المعتضد للخلافة وأحوال الدولة والولايات في غاية الاضطراب مع كثرة الخارجين، وبيوت الأموال فارغة[٨]. فكان لا بد لــه من مباشرة الأمور بنفسه، فقاد

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤ص١٠٠. المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢٤٥. الخطيب البغدادي، ج٥ص١٧٠. الكتبي، فوات، ج١ص٧٢. القلقشندي، مآثر الإنافة، ج١ص١٦٢.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤ص١٠٠-١٠١. المسعودي، التنبيه، ص٣٢٠. القضاعي، عيون المعارف، ص٢٣٢. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٠١.

(٣) ابن العمراني، الأنباء، ص١٤٠. ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص١٦٤. الأربلي، خلاصة الذهب، ص٢٣٥.

(٤) ابن الجوزي، الأذكياء، ص٤٢-٤٤. ابن العبري، تاريخ الدول، ص١٥٢. الكتبي، فوات، ج١ص٧٢. القلقشندي، مآثر الإنافة، ج١ص٢٦٢.

(٥) المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢٤٦-٢٤٧. ابن الجوزي، الأذكياء، ص٤٠-٤١. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤١١-٤١٢. أبو الفداء، المختصر، ج١ص٣٨٢. ابن كثير، البداية، ج١١ص٩٤.

(٦) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٣١ و٦٣٨. المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢٤٧. ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص٢١. المنتظم، ج١٢ص٣٣٤-٣٣٥. الصفدي، الوافي، ج٦ص٤٢٩.

(٧) ابن الطقطقي، الفخري، ص٢٥١. عباس، شذرات من كتب مفقودة، ص٤٢١.

(٨) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٣٢٤. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٧٥. ابن الطقطقي، الفخري، ص٢٥٠.

الجيوش[١]، وبث العيـــون ليرفعوا إليه كل ما يجري في الدولة [٢]، وتتبع أحوال الجند وسيرتهم مع الرعية، وأمرهم بكف الأذى والظلم عنهم[٣].

بدأ المعتضد بإكمال ما بدأه أبوه فتمكن في الفترة من (٢٨١-٢٨٤هـ/٨٩٤-٨٩٧م) من إعادة منطقة الجبال إلى جسم الدولة مستغلاً انقسام ولاتها من آل أبي دلف[٤]، وقلد ابنه المكتفي الري وقزوين وزنجان وأبهر وقم وهمذان والدينور[٥].

وفي سنة (٢٨٠هـ/٨٩٣م) تمكن المعتضد من قمع عصيان بني شيبان[٦]، ثم خرج مرة أخرى سنة (٢٨١هـ/٨٩٤م) لقتال الحمدانيين بزعامة حمدان بن حمدون في الموصل لانضمامهم لهارون الشاري، فدمر قلعة ماردين التي تحصنوا بها، وألقى القبض على ابن حمدون؛ فتقدم رؤساء الأكراد بطلب الأمان[٧]. وبعدها بسنة تمكن من إلقاء القبض على هارون الشاري بمساعدة الحسين بن حمدان مقابل تخليص والده من السجن[٨].

---

(١) ابن العمراني، الأنباء، ص١٤٠. محمد بن إبراهيم، الإكتفاء، ورقة ٣١٦-أ.

(٢) التنوخي، النشوار، ج١ص٣١٩-٣٢١ و٣٢٦-٣٢٨.

(٣) ن.م.، ج١ص٣٢٩-٣٣٠. ابن العمراني، الأنباء، ص١٤٢.

(٤) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦١٥-٦١٦ و٦٢٥-٦٢٦. المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢٧٧. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٣٨٦ و٣٩٠ و٣٩٢. الذهبي، تاريخ الإسلام (٢٨١-٢٩٠هـ)، ص١٦.

(٥) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٠٨. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٣٣٩. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٧٨. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٣٨٦.

(٦) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٠٦. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٣٣٢. ابن العبري، تاريخ الدول، ص١٥٠.

(٧) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٠٨-٦١٠. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٣٤٠.

(٨) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦١٣. المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢٧١-٢٧٣. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٣٥٩. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٣٨٤. الذهبي، العبر، ج١ص٤٠٦.

وفي سنة (٢٨٦هـ/٨٩٩م) سار المعتضد إلى آمد وفتحها، وخلف ابنه المكتفي فيها مع

جيوش ضمها إليه لضبط الناحية مع أعمال قنسرين والعواصم وديار ربيعة ومضر، وأمر بهدم سور آمد[١].

في هذه الأثناء لم تغفل عين المعتضد عن مصر فقد تولى خمارويه بن أحمد الحكم بعد وفاة أبيه وهو ابن عشرين سنة. وعرف بسخائه خاصةً على جنده، وتقربه لأصحاب أبيه، وسرعة نهضته للحرب[٢].

مد خمارويه نفوذه إلى بلاد الجزيرة[٣]، كما دعي له بطرسوس والثغور سنة (٢٧٧هـ/٨٩١م)[٤]. فقرر المعتضد اتباع أسلوب المهادنة والمصاهرة فطلب الزواج من ابنة خمارويه المعروفة باسم قطر الندى سنة (٢٨٢ هـ/٨٩٦م)[٥]. وكان يطمح من وراء هذا الزواج

السياسي أن يضمن الحصول على مورد مالي لحاجته إليه، إذ طمع بما اجتمع لدى خمارويه[٦] الذي جهز ابنته بجهاز لم ير مثله يضاهي نعمة الخلفاء[٧]. كما عقدت بين الطرفين اتفاقية تقرر فيها أن يحكم خمارويه وولده ثلاثين سنةً من الفرات إلى برقة، وإليه الصلاة والخراج،

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٢٩. المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢٥٤. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٣٩٨. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣٤٩.

(٢) ابن سعيد، المغرب، ج١ص١٣٤-١٣٥. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١ص٣١٢.

(٣) ابن سعيد، المغرب، ج١ص١٣٦.

(٤) الكندي، الولاة، ص٢٣٧-٢٣٨.

(٥) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦١٠. المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢٨٩. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٧٦. الدواداري، كنز الدرر، ج٥ص٢٩٨. ابن الاثير، الكامل، ج٦ص٣٨١.

(٦) الثعالبي، آداب الملوك، ص١١١-١١٢.

(٧) المقريزي، المقفى، ج٣ص٨٢٢. وانظرالطبري، تاريخ، ج٥ص٦٠٥. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٣٢٧. ابن الساعي، نساء الخلفاء، ص١٠٥. ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ق١ص١٧١.

والقضاء، وجميع الأعمال على أن يحمل للخلافة في كل عام مائتي ألف دينار عما مضى، وثلاثمائة ألف عن كل عام للمستقبل[١]، بعد القيام بكل وظائف مصر وأرزاق أجنادها[٢]. كما كان المعتضد يهدف إلى إضعاف الطولونيين عن طريق إفقارهم[٣] وهو ما كان، إذ طلب خمارويه شمعة فاحتبست عليه ساعةً إلى أن احتيلت[٤].

والظاهر أن الظروف كانت تسير لصالح المعتضد إذ قتل خمارويه سنة (٢٨٢هـ/ ٨٩٦م)[٥]. فاختار الجند ابنه جيشاً الذي كان طائشاً مفتقراً للحكمة، والحنكة السياسية، فقدم إليه الأوباش والأحداث، وباعد بينه وبين جند أبيه[٦]، ففارقه أكثرهم إلى المعتضد الذي أحسن استقبالهم[٧]. وفي منتصف رجب سنة (٢٨٣هـ/٨٩٦م) ثار عليه الجند وقتلوه، ونصبوا مكانه أخاه هارون[٨]. وفي عهده اتسع الخرق، وازداد الاضطراب الداخلي بظهور القرامطة في الشام سنة (٢٨٣هـ/٨٩٧م) فأودت المعارك معهم بخيرة جنده وقواده مما أضعف مصر عسكرياً[٩]. وفي ظل اختلال الأوضاع في مصر، ومحاولته إضفاء الشرعية والاستقرار على حكمه طلب

---

(١) الكندي، الولاة، ص٢٣٩-٢٤٠. المقريزي، الخطط، ج١ص٣٢١.

(٢) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج١ص٣١٢. الصفدي، الوافي، ج١٣ص٤١٦-٤١٧.

(٣) ابن بطريق، التاريخ المجموع، ج٢ص٧٢. المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢٨٤. الأربلي، خلاصة الذهب، ص٢٣٦. النويري، نهاية الأرب، ج٢٨ص٣٠.

(٤) التنوخي، النشوار، ج٢ص٣١٤-٣١٥.

(٥) الكندي، الولاة، ص٢٤١. وانظر الطبري، تاريخ، ج٥ص٦١٢. المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢٦٢. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٣٤٣. ابن العبري، تاريخ الدول، ص١٥٠.

(٦) ابن سعيد، المغرب، ج١ص١٤٣-١٤٤. النويري، نهاية الأرب، ج٢٨ص٣٢-٣٣. المقريزي، المقفى، ج٣ص١١٦-١١٧.

(٧) الكندي، الولاة، ص٢٤٢. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٢٨٥.

(٨) الكندي، الولاة، ص٢٤٢. وانظر الطبري، تاريخ، ج٥ص٦١٤. المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٣٧٥. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٣٨٥.

(٩) المسعودي، التنبيه، ص٣٢٣. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٣٩٣. أبو الفداء، المختصر، ج١ص٣٨٠.

هارون بن خمارويه سنة (٢٨٦هـ/٨٩٩م) أن يقره المعتضد على ما في يده بعد أن يتنازل عن أعمال قنسرين، وأن يلتزم بدفع جزية سنوية للخلافة مقدارها أربعمائة وخمسون ألف دينار[١].

ظهرت حركة ذات بعد اقتصادي-اجتماعي طرحت حلولاً عمليةً لمواجهة الظروف الاقتصادية والاجتماعية المتردية في جنوب العراق. يبدو أن الدولة لم تضع حلولاً عمليةً وجذريةً لتحسين الأوضاع في جنوب العراق بعد قضائها على ثورة الزنج، مما أدى إلى اتساع حركة القرامطة التي تزامنت في أواخر فترتها السرية مع ثورة الزنج. كانت بدايتها في السواد على يد داعٍ يدعى الحسين الأهوازي، ويعتبر حمدان بن الأشعث الملقب بقرمط من أهم من استجاب له. وأصل تسمية القرامطة مأخوذ من لقبه وإن اختلف في تفسير معناه[٢].

وحمدان قرمط نبطي من سواد الكوفة[٣]، كان أكّاراً بقّاراً[٤] يحمل غلات السواد على أثوارٍ له[٥]. وصف بالزهد، والديانة[٦]، والدهاء[٧]. ومن منطلق عمله تحديداً كان حمدان أدرى بظروف الناس وأحوالهم لأنه عاش ذات الظروف والأحوال.

قاد حمدان قرمط فعاليات القرامطة بعد الحسين الأهوازي، وفي ظل قيادته تدخل الحركة مرحلةً جديدةً. ويذكر أن بدء فعالياته كانت سنة (٢٦١هـ/٨٧٤م)[٨]، ونشر دعاته في السواد

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٢٨. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٣٩٨. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣٥٢.

(٢) القمي، المقالات، ص٨٣. النوبختي، فرق الشيعة، ص٦١. البغدادي، الفرق، ص٢٤٨. الغزالي، فضائح الباطنية، ص١٢.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٢٨٩-٢٩٠. وانظر، النوبختي، فرق الشيعة، ص٦١. البغدادي، الفرق، ص٢٤٨.

(٤) ابن النديم، الفهرست، ص٢٣٣.

(٥) الطبري، تاريخ،ج٥ص٦٠٢. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٣٦٥. النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص١٨٧.

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٢٩١. الغزالي، فضائح الباطنية، ص١٢. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣٣٥.

(٧) ابن النديم، الفهرست، ص٢٣٣.

(٨) ن.م.، ص٢٣٣.

مستغلاً انشغال الخلافة بثورة الزنج، بالإضافة إلى ضعف الحكومة المركزية، واستقلال البلدان، وخراب العراق[١]. وكان من أبرز دعاته نشاطاً شخص يدعى عبدان ارتبط مع حمدان برباط المصاهرة. وصفه النويري بأنه رجلٌ ذكي فطن ذا فهم وخبث[٢]، ويعتبر من منظري الحركة إذ صنف عدداً من الكتب لها[٣]. كما أخذ حمدان عن كل تابع ديناراً وفرض عليه خمسين صلاةً في اليوم، وسمى اثني عشر نقيباً للإشراف على نشر الدعوة[٤].

بعد ذلك وضع حمدان مجموعة تدابير تكشف لنا عن الجانب الاقتصادي-الاجتماعي حين فرض سلسلةً من الضرائب ابتدأها بإلزام اتباعه على دفع درهم سواء أكان رجلاً أم امرأة أم طفلاً، وسماه بالفطرة، ثم ألزمهم بدفع دينار على كل رأس سماه الهجرة، ثم فرض البلغة بمقدار سبعة دنانير، ثم أخذ منهم خمس ما يملكون حتى أن المرأة كانت تخرج خمس ما تغزل والرجل خمس ما يكسب. ثم فرض عليهم ما سماه بالألفة وهي أن يجمعوا أموالهم في موضع واحد ويكونون فيه سواءً، وعرفهم أنه لا حاجة لهم للأموال لأن الأرض بأسرها ستكون لهم. كما أقام واحداً من دعاته في كل قرية تجمع عنده أموال قريته فيكسو منها عاريهم، وينفق عليهم ما يكفيهم، ولا يبقي بينهم فقيراً ولا محتاجاً ضعيفاً[٥]. وقد قوبلت تدابيره بكل حماس لاسيما أنه جعل ما يعطى للفرد يتناسب وحاجته بينما جعل مركزه الاجتماعي يتناسب وقابلياته لخدمة المجموع[٦]. وهو ذات الجانب الذي ركز عليه الأهوازي حين قال لحمدان: "أمرت أن أدعو أهلها من الجهل إلى العلم، ومن الضلال إلى الهدى، ومن الشقاوة إلى السعادة، وأن أستنقذهم

---

(١) النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص١٢٩.
(٢) ن.م.، ج٢٥ص١٩١.
(٣) ابن النديم، الفهرست، ص٢٣٣.
(٤) زكار، أخبار القرامطة، ص٩. الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٠٢. النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص١٨٨.
(٥) النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص١٩٣-١٩٤.
(٦) الدوري، دراسات، ص١٨١.

من درجات الذل والفقر، وأملكهم ما يستغنون به عن الكد والتعب"[١]. وبعد أن تأكد حمدان من سيطرته على أتباعه حلل لهم ترك الفرائض، ودماء وأموال أعدائهم[٢]. ويبدو أن

حمدان أدرك أن ردة فعل الخلافة ستكون عنيفة لهذا ألزم أتباعه بشراء السلاح منذ سنة (٢٧٦هـ/٨٨٩م)[٣]، ثم بنى داراً محصنة لها سور منيع من ورائه خندق عظيم بقرية تعرف بمهتماباذ سنة (٢٧٧هـ/٨٩٠م)[٤].

مضى قرابة العقدين على نشاط القرامطة والخلافة غافلة عن تحركاتهم. فليس هناك ما يشير إلى نشاطٍ حربي ضد القرامطة، وقد فشا مذهبهم بين فلاحي السواد وعماله[٥]. ولما وقف أحمد بن محمد الطائي، أحد كبار الضمان ملتزمي الضرائب، على أمرهم فرض على كل رجل منهم ديناراً في السنة. فقدم قوم من الكوفة فرفعوا إلى السلطان أمر القرامطة وأنهم أحدثوا ديناً غير الإسلام، وأنهم يرون السيف على أمة محمد إلا من بايعهم، وأن الطائي يخفي أمرهم فلم يلتفت إليهم ولم يسمع منهم[٦].

والظاهر أن القرامطة شعروا بقوتهم فبدءوا بتحركاتهم العسكرية لأول مرة كما يذكر الطبري سنة (٢٧٨هـ/٨٩٢م) بسواد الكوفة[٧]. ويظهر أن بغداد شعرت آنئذ بخطورتهم لأنه لا توجد إشارة إلى ثورة فعلية في تلك السنة[٨]. وفي سنة (٢٨٤هـ/٨٩٧م) قام القرامطة بتحركات

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٢٩١. وأنظر، الغزالي، فضائح الباطنية، ص١٣. النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص١٩٠.

(٢) النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص١٩٥.

(٣) النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص١٩٤.

(٤) ن.م.، ج٢٥ص٢٢٨-٢٢٩.

(٥) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٣٥. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤٠١.

(٦) زكار، أخبار القرامطة، ص١٠. الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٠٢.

(٧) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٠١.

(٨) الدوري، دراسات، ص١٦٤.

صغيرة فقبض على بعضهم[١]. وفي سنة (٢٨٧هـ/٩٠٠م) ثار القرامطة في جنبلاء بين واسط والكوفة[٢]، وقتلوا جمعاً من المسلمين فيهم نساء وصبيان، وأحرقوا المنازل[٣]. فندب المعتضد بدراً غلام الطائي لحربهم، فقتل منهم مقتلًة عظيمةً، ثم تركهم خوفاً على السواد أن يخرب إذ كانوا فلاحيه وعماله[٤].

وفي سنة (٢٨٩هـ/٩٠٢م) انتشر القرامطة بسواد الكوفة فتمكن منهم شبل غلام الطائي، وأسر زعيماً لهم يدعى بأبي الفوارس فأمر المعتضد بقتله[٥]. بعد ذلك هدأت الحركة القرمطية في العراق لتظهر في الشام بزعامة جديدة تمثلت بآل زكرويه.

ظهرت حركة القرامطة بصورة أكثر قوة وتهديداً في البحرين واليمامة. خاصة بعد ظهور أبي سعيد الجنابي الحسن بن بهرام سنة (٢٨٦هـ/ ٨٩٩م)[٦]. ويبدو أن الجنابي كان من اتباع حمدان قرمط[٧]، وشكل تهديدًا للبصرة[٨]، فوجه إليه المعتضد سنة (٢٨٧هـ/٩٠٠م) حملةً عسكريةً قضى عليها قضاءً تاماً[٩]. ثم أخذ الجنابي بتوطيد نفوذه في هجر[١٠] والقطيف وسائر بلاد البحرين[١١].

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٢٥.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢ص١٦٨.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٣٤.

(٤) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٣٥. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤٠١.

(٥) زكار، أخبار القرامطة، ص١٨. الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٣٨. المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢٨٧. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٤٢١.

(٦) زكار، أخبار القرامطة، ص١٣. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٤٠٢. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٣٩٦.

(٧) البغدادي، الفرق، ص٢٤٨. الإسفراييني، التبصير، ص١١٨.

(٨) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٣١. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٤٠٢. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٩١.

(٩) زكار، أخبار القرامطة، ص١٥-١٦. الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٣٢. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٤١١.

(١٠) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٣١. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٤٠٢.ا بن كثير، البداية، ج١١ص٨١.

(١١) ابن العبري، تاريخ الدول، ص١٥١. الصفدي، الوافي، ج١١ص٤١٠.

وبقي المعتضد يتحرق لقتال قرامطة البحرين إذ قال الوزير القاسم بن عبيد الله: "ما زال أمير المؤمنين المعتضد بالله يذكر أمر أبي سعيد في مرضه ويتلهف. فقلت: ما هذا يا أمير المؤمنين قال: حسرة في نفسي كنت أحب أن أبلغها قبل موتي. والله لقد كنت وضعت في نفسي أن أركب ثم أخرج إلى باب البصرة متوجهاً نحو البحرين، ثم لا ألقى أحداً أطول من سيفي إلا ضربت عنقه، وإني أخاف أن يكون من هناك حوادث عظيمة[١].

بقي شرق الخلافة مسرحاً للتنافس بين أطراف مختلفة خاصةً بعد وفاة الأمير نصر ابن أحمد الساماني سنة (٢٧٩هـ/٨٩٣م)[٢]. إذ بدأ رافع بن هرثمة بتوسيع مناطق نفوذه[٣]. كما حاول الزيدية في طبرستان السيطرة على خراسان[٤]. وظن عمرو بن الليث أن الوقت مناسب للتخلص من السامانيين خاصةً بعد قضائه على رافع بن هرثمة سنة (٢٨٣هـ/٨٩٧م)، الذي تحالف مع الزيدية في طبرستان[٥]، بالإضافة إلى وصول خلع وعهد الخليفة بولايته على الري سنة (٢٨٤هـ/٨٩٨م)[٦]. والظاهر أن الخليقة المعتضد حاول ضرب السامانيين بالصفاريين حين أعلن عزل إسماعيل بن أحمد الساماني عن ما وراء النهر وتولية عمرو بن الليث سنة (٢٨٤هـ/٨٩٨م)[٧]. إلا أن عمراً كان يدرك صعوبة ما هو مقبل عليه إذ قال حين وصلته خلع

---

(١) النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص٢٤١.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٠٥. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٣٣١. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٧٦. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٣٧١.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٠٥ و٦١٧. المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢٥٨. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٣٧١-٣٧٣. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣٤٦-٣٤٧.

(٤) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٣٥. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٩٩. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤٠٣. ابن كثير، البداية، ج١١ص٨٣.

(٥) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦١٧. المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢٥٨. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٣٧٢. الذهبي، العبر، ج١ص٤٠٧.

(٦) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٢٥. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٣٩١.

(٧) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٢٧. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣٥١.

الخليفة وعهده: "إن إسماعيل بن أحمد لا يسلم إلي بذلك إلا بمائة ألف سيف"[(١)]. وهو ما كان إذ سحق السامانيون الصفاريين، وأرسلوا عمراً أسيراً إلى بغداد سنة (٢٨٧هـ/٩٠١م). وعندما وصل خبر هزيمة عمرو للمعتضد مدح إسماعيل بن أحمد وذم عمرو بن الليث[(٢)].

استغل الزيدية في طبرستان بقيادة محمد بن زيد أسر عمرو بن الليث الصفار فطمعوا في السيطرة على جرجان، فأرسل الأمير إسماعيل بن أحمد لمحاربتهم محمد بن هارون، وكان الأخير في بداية عهده خياطاً، ثم جمع حوله عدداً من الرعاع، وأهل الفساد وأخذ بقطع الطريق. فاستأمن لرافع بن هرثمة وخدمه، ولما هزم على يد الصفاريين خدم إسماعيل بن أحمد[(٣)]، وتمكن من أسر محمد بن زيد وابنه[(٤)]، فكافأه إسماعيل ابن أحمد وولاه جرجان وطبرستان[(٥)].

يعتبر إسماعيل بن أحمد أعظم الأمراء السامانيين. وهو أول من ملك إقليم خراسان كله سنة (٢٨٧هـ/٩٠١م)، وضم إليه المعتضد كرمان وجرجان[(٦)]. أما فارس فقد أرسل إليها الخليفة بدراً مولاه بعد أن تغلب عليها طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث فدخلها بدر في رجب سنة (٢٨٨هـ/٩٠٢م)، وجبى خراجها[(٧)].

وتغلب يوسف بن أبي الساج على أرمينيا وأذربيجان بعد وفاة أخيه محمداً واليهما سنة (٢٨٨هـ/٩٠٢م). فأقره المعتضد عليهما[(٨)]. وكان محمداً قد تغلب وخالف في أرمينيا وأذربيجان وأقره المعتضد عليهما سنة (٢٨٥هـ/٨٩٩م)[(٩)].

---

(١) الكرديزي، زين الأخبار، ص١٩.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٣٢. المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢٩٣. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٤٠١. ابن الطقطقي، الفخري، ص٢٥١.

(٣) الصابي، المنتزع، ص٥٢-٥٣. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤١٩-٤٢٠.

(٤) الطبري، تاريخ،ج٥ص٦٣٥. المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢٨٣. الصابي، المنتزع، ص٤٨-٤٩. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤٠٣.

(٥) الكرديزي، زين الأخبار، ص٢٣.

(٦) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٣٣٧.

(٧) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٣٦. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤٠٧. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣٥٣.

(٨) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٣٦-٦٣٧. ماديلونغ، أخبار أئمة الزيدية، ص٢٢.

(٩) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٢٨.

لم يجد المعتضد مشكلةً بالعهد لابنه المكتفي علي بن أحمد المعتضد الذي ولد في رجب سنة (٢٦٤هـ/٨٨٠م)، من أم ولد تركية[١]، وكان يضرب المثل بحسنه[٢]. ويوصف بأنه معتدل القامة، حسن الوجه، أسود الشعر[٣]، جدد لـه المعتضد البيعة قبل وفاته بقليل[٤]، ولما توفي في ربيع الآخر سنة (٢٨٩هـ/٩٠٣م) تولى القاسم بن عبيد الله القيام بأعباء البيعة وذلك في (٢٣/ربيع الآخر/٢٨٩هـ/٩٠٣م) حين كان المكتفي غائباً بالرقة[٥]. والغريب أن هذا الوزير حاول صرف الخلافة عن أبناء المعتضد إلا أنه جوبه بمعارضةٍ شديدة من الجيش خاصةً من بدر مولى المعتضد[٦]. ولما خشي من افتضاح أمره تمكن من قتل بدر[٧]، وبدأ يتصرف بناءً على الموقف الجديد فدفع للجند عطاء البيعة[٨]، وقبض على كل من يمكن أن يمثل خطراً أو منافساً للمكتفي[٩].

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤ص١٠١. المسعودي، التنبيه، ص٣٢١.الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٣ص٣١٦. الكتبي، فوات، ج٣ص٥.

(٢) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٢١. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١١ص٣١٦. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٤.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤ص١٠١. القضاعي، عيون المعارف، ص٢٣٤-٢٣٥. الكتبي، فوات، ج٣ص٥.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١١ص٣١٦. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٣. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤١٠.

(٥) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٣٨. المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢٩٢. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١١ص٣١٥. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٥.

(٦) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٣٩-٦٤٠. المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢٩٤. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤١٢-٤١٣.

(٧) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٤٠. المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢٩٤. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٨-١٠. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤١٣-٤١٤.

(٨) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٣٩. الخطيب، البغدادي، تاريخ بغداد، ج١١ص٣١٥. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤١٢. الذهبي، تاريخ الإسلام (٢٨١-٢٩٠هـ)، ص٣٧.

(٩) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٠ص٩٧. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤١١.

كان المكتفي أكثر مرونة وليناً من والده المعتضد، وكان محبوباً لسماحته[١]، وتقرب للناس بهدمه لسجون والده في نطاق دار الخلافة واتخذ موضعها مسجداً[٢]. ويذكر أنه لم يكن بحزم أبيه فوقع تحت تأثير وزرائه، والمقربين إليه خاصةً فاتك مولاه[٣]، واهتم كأبيه بالبناء والعمارة إذ أكمل بناء قصر التاج[٤]. وابتلي بعدد كبير من الأعداء تمكن من مواجهتهم بكل شجاعة[٥] وعلى رأسهم القرامطة.

بعد وفاة المعتضد ثار القرامطة من جديد ولكن في الشام بزعامة زكرويه بن مهرويه ولا يُعرف على وجه التأكيد ما الذي حصل لحمدان وعبدان اللذين طمس ذكرهما. وزكرويه هذا يصفه النويري بأنه شاب فيه ذكاء وفطنة، من قرية بسواد الكوفة يقال لها المنسانية[٦]. ويقول عنه الطبري بأنه كان داعية قرمط[٧].

أرسل زكرويه ابنه أبا القاسم الذي تلقب بالشيخ إلى الكلبيين، وانتسب إلى محمد ابن إسماعيل بن جعفر الصادق، فلم يتبعه سوى فخذ منهم معروف ببني العليص بن ضمضم[٨]، وجماعة من بني الأصبغ تسموا بالفاطميين[٩]. فقصدهم سبك الديلمي بناحية الرصافة على

---

(١) Muir, The Caliphate, p557.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٣٩. المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢٩٣. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٦. ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص١٦٨-١٦٩.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢٩٣.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص١٩٩. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٣٣٥. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢ص٣٠٥

(٥) E. I. (Al Muktafi), vol III, P720.

(٦) النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص١٩٢.

(٧) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٤٢.

(٨) ابن النديم، الفهرست، ص٢٣٣. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٠٨. النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص٢٤٧.

(٩) الطبري،تاريخ، ج٥ص٦٤٢. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤٠٩. النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص١٩١.

الفرات قرب الرقة[١] سنة (٢٨٩هـ/٩٠٢م) فقتلوه، وأحرقوا مسجد الرصافة[٢]. ثم ساروا إلى الشام وواليها طغج بن جف، الذي يبدو أنه استهان بهم فلم يستعد بما يكفي؛ فهزم وحوصر بدمشق إلى أن جاءه المدد من مصر بقيادة بدر الحمامي فتمكنوا من هزيمة القرامطة، وقتل يحيى بن زكرويه سنة (٢٩٠هـ/٩٠٣م)[٣].

فخلفه أخوه الحسين بن زكرويه مظهراً شامة في وجهه على أنها آيته، ولقب ابن عم له يدعى عيسى بن مهرويه بالمدثر، وغلاماً من أهله بالمطوق[٤]. فسار إلى دمشق حيث صالحه أهلها على مال دفعوه إليه، وتغلب على حمص[٥] وخطب له على منابرها، وتسمى بإمرة المؤمنين وبالمهدي[٦]. ثم سار إلى حماة، ومعرة النعمان، وبعلبك والقتل والسلب يرافقه في أي موضع يطأه. وسار إلى سلمية فغدر بأهلها وقتلهم أجمعين، وخرج منها وليس فيها عين تطرف وذلك سنة (٢٩٠هـ/٩٠٣م)[٧].

وازداد خطره خاصةً بعد قضائه على حملة قوامها ١٠،٠٠٠ أرسلها المكتفي بقيادة أبي الأغر خليفة بن المبارك السلمي قرب حلب سنة (٢٩٠هـ/٩٠٣م)[٨] فضج أهل الشام من فظائعه، واستنجدوا بالمكتفي فخرج بنفسه إلى الرقة، وأرسل جيوشه تباعاً بقيادة محمد ابن

---

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان. ج٣ص٥٩.

(٢) الطبري، تاريخ،ج٥ص٦٤٣. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤٠٩. النويري، نهاية الارب، ج٢٥ص٢٤٧.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٤٢. المسعودي، التنبيه، ص٣٢٢. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤٠٩. النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص٢٤٦.

(٤) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٤٢-٦٤٣. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤١٧. النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص٢٤٩.

(٥) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٤٣. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤١٧.

(٦) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٤٥. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٦. النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص٢٤٩.

(٧) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٤٥. المسعودي، التنبيه، ص٣٢٣. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص١٥. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤١٧.

(٨) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٤٨. المسعودي، التنبيه، ص٣٢٣. النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص٢٤٩.

سليمان الكاتب سنة (٢٩١هـ/٩٠٤م) فالتقى الطرفان في موضع قرب حماة وانتهت المعركة بهزيمة القرامطة، وهرب صاحب الشامة مع المدثر والمطوق، ثم قبض عليهم وهم يحاولون الحصول على الطعام في دالية ابن طوق على الفرات، وقتل صاحب الشامة سنة (٢٩٢هـ/٩٠٥م)[١].

بعد القضاء على القرامطة مؤقتاً قام المكتفي بخطوةٍ سريعةٍ، فقد صدر الأمر إلى جيش محمد بن سليمان بمهاجمة مصر وتمكن خلال بضعة أشهر من القضاء على حكم الطولونيين فيها سنة (٢٩٢هـ/٩٠٥م)[٢]. وساعد على تحقيق هذا النصر اضطراب أحوال مصر الداخلية، إذ انقسم البيت الطولوني على نفسه حين كاتب بعض الجند ربيعة بن أحمد بن طولون ودعوه للولاية[٣]، بالإضافة إلى انضمام كثير من القادة المصريين من أمثال بدر الحمامي، وطغج ابن جف وأخيه بدر وغيرهم بجنودهم لقوات الخلافة[٤]، واشتراك القوات البحرية من الثغور وطرسوس إلى جانب قوات الخلافة البرية[٥].

في الواقع إن اختيار محمد بن سليمان لقيادة الجيوش إلى مصر يعتبر اختياراً موفقاً، إذ كان أحد صنائع أحمد بن طولون[٦]، وبالتالي لابد أنه كان على معرفةٍ دقيقةٍ بأحوال مصر. قام محمد بن سليمان بالتخلص من القوات الطولونية حيث بعث بطغج والياً على قنسرين، وبدر

---

(١) زكار، أخبار القرامطة، ص٢٣-٢٥. الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٥١. النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص٢٥١-٢٥٣.

(٢) الكندي، الولاة، ص٢٤٧. وانظر الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٥٧. المسعودي، التنبيه، ص٣٢٣-٣٢٤. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤٢٣.

(٣) الكندي، الولاة، ص٢٤٤-٢٤٥.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤٢٤. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣٥٥. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣ص١٢٣.

(٥) الكندي، الولاة، ص٢٤٥-٢٤٦. القلقشندي، مآثر الإنافة، ج١ص٢٧٠. ابن خلدون، العبر، ج٣ص ٣٥٥. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣ص١٢٤.

(٦) المقريزي، الخطط، ج١ص٣٢٧. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣ص١٢٦-١٢٧.

الحمامي على دمشق، وأخرج معهما عدداً من جند بني طولون[١]، ثم أخرج ولد أحمد بن طولون وهم بضعة عشر رجلاً، واستصفى أموالهم[٢]. ويذكر أن محمد بن سليمان اتبع سياسة الشدة في مصر[٣] حتى استتب له الأمر.

لم ينتظم أمر مصر تماماً بعد خروج محمد بن سليمان منها. إذ ظهر رجل يدعى محمد ابن علي الخلنجي من الجند المصريين دعا إلى نصرة آل طولون، وإحياء دولتهم فانضم إليه عدد كبير ممن تشتتوا عن بلادهم[٤]. وأحكم سيطرته على مصر حتى ألجأ قوات الخلافة إلى الإسكندرية، وأقام بمصر ينظم شؤونها، ويجبي خراجها[٥]. عندئذ استنفر المكتفي كافة قواته في الشام لحرب الخلنجي سنة (٢٩٣هـ/٩٠٦م)[٦] حتى أن الخليفة تهيأ بنفسه لمحاربته لولا وصول الأخبار بهزيمته، والقبض عليه، وأُرسل إلى بغداد[٧].

في أثناء انشغال جيوش الخلافة في مصر ظن القرامطة أن الفرصة مواتية لاستعادة مواقعهم، فأنفذ زكرويه سنة (٢٩٣هـ/٩٠٦م) رجلاً يدعى أبا غانم نصر بن عبد الله بن سعيد بصفته معلماً للصبيان فدار على أحياء من كلب، فلم يقبله إلا رجل من بني زياد يدعى مقدام ابن الكيال، وطائفة من بني الأصبغ، والعليصيين، وصعاليك من سائر بطون كلب. فسار إلى بصرى وأذرعات والثنية يقتل، ويسبي، وينهب لانشغال جيوش الخلافة بحرب الخلنجي، ومضى صوب دمشق وقتل عساكرها إلا أن أهلها منعوه الدخول، ثم سار بقواته إلى طبرية وقتلوا واليها وأهلها

---

(١) الكندي، الولاة، ص٢٤٨.

(٢) ن.م.، ص٢٤٨. وانظر الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٥٧. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤٢٤. المقريزي، الخطط، ج١ص٣٢٢.

(٣) الكندي، الولاة، ص٢٤٧. المقريزي، الخطط، ج١ص٣٢٢. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣ص١٢٥-١٢٦.

(٤) المقريزي، الخطط، ج١ص٣٢٧.

(٥) ن.م.، ج١ص٢٦٠-٢٦٢.

(٦) أبو الفداء، المختصر، ج١ص٣٨٤. ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج١ص٢٩٣.

(٧) الكندي، الولاة، ص٢٥٩-٢٦٢. وانظر الطبري، تاريخ، ج٥ص٣٦٣. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤٢٥-٤٢٨.

غدراً. فأنفذ المكتفي الحسين بن حمدان فتتبعهم إلى صحراء سماوة لكنه رجع لقلة الماء[١]. ثم سار القرامطة إلى هيت فنهبوها فأرسل المكتفي الحسين بن حمدان لحربهم مرةً أخرى ومعه محمد بن إسحاق بن كنداج، فأصبح القرامطة بين فكي كماشة، وعندئذ تقربوا للخليفة بقتل أبي غانم، وطلبوا الأمان. فانقسم القرامطة على أنفسهم[٢]، وأمام انشقاق، وتخاذل القرامطة. رأى زكرويه ضرورة تدارك الوضع فأرسل إليهم رجلاً من أكرة أهل السواد يدعى القاسم بن أحمد ابن علي وأعلمهم بغضب زكرويه، وأنهم قد ارتدوا عن الدين، وأن وقت ظهورهم قد حان، وقد بايع لزكرويه بسواد الكوفة أربعون ألف، وأنه يأمرهم بالمسير إلى الكوفة. وقاد زكرويه الجيوش بنفسه سنة (٢٩٣هـ/٩٠٦م) نحو الكوفة لكن أهلها ردوهم، واستنجدوا بالمكتفي الذي أرسل جيوشه وفيها خيرة جنده وقواده مثل طاهر بن علي، ووصيف بن صوارتكين، والفضل ابن موسى بن بغا، وبشر الخادم، وجني الصفواني وغيرهم، والتقى الطرفان على بعد أربعة أميالٍ من القادسية في ذي الحجة من سنة (٢٩٣هـ/٩٠٦م) فتمكن القرامطة من هزيمتهم[٣].

وفي سنة (٢٩٤هـ/٩٠٧م) شرع القرامطة بمهاجمة قوافل الحاج حتى قيل أنهم قتلوا نحو ٢٠،٠٠٠حاج، وحازوا من الأمتعة الفاخرة ما قيمته مليون دينار[٤]، وفي رواية مليوني دينار[٥]. وفي بداية ربيع الأول من سنة (٢٩٤هـ/٩٠٧م) أنهض المكتفي وصيف ابن صوارتكين ومعه جماعة من القواد، وانتصر على القرامطة في معركةٍ حاسمةٍ، وأسر زكرويه

---

(١) زكار، أخبار القرامطة، ص٢٦-٢٧. الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٦٤.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٥٩. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١١٧-١١٩. النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص٢٥٨-٢٦٠.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٦١. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٤٤-٤٥. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤٢٩. النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص٢٦٢-٢٦٤.

(٤) الذهبي، دول الإسلام، ج١ص٣٠. العبر، ج١ص٤٢٥. وانظر، اليافعي، مرآة الجنان، ج٢ص١٦٦.

(٥) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٦٥-٦٦٦. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٤٩. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣ص١٧٧-١٧٨.

وهو جريح مع خاصته[١]. يعتبر انتصار وصيف ضربةً حاسمةً لهذا الفرع لكنها لم تستأصل شأفتهم وبقيت لهم شراذم متفرقة متكتمة[٢] رغم أن المكتفي أرسل الحسين بن حمدان لتتبع فلولهم[٣].

لقد كانت الحركة القرمطية ذات بعد اقتصادي واجتماعي وذلك بالنظر إلى الجماعات التي انضمت إليها من فلاحي وعمال السواد، وبعض العوام، وأصحاب الحرف الذين كانوا جهلةً لا يفهمون الشريعة[٤]، وهذا الجهل جعلهم لقمةً سائغةً للدعوة القرمطية، كما انضم للحركة قبائل جنوب العراق، وبادية الشام الذين كان فقرهم مضرب المثل[٥]. ذهب القرامطة إلى أن الدين هو سبب استعباد الناس، وشقائهم مادياً[٦] لهذا دعوا إلى التحلل من الفرائض إذ قالوا أن النعيم هو "نعيم الدنيا ولذاتها التي حرمها على هؤلاء الجهال، الذين تمسكوا بشرائع قومٍ من المتنبئين"[٧]، وأن الجنة هي نعيم الدنيا، وما النار والعذاب إلا الفرائض والالتزامات الدينية"[٨]. ومن هنا اعتقد حمدان قرمط أنه لا يستطيع إزالة التذمر الاقتصادي والاجتماعي إلا بإنشاء المساواة المالية. وخير وسيلة لذلك هي اشتراكية المال وذلك من خلال مجموعة التدابير المالية التي اتخذها

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٦٧. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٥٠. النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص٢٧٤.

(٢) الدوري، دراسات، ص١٧١.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٦٨. المسعودي، التنبيه، ص٣٢٤-٣٢٦.

(٤) الغزالي، فضائح الباطنية، ص٣٤. البغدادي، الفرق، ص٢٦١. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٢٩٤.

(٥) الدوري، دراسات، ص١٧٨-١٧٩.

(٦) ن.م.، ص١٨٠.

(٧) الإسفراييني، التبصير، ص١٢١.

(٥) البغدادي، الفرق، ص٢٥٧ و٢٦٢.

حمدان، كما أن هذه الحركة تظهر العيوب الاقتصادية والاجتماعية التي كانت منتشرة في المجتمع الإسلامي[١].

في ذات الوقت سارت الدعوة القرمطية بنشاط في اليمن على يد رجل ذهب من كربلاء يدعى ابن حوشب وتلقب بمنصور اليمن، وعلى يد علي بن الفضل وذلك سنة (٢٦٦هـ/٨٧٩م)[٢]. وأصبحت دعوتهم علنية سنة (٢٧٠هـ/٨٨٢م)، وحقق كلاهما نجاحاً عظيماً في اليمن حتى تمكنا من السيطرة على سائر مدنها[٣]. وفي رجب من سنة (٢٩٣هـ/٩٠٦م) ورد على الخليفة أن أهل اليمن قد حاربوهم وهزموهم، فخلع المكتفي في شوال من ذات السنة على مظفر بن الحاج، وعقد له على اليمن[٤].

وللتخلص من مؤنة الأعراب، وإفسادهم، ولى المكتفي الحمدانيين الموصل سنة (٢٩٣هـ/٩٠٦م)[٥].

أما الأقاليم الشرقية فقد عقد المكتفي سنة (٢٩٠هـ/٩٠٣م) لطاهر بن محمد بن عمرو ابن الليث على فارس لقاء مال يحمله[٦]. وكان الوزير القاسم بن عبيد الله قد قوطع على فارس لقاء أربعة ملايين درهم[٧].

---

(١) الدوري، دراسات، ص١٧٨.

(٢) الزبيدي، قرة العيون، ،ج١ص١٧٩-١٨٧.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٥٩. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٤٤.

(٤) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٦٣ و٦٦٩. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١١٧. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤٣١.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤٢٦-٤٢٧. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣٥٦.

(٦) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٤٤. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١١١. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤٢٠. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣٥٧-٣٥٨.

(٧) مسكويه، تجارب الامم، ج١ص١٨.

وأقر المكتفي إسماعيل بن أحمد الساماني على ما ولاه المعتضد وأضاف إليه الري[١]. إلا أن بعض النواحي شهدت اضطرابات بعد خروج محمد بن هارون على سيده الساماني في الري سنة (٢٨٩هـ/٩٠٢م)، وإعلانه الولاء للزيدية[٢] الذين بدأ نشاطهم بالظهور من جديد على يد الحسن بن علي بن عمر الملقب بالأطروش، لأنه فقد سمعه بسبب التعذيب في سجون السامانية، ولما هرب من سجنه لزم محمد بن زيد، وعندما هزم الأخير على يد السامانيين هرب الأطروش إلى بلاد الديلم، وبدأ بدعوتهم إلى الإسلام حتى علت منزلته بينهم[٣]. وتمكن من الاستقلال بطبرستان وتلقب بالناصر للحق[٤]. ثم أوكل شؤون الحكم للحسن بن القاسم أحد أتباعه المخلصين، وكان قد عهد إليه وبقي والياً على طبرستان حتى قتل سنة (٣١٦هـ/٩٢٥م)[٥]. أما محمد بن هارون فقد قضي على تمرده وسجن[٦].

وفي أصبهان سنة (٢٩٥هـ/٩٠٨م) تمرد واليها عبد الله بن إبراهيم المسمعي. فوجه إليه المكتفي منصور بن عبد الله بن منصور الكاتب فناظره، وخوفه عاقبة الخلاف، فرجع إلى طاعة السلطان، فوصله الخليفة وخلع عليه[٧].

إن ما قام به المعتضد والمكتفي أدى إلى استعادة الخلافة لهيبتها، وبعض سلطتها. وظهر نوع من التحديد الواضح لمهام وصلاحيات مؤسسات الدولة.

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٤٤. المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٣٣٧.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٣٩. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤١٢. الذهبي، تاريخ الإسلام (٢٨١-٢٩٠هـ)، ص٣٧. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣٥٤-٣٥٥.

(٣) الصابي، المنتزع، ص٤٩-٥٢. ماديلونغ، أخبار ائمة الزيدية، ص٢٣.

(٤) الصابي، المنتزع، ص٥٠. وانظر الأصفهاني، تاريخ سني، ص١٧٣-١٧٤.

(٥) الصابي، ا لمنتزع، ص٦١-٦٦. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص٤٢-٤٥. ماديلونغ، أخبار ائمة الزيدية، ص٣٠.

(٦) الصابي، المنتزع، ص٥٢-٥٣. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١١١. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤١٩-٤٢٠.

(٧) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٦٩.

ثانياً: الأوضاع المالية:

إن معاناة الخلافة من أزمةٍ ماليةٍ لم يكن وليد ظروف راهنة بل نجد أن جذورها تمتد بشكل أساسي لفترة التسع سنوات (٢٤٧-٢٥٦هـ/٨٦١-٨٦٩م) نتيجة استبداد الأتراك، واستئثارهم بالأموال، بالإضافة إلى طمع الحرم. فعندما أفضت الخلافة للمستعين سنة (٢٤٨-٢٥٢هـ/٨٦٢-٨٦٦م) أطلق يد أوتامش، وشاهك الخادم في بيوت الأموال، كما لم يمنع نفسه عن شيءٍ تريده، وما كان يفضل يصير لابنه العباس، بل أن موظفي وكتاب الدولة لم يتورعوا عن انتهاب الأموال[1].

فقد وجد في بيت مال أم المستعين مليون دينار، وفي بيت مال ابنه العباس ٦٠٠،٠٠٠ دينار. مقابل ٥٠٠،٠٠٠ دينار في بيت مال العامة[2]. وكلفت الفتنة التي وقعت بين المعتز والمستعين سنة (٢٥١هـ/٨٦٥م) خزينة الدولة ١٣٠،٠٠٠ دينار[3].

ولم تكن خلافة المعتز سنة (٢٥٢-٢٥٤هـ/٨٦٧-٨٦٩م) بأحسن حالاً إذ خلت بيوت الأموال من المال، وكثر في عهده اضطراب الجند وشغبهم، فتمكن المعتز سنة (٢٥٤هـ/ ٨٦٩م) من التخلص من بغا الشرابي لاستئثاره بالمال والحكم[4]. وفي المقابل وجد لقبيحة أم

---

(١) ن.م.، ج٥ص٣٥٨. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٢١-٢٢. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص١٥٤. الذهبي، العبر، ج١ص٣٦١.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٥ص٣٧٠. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٤٣. ابن الزبير، الذخائر، ص٢٣٨.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٤٤.

(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢ص٦٤٨. الطبري، تاريخ، ج٥ص٤٢٥. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٧٠ و٧٣. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٢٩١ و٢٩٣.

المعتز مليون دينار، وجوهر لم ير مثله عند المتوكل أو غيره قدرت قيمته بمليوني دينار، وعرضت ابنها للقتل حين امتنعت عن إعطائه ٥٠،٠٠٠ دينار[(١)].

حاول المهتدي عندما تولى الخلافة سنة (٢٥٤-٢٥٦هـ/٨٦٨-٨٧٠م) اتباع سياسة التقشف، وتقليل النفقات لكنه لم ينجح[(٢)]. كما ساهم تقلص أراضي الخلافة ووارداتها، والأزمات والفتن في استنزاف موارد الدولة، وتخريب الكثير من القرى والأراضي الزراعية.

شعر الموفق بهذه الأزمة خاصةً أثناء ثورة الزنج وبعدها[(٣)]. وحاول الحصول على بعض المال بالمصادرات. ففي الوقت الذي كانت فيه خزينة الدولة تعاني الإفلاس كان وزراء الدولة وكتابها يتمتعون بالثراء. إذ صولح سليمان بن وهب وابنه عبيد الله سنة (٢٦٤هـ/٨٧٨م) على ٩٠٠،٠٠٠ دينار[(٤)]، واستخرج من جهبذ سليمان بن وهب ٨٠،٠٠٠ دينار دفعةً أولى، ثم استخرجت منه أموال كثيرة[(٥)]. ووجد لصاعد بن مخلد لدى مصادرته من الرقيق، والمتاع، والسلاح، والآلات ما قيمته ٣٠٠،٠٠٠ دينار، ومبلغ غلته في سائر ضياعه مليون وثلاثمائة ألف دينار[(٦)]، ووجد لـــه أربعة آلاف رأس من الدواب والبغال، ونحو أربعة آلاف غلام من الخدم، والفحول، والأتراك، والسودان[(٧)]، مقابل ٥٠،٠٠٠ دينار من النقد وهو كل ما كان يملكه في خلافة المعتز (٢٥٢-٢٥٤هـ/٨٦٧-٨٦٩م)[(٨)]. ووجد لأخيه وزوجته وابنه وغلامه مليون

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٥ص٤٣٤. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٨٠. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٢٠٢.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٥ص٤٣٤. ابن بطريق، التاريخ المجموع، ج٢ص٦٨. ابـن الجـوزي، المنـتظم، ج١٢ص٨١. ابن الطقطقي، الفخري، ص٢٤٢.

(٣) التنوخي، النشوار، ج٨ص١٥٣-١٥٥.

(٤) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٢٠.

(٥) التنوخي، النشوار، ج٨ص٩٨-١٠٠.

(٦) المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢٢٢-٢٢٣.

(٧) ابن الزبير، الذخائر، ص٢٢٩.

(٨) التنوخي، النشوار، ج٨ص٧٩.

دينار[١]. كما صادر الموفق سنة (٢٧٣هـ/٨٨٧م) لؤلؤ غلام أحمد بن طولون على ٤٠٠،٠٠٠ دينار[٢]. وفي سنة (٢٧٥هـ/٨٩٠م) صادر أحمد بن محمد الطائي المتسبب بالغلاء الذي أصاب بغداد سنة (٢٧٢هـ/٨٨٦م) لخزنه الحبوب حتى ترتفع أسعار الغلات[٣]. كما حاول الموفق تغطية بعض النفقات عن طريق القروض من التجار والعمال[٤]. وانتهج وزراء المعتمد سياسة تتماشى والأوضاع المالية للدولة، فقد كان عبيد الله بن خاقان ينفق من ماله الخاص حوالي ستمائة ألف دينار[٥]، وحاول الحسن بن مخلد السير على سياسة تقليل النفقات[٦].

يبدو أن حلـول الموفق كانت آنيـةً ومحدودة. إذ أن أهم مشكلةٍ ملحةٍ واجهت المعتضد إفلاس خزينة الدولة فكان لابد من تدبير النفقات العاجلة للخلافة والتي قدرت بـ ٧،٠٠٠ دينار يومياً، إضافةً إلى الحاجات الأساسية[٧].

كان لابد من الالتفات إلى الزراعة. فقد كان الخلفاء والوزراء يدركون العلاقة الوثيقة بين الدخل وحالة الزراعة، وبالتالي فإن النشاط الزراعي يعني زيادة الوارد[٨]. فقام المعتضد بمجموعة إصلاحات هامة ففي سنة (٢٨٢هـ/٨٩٦م) تم تصحيح وقت جباية الخراج إذ عدل موعد افتتاحه من (١١/نيسان إلى١١/حزيران) وسمي الموعد الجديد بالنوروز المعتضدي[٩]. وذلك رفقاً بالناس حتى لا يطالبوا بالخراج قبل إدراك الثمر، وحصول الغلات[١٠]. كما كان

---

(١) الشابشتي، الديارات، ص٢٧٢. ابن الزبير، الذخائر، ص٢٢٩.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٩٤. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٦١.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٩٦.

(٤) الشابشتي، الديارات، ص٢٧١.

(٥) ابن العمراني، الأنباء، ص١٣٧.

(٦) عمر، الخلافة العباسية، ص٩٢.

(٧) الصابي، الوزراء، ص١٣-١٤.

(٨) الدوري، تاريخ العراق، ص٥٠.

(٩) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦١٠. البيروني، الآثار الباقية، ص٣٢-٣٣. أبو هلال العسكري، الأوائل، ص٣٩٤.

(١٠) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦١٠. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٣٤٣. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٩٩. القلقشندي، مآثر الإنافة، ج١ص٢٦٤-٢٦٥.

يحرص على كري القنوات، وإصلاح البثوق[١]، وأمر بتسليف الحبوب للفلاحين[٢]. وقام بإزالة الضرائب الجائرة تخفيفاً عن الناس. فألغى سنة (٢٨٣هـ/٨٩٧م) ضريبة الإرث وديوان المواريث، وأمر برد الفاضل من سهام المواريث إلى ذوي الأرحام[٣]. ويبدو أن هذه الضريبة فرضت لأول مرة زمن المعتمد[٤]. كما أسقط المكوس وهي ضرائب كانت تفرض على البضائع الواردة[٥] إلى الحرمين[٦].

وأعيد تنظيم ديوان الخراج حيث أنشيء ديوان جديد سمي بديوان الدار[٧] وأحياناً بديوان الدار الكبير[٨]، ويتألف بشكل أساسي من مجلسين هما: مجلس خاص بأعمال المشرق،

ومجلس خاص بأعمال المغرب. إلا أن هذا الديوان لم يستقر على هذه الصورة إذ قام الوزير عبيد الله بن سليمان بتحويل المجلسين السالف ذكرهما إلى ديوانين منفصلين باسم ديوان المشرق برئاسة محمد بن داود بن الجراح، وديوان المغرب برئاسة علي بن عيسى[٩]. ثم ضم ديوان

---

(١) الصابي، الوزراء، ص٢٧٨-٢٨٠.
(٢) ن.م.، ص٣٩٤.
(٣) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦١٤. الصابي، الوزراء، ٢٦٨. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٣٥٩-٣٦٠. عباس، شذرات من كتب مفقودة، ص٤٢١.
(٤) الصابي، الوزراء، ص٢٧٠.
(٥) ابن منظور، لسان العرب، ج٦ص٢٢٠. الزبيدي، تاج العروس، ج١٦ص٥١٤.
(٦) القضاعي، المعارف، ص٢٣٢. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٧٥. الدواداري، كنز الدرر، ج٥ص٢٩٤. ابن ظافر الأزدي، أخبار الدول المنقطعة، ج٢ص٣٧٣.
(٧) الصابي، الوزراء، ص١٤٨. ميتز، الحضارة الإسلامية، ج١ص١١٤.
(٨) الصابي، الوزراء، ص٢٨٥.
(٩) الصابي، الوزراء، ص١٤٨-١٤٩. وانظر الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٣٠. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٣٩٨. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣٥٤.

السواد إلى ديوان الدار[١]. فأصبح يتألف من ديوان المشرق، وديوان المغرب، وديوان السواد، وكان لديواني المشرق والمغرب زمام واحد لمراقبتهما والإشراف عليهما[٢].

هذا الإجراء كان لابد منه في الوقت الذي كانت فيه الدولة تعاني من عجز مالي، وتقلص في نفوذها السياسي مما كان يستدعي تقليص الماكنة الإدارية ضمن الظروف المستجدة للتخفف من الأعباء المالية غير الضرورية.

ولتحقيق بعض الوفر في النفقات تم منح الموظفين الحكوميين عطلةً إضافيةً هي يوم الثلاثاء غير مدفوعة الأجر، فبلغ مقدار الوفر من هذا الإجراء ثمانية وثلاثين ألف ومائة وعشرين دينار شهرياً، وأربعمائةٍ وسبع وخمسين ألف دينار وتسعمائة وعشرين دينار سنوياً[٣].

كما سار المعتضد على سياسة تقليل النفقات فأنقص عن كل من كان يجري عليهم الأنزال أوقية عن كل رغيف[٤]. كما سعى لتغطية بعض النفقات عن طريق القروض[٥]. والواقع أن سد حاجة خزينة الدولة المركزية كان يتطلب تدابير أشد فعالية، ومن هنا عمد الوزير عبيد الله بن سليمان إلى إطلاق سراح ابني الفرات أبو العباس أحمد وأبو الحسن علي من السجن، وهما المعروفان بالكفاية، والضبط، والخبرة بالحساب والأعمال[٦]. فبدأ ابنا الفرات اتصالاتهما سريعاً مع رجل من طي ء يدعى أحمد بن محمد، وعقدا لـــه الضمان على المناطق المجاورة لبغداد مقابل دفع ٧،٠٠٠ دينار يومياً، و٦،٠٠٠ دينار شهرياً وهذه نفقات دار الخلافة على وجه الاقتصاد[٧].

---

(١) الصابي، الوزراء، ص٢٨٥.

(٢) ن.م.، ص٧٧. ميتز، الحضارة الإسلامية، ج١ص١١٤-١١٥.

(٣) الصابي، الوزراء، ص٢٧.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢٤٦-٢٤٧.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٣٢٤.

(٦) الصابي، الوزراء، ص١٢-١٣.

(٧) الصابي، الوزراء، ص١٣-١٤. ابن الأبار، إعتاب الكتاب، ص١٨٠-١٨٢.

كما كان أبو العباس أحمد بن الفرات يسأل المعتضد عدم إقطاع الأراضي الزراعية كهباتٍ وصلات[١]. وثناه عن عزمه على القيام ببعض الإنشاءات الجديدة مبيناً تكلفتها الباهظة، وتأثير ذلك على خزينة الدولة[٢]. ولجأت الدولة إلى المصادرات –التي ستصبح جزءاً من العمل الإداري وموردًا هاماً للخزينة– التي كانت تطال العمال بشكل أساسي. وكان المعتضد يتشدد في حفظ نفوس من يصادرهم لأنهم: "أكابر العمال الذين قامت هيبتهم في نفوس الرعية، وعرفوا أقطار الأرض، وهم أركان الدولة، وأنداد الوزارة والمرشحون لها. فإن لم تحفظ نفوسهم وضع ذلك من الأمر وأثر فيه"[٣]. ولما عجز أحمد بن بسطام عن أداء ضمانه ألزمه المعتضد ووكل به. فلما علم أنه يفرق في كل شهر على المستورين والفقراء عشرين كراً[٤] حنطةً ودقيقاً، أسقط عنه ما بقي عليه، ورده لعمله[٥]. وكثيراً ما كان المعتضد يمتنع عن المصادرة إذا علم أن الرجل صاحب مروءة، وعفةٍ لا يرتفق بشيء ولا يجاوز رزقه[٦].

ويتلازم مع المصادرات المرافق وهي الرشاوى[٧]، وكثيراً ما كانت تدفع لتجنب مظالم العمال[٨]. وقد بلغ مرفق أحد العمال من رجل واحد نصف ارتفاع ضيعته حتى أن ابن الفرات استنكر ذلك واستكثره فأخذ خطه على سبعة آلاف دينار أدى منها أربعة آلاف دينار[١].

وفي سنة (٢٨٣هـ/٨٩٦م) تم عقد اتفاقية مع الطولونيين يدفعون بموجبها ما مقداره ٤٥٠،٠٠٠ دينارٍ سنوياً بالإضافة إلى تخليهم عن قنسرين[٢].

---

(١) الصابي، الوزراء، ص٢٧٨.
(٢) ن.م.، ص٢٨٠-٢٨١.
(٣) التنوخي، النشوار، ج٨ص٩٢.
(٤) الكر: يساوي ٢,٩ طن تقريباً في الوقت الحالي. هنتس، المكاييل، ص٧٠.
(٥) التنوخي، النشوار، ج٨ص١١٥.
(٦) ن.م.، ج٨ص١٦٨.
(٧) ابن منظور، لسان العرب، ج١٠ ص١١٨.
(٨) التنوخي، النشوار، ج٨ص٢٧٠-٢٧١.

هذه الإجراءات آتت أكلها إذ بلغ ارتفاع السواد أكثر من مليون دينار حتى ظن البعض أنه أصبح قريباً مما حصل زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٣]. كما استفضل المعتضد بعد النفقات ما مقداره تسعة ملايين دينار كان يرغب في أن يتمها إلى عشرة ملايين دينار ثم يسبكها بسبيكةٍ واحدة ويلقيها أمام باب العامة؛ ليبلغ أصحاب الأطراف أن لــه عشرة ملايين دينار وهو مستغنٍ عنها[٤]. وخلّف من الورق مليون دينار، ومن الدواب والبغال والجمال... اثني عشر ألف رأس[٥].

وقد أجمل المسعودي النتائج الظاهرة لسياسة المعتضد بقوله "لما أفضت الخلافة إلى المعتضد سكنت الفتن، وصلحت البلاد، وارتفعت الحروب، ورخصت الأسعار، وهدأ الهرج"[٦].

يبدو أن هذه الإجراءات والتغييرات لم تقدم حلولاً جذريةً للمشكلة المالية، كما أنها لم تفضِ إلى تحسين أوضاع المجتمعات الزراعية التي تحملت العبء الأكبر من دفع الضرائب، ووقع على كاهلها ظلم الجباة والعمال. فالمعتضد نفسه صاحب هذا البناء الضخم واجه في السنوات الثلاث الأخيرة من حكمه مشكلةً جديدةً تمثلت بالإنفجار المفاجيء في جنوب العراق، وهي المنطقة التي أعيد إليها الهدوء منذ فترة قريبة، وتمثل ذلك بفعاليات القرامطة الذين حاولوا عملياً إزالة التذمر الاقتصادي والاجتماعي، وتحقيق العدالة الاجتماعية، وإنشاء الرفاه المادي[٧].

---

(١) التنوخي، النشوار، ج٨ص١٨٨-١٨٩.

(٢) مجهول، العيون، ج٤ق١ص٨٩. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣٥٢.

(٣) الصابي، الوزراء، ص٢٠٩.

(٤) ن.م.، ص٢٠٩-٢١٠. وانظر المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢٤٦-٢٤٧. ابن الجوزي، المنــتظم، ج١٢ص٣٢٤.

(٥) المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢٤٦-٢٤٧.

(٦) ن.م.، ج٤ص٢٤٦-٢٤٧.

(٧) الدوري، دراسات، ص١٨٠-١٨١.

أما المكتفي فقد سار على خطى أبيه من حيث التقليل من النفقات لدرجة أنه وصف بالبخل، فقد كان يوكل على مائدته بعض خدمه لإحصاء ما يفضل من الخبز فما كان مكسراً عزل للثريد، وما كان صحاحاً ردّ إلى مائدته من الغد[١] فأضاف إلى ما خلفه المعتضد حوالي خمسة ملايين دينار فخلف خمسة عشر مليون دينار في بيت مال الخاصة وستمائة ألف دينار في بيت مال العام[٢]. وفي رواية أنه خلّف مثل ما خلّف المعتضد[٣] وفي هذا نوع من المبالغة، كما خلّف من الدواب والبغال تسعة آلاف رأس[٤]، وقيل بل خمسة عشر آلف رأس، وجوهراً قيمته خمسة عشر مليون دينار، ومن الكراع شيئاً كثيراً، وآنيةً من كل صنف بعشرة آلاف دينار[٥].

وبهذا نجد أن جعفر المقتدر بالله تسلّم بيوت الأموال وهي عامرة نتيجة سياسة سلفيه الاقتصادية.

ثالثاً: الأوضاع الإدارية.

عندما تولى المعتمد على الله الخلافة سنة (٢٥٦-٢٧٩هـ/٨٦١-٨٩٢م) اختار الأتراك عبيد الله بن يحيى بن خاقان للوزارة، وكان محبوباً عندهم، ذو معرفةٍ بالحساب والأعمال المالية[٦]. كما كان سمحاً جواداً، واسع الحيلة برز في خلافة المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ/٨٤٦-٨٦٢م) ووزر لـه، وبلغ في نفسه مكانةً عظيمةً[٧]. وعند وفاته في رجب سنة (٢٦٣هـ/٨٧٦م)[٨] مشى الموفق في جنازته[٩]. واستوزر الخليفة الحسن بن مخلد بن الجراح في أواخر

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢٩٩. محمد بن إبراهيم، الإكتفاء، ورقة ٣١٨-أ.

(٢) الصولي، أخبار المقتدر، ص٤٠. المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢٩٨. ابن الزبير، الذخائر، ص٢٢٠.

(٣) تاريخ الإسلام (٢٨١-٣٠٠)، ص٢١. الكتبي، فوات، ج٣ص٥. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣ص١٨٠.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢٩٨.

(٥) الصولي، أخبار المقتدر، ص٤٠. ابن الزبير، الذخائر، ص٢٢٠-٢٢١.

(٦) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢ص٤٧٤. ابن الطقطقي، الفخري، ص٢٣٥.

(٧) التنوخي، النشوار، ج٨ص١٢-١٦. الذهبي، سير أعلام، ج١٠ص٤٢٩-٤٣٠.

(٨) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥١٣. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص١٩٠. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٣٥. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣٠٥.

(٩) الكندي، أخبار الدول، ورقة ٤٩-ب.

ذي القعدة. ولد الحسن بن مخلد سنة (٢٠٩هـ/٨٢٤م) وهو من ديرقُنَّى[١]، وبدأ حياته الإدارية كاتباً في ديوان الضياع زمن المتوكل[٢]، كما عمل كاتباً بين يدي إبراهيم بن العباس الصولي[٣]. ولما وزر للمعتمد عمل في ذات الوقت كاتباً للموفق[٤]. وصف بسداد الرأي والشهامة والبلاغة والفصاحة، وكان آيةً في حساب الديوان، حتى قيل ما لا يعرفه ابن مخلد فليس من الدنيا، كما كان ظاهر النعمة والثراء إذ بلغت قيمة فرش وآنية داره مائة ألف دينار[٥]. ولم يكن الحسن ابن مخلد نظيف اليد تماماً[٦].

وعندما وصل موسى بن بغا إلى سامراء عزل الحسن بن مخلد، واستوزر للخليفة أبا أيوب سليمان بن وهب بن سعيد[٧]. وبنو وهب أسرةٌ عريقة بأعمال الكتابة في الدولتين الأموية والعباسية[٨]. من أهل واسط من أصل مسيحي[٩]. وظهر حذق سليمان بن وهب في الكتابة في خلافة المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣م). وعرف بجودة خطه، وحسن فهمه[١٠]، كما تقلد مصر[١١]. وبرز معه أخوه الحسن بن وهب الذي كان يكتب بين يدي محمد بن عبد الملك الزيات، ثم ولي ديوان الرسائل وبعض الاعمال بدمشق، كما تولى البريد في أواخر خلافة المتوكل[١٢]. قلد الموفق سليمان بن وهب الوزارة والمعتمد غير راضٍ، فما أن توفى موسى بن

---

(١) دير قنى: يعرف بدير مرماري السليخ ودير الأسكون وهوعلى ستة فراسخ من بغداد، ويقع ضمن النهروان الأعلى. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢ص٥٢٨.

(٢) التنوخي، النشوار، ج٨ص١١٦. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤ص٢٥٢. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣ص٥٧.

(٣) الصفدي، الوافي، ج١٣ص٤٦٥.

(٤) الذهبي، سير أعلام، ج١٠ص٤٢٩.

(٥) ن.م.، ج١٠ص٤٢٩.

(٦) التنوخي، النشوار، ج٨ص٣٥-٣٧.

(٧) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥١٨. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٣٥. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٢٧٦.

(٨) الكتبي، فوات، ج١ص٣٦٧.

(٩) ابن الطقطقي، الفخري، ص٢٤٣.

(١٠) ن.م.، ص٢٤٣.

(١١) الصفدي، رسائل الصفدي، ص١٠٠-١٠١.

(١٢) الكتبي، فوات، ج١ص٣٦٧.

بغا حتى قبض الخليفة على سليمان بن وهب واستوزر الحسن بن مخلد. إلا أن الموفق أجبر المعتمد على إعادة سليمان بن وهب سنة (٢٦٤هـ/٨٧٧م)[١].

ومما يجدر ذكره أن منافسةً شديدةً كانت بين سليمان بن وهب والحسن بن مخلد، وكلاهما كان يسعى إلى ضم الكفاة من الولاة والموظفين إلى صفه[٢].

ويظهر هنا أثر الموفق في اختيار الوزراء. ويبدو أن المعتمد منذ هذه اللحظة فقد صلاحياته في تعيين الوزراء وتولى هذا الأمر أخوه الموفق. الذي اختار صاعد بن مخلد بعد أن حبس وصادر سليمان بن وهب وابنه عبيد الله سنة (٢٦٥هـ/٨٧٦م)[٣]. وكان صاعد من أكثر الناس ضبطاً وكفايةً[٤]، بدأ نجمه بالصعود منذ أن استكتب لموسى بن بغا[٥]، ويعتبر من كبار أصحاب الدواوين في وزارة سليمان بن وهب[٦]، وبقي في منصبه ثلاث عشرة سنة. ورغم أنه عين كاتباً ابتداءً[٧] فقد مارس صلاحياتٍ واسعة إذ قاد حملات عسكرية في فارس، ولدى عودته من حملاته تلك سنة (٢٧٢هـ/٨٨٥م) أمر الموفق جميع القادة باستقباله، فترجلوا لــه وقبلوا كفه[٨]. كما شارك في محاربة الزنج وقاد الجيوش ضدهم سنة (٢٦٨هـ/٨٨١م)[٩]. وفي سنة (٢٧١هـ/٨٨٤م) خرج على رأس جيش لمحاربة عمرو بن الليث[١٠].

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥١٨. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص١٨٩. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٢٧٧. ابن كثير، البداية، ج١١ص٣٦.

(٢) التنوخي، النشوار، ج٨ص١١٦-١١٧.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٢٠. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٣٦.

(٤) الشابشتي، الديارات، ص٢٧٠.

(٥) التنوخي، النشوار، ج٨ص٨١.

(٦) ن.م.، ج٨ص٩٧.

(٩) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٢٠. مجهول، العيون، ج٤ق١ص ٣٨.

(١) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٩٢. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٦٠. النويري، نهاية الأرب، ج٢٢ص٣٤٠.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٥٣. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٥٤.

(٣) النويري، نهاية الأرب، ج٢٥ص٣٨٧. ابن كثير، البداية، ج١١ص٥٢-٥٣.

وعقد لصاعد بن مخلد في سنة (٢٦٩هـ/٨٨٢م) على شهرزور وداياذ والصامغان وحلوان وماسبذان وأعمال الفرات، وضم إليه قواد موسى بن بغا[١]. وفي ذات السنة منح لقب ذي الوزارتين[٢]، مما يدل على تحسن واضح لمكانة الوزراء وتوسع مهامهم وصلاحياتهم. وفي سنة (٢٧٢هـ/٨٨٥م) قبض الموفق على صاعد بن مخلد وأهله وأسبابه وصادرهم[٣]، واستبدله بأبي الصقر إسماعيل بن بلبل وهو رجل ذو خبرةٍ طويلة في إدارة صاعد بن مخلد[٤]. إلا أن الموفق اقتصر به على الكتابة دون لقب الوزارة[٥]، وقيل أنه قد جمع له السيف والقلم[٦].

ولد إسماعيل بن بلبل سنة (٢٣٠هـ/٨٤٤م) ووصف بالكفاية، والإستقلال بالأمور، وحسن التدبير، والإحاطة بأعمال السلطان مع تقدير لأهل الأدب والشعر[٧]. وكان معروفاً بالكرم فقد بلغت وظيفته في اليوم سبعين جدياُ ومائة حمل ومائة رطل من الحلواء[٨].

حال تسلم إسماعيل بن بلبل لمنصبه أوكل لابنيْ الفرات ما يتعلق بالشؤون الإدارية والمالية[١]. ووصل المعتضد للخلافة وابن بلبل على سدة الوزارة، ويبدو أن العلاقة بين الطرفين لم تكن حميمة منذ عهد المعتمد، إذ تمكن ابن بلبل من إيحاش الموفق على ابنه المعتضد فحبسه

---

(٤) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٦٨.

(٥) ن.م.، ج٥ص٥٨١. الثعالبي، ثمار القلوب، ص٢٣٣. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٥٥.

(٦) الطبري، تاريخ، ج٥ ص٥٩٢. المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢٢٢-٢٢٣. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٦٠.

(٧) شعبان، الدولة العباسية، ص١٣٩.

(٥) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٩٢. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٦٠.

(٦) ابن الطقطقي، الفخري، ص٢٤٧.

(٧) الذهبي، سير أعلام، ج١٠ص٥٦٥-٥٦٦.

(٨) ن.م.، ج١٠ص٥٦٥. وأنظر، ابن الطقطقي، الفخري، ص٢٤٧. الجاجرمي، نكت الوزراء، ص٨٩.

حتى أن المعتضد خشي أن يقتل بسعاية ابن بلبل[٢]. وفي رواية أنه أراد أن يتقرب بمال الموفق وأسبابه للمعتمد عندما قربت منية الموفق، وكان يطمح في أن توكل الخلافة لجعفر المفوض ابن المعتمد، مما دفع بأصحاب الموفق وغلمانه إلى الإعتداء عليه وعلى أملاكه[٣]. لذا كان المعتضد يختلق الأسباب ليجد المبرر للتخلص منه، وهو ما فعله سنة (٢٧٨هـ/٨٩١م)[٤]، وتتبع أسبابه وحبس ابني الفرات[٥].

واختار المعتضد عبيد الله بن سليمان بن وهب للوزارة وقد كان ذا صلة بإدارة المعتمد وكاتباً للموفق[٦]، وعمل كاتباً بين يدي داود بن الجراح[٧] كاتب المستعين[٨]، كما كان كاتباً للمعتضد أيام إمارته[٩]، ولموسى بن بغا[١٠]. وهو جد زوجة المعتضد[١١]، ومن المتوقع لذلك أن يكون شديد الأمانة والإخلاص، ويوصف بالعقل والدهاء، والمهارة، وحسن الصناعة[١٢].

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٣٦٢-٣٦٣. وانظر .Bowen, Ali b, Isa, p31

(٢) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج١ص٣٨-٣٩.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٥ص٥٩٩-٦٠٠. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٣٦٢. النويري، نهاية الأرب، ج٢٢ص٣٤٢.

(٤) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٠١. التنوخي، النشوار، ج٣ص٩٧-٩٨. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٦٧.

(٥) الصابي، الوزراء، ص١١-١٣. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٦٧.

(٦) التنوخي، النشوار، ج٨ ص ٩٦.

(٧) أبو حيان البصائر، ج٣ق١ص١٩٦. ابن حمدون، التذكرة، ج١ص٤٤١.

(٨) ابن النديم، الفهرست، ص١٦١. الصفدي، الوافي، ج١٣ص٤٦٥.

(١) أبو حيان، البصائر، ج٣ق١ص١٩٦.

(٢) البلوي، سيرة أحمد بن طولون، ص٨٧

(٣) ابن البطريق، التاريخ المجموع، ج٢ص٧٤.

(٤) ابن الأبار، إعتاب الكتاب، ص١٧٥. الجاجرمي، نكت الوزراء، ص٩٠. استرابادي، دستور الوزراء، ص١٨٨.

وقد أوكلت لعبيد الله بن سليمان مهام عسكرية بالإضافة إلى مهامه المدنية حين خرج بنفسه سنة (٢٨٣هـ/٨٩٦م) على رأس جيش كثيف إلى الجبال[١]. كما احتفظ بمنصبه حتى وفاته مما يدل على استقرار منصب الوزارة. وساهم المعتضد بصورة عملية في ترسيخ منصب الوزارة، وتأكيد هيبتها، إذ كان مجرد وقوف الوزير أو أصغر كاتب في الدواوين لأي شخص أمراً مستهجناً في خلافته، وخرقاً لهيبة المؤسسة الإدارية[٢].

إلا أن عبيد الله بن سليمان كان يستريب من هذا الوضع إذ قال لابنه القاسم بعد أن انتظم أمر المشرق وسكنت الفتن: "الساعة والله يا بني وقعنا نحن في الشغل والخوف، لأن عادة هؤلاء القوم –يعني الخلفاء– إذا خلص لهم المُلك، وانتظم الفكر في أقرب الناس منهم، والإقدام على الإيقاع بهم وهم الوزراء، وحق الوزير أبداً أن يشغل قلب سلطانه بالشيء بعد الشيء....، فتدعوه الضرورة عند ذلك إلى اتصال الفكر فيه، والإعتماد على وزيره في تلافيه فإذا خلا من ذلك صرف همه وفكره إلى الأقرب فالأقرب منه فلم تؤمن بادرته: إما ضجراً باتصال خدمته وطول معاملته، وإما طمعاً في ماله وشرهاً إلى نعمته"[٣]. وربما كان المعتضد يفكر في نكبته إلا انه كان يتراجع مبرراً ذلك بقوله: "فإذا فكرت أنني إذا صرفته كان من ارتفاعي بين صرفه وترتيب آخر خمسمائة ألف دينار خالفت هواي ولم أصرفه"[٤]. مع هذا عندما بلغه خبر وفاته

---

(٥) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦١١. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٣٦٠. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٣٨٦. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣٤٩

(٢) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج١ص٨٨.

(٣) ابن حمدون، التذكرة، ج١ص٤٤٤.

(٤) الكندي، أخبار الدول، ورقة ٤٤–ب.

سجد شكراً لله لأنه وفق إلى عدم عزله[١]. غير أن المعتضد عزم فعلاً بعد وفاة عبيد الله على أن يستأصل شأفة أولاده، ويستصفي أموالهم[٢].

فاستعان ابنه القاسم ببدر مولى المعتضد مستغلاً مكانته الكبيرة في نفس المعتضد، وبدر معروف بإخلاصه وولائه. وكان بدر من موالي المتوكل، ثم خدم عند ناشيء غلام الموفق، واتصل بالمعتضد أيام الموفق فزادت منزلته وعلت مرتبته حتى كان يلتمس به لقضاء الحوائج عند المعتضد، وكانت الشعراء تقرن مدحه بمدح المعتضد[٣]، وكان إليه أمر الجيوش وسائر القواد[٤]. كما أوكل إليه المعتضد سنة (٢٨٧هـ/٩٠٠م) النظر في أمور الخاصة والعامة من الناس، والمعاون[٥]، والخراج والضياع[٦].

وفي ذات الوقت كان المعتضد يرغب بتولية أبي العباس أحمد بن الفرات الوزارة لمهارته المالية والإدارية، فتمكن بدر من ثنيه عن عزمه، وتولية القاسم لأنه صنيعته وربيبه، وخدم عنده أكثر من عشر سنوات[٧] حيث كان موظفاً في إدارة والده ومساعداً له[٨]. ويوصف

---

(١) ابن كثير، البداية، ج١١ص٩١.

(٢) ابن الطقطقي، الفخري، ص٢٥٠.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢٩٥-٢٩٦.

(٤) ن.م.، ج٤ص٢٤٦.

(٥) المَعاون: ما تفرضه الشرطة الخاصة التي لها صلة بالقضاء من غرامات ورسوم، وهي التي تتولى تنفيذ بعض أحكام القضاة، وقد تساعد في جباية الخراج. القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٠ص٣٧-٣٨.

(٦) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٣١.

(٧) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٣٢٢-٣٢٣. ابن العمراني، الأنباء، ص١٥٠-١٥١. ابن الأبار، إعتاب الكتاب، ص١٨٢-١٨٤.

(٨) الصابي، الوزراء، ص٢٠٧-٢٠٨.

بشدة إقدامه على سفك الدماء حتى أن الجميع لا يأمنون أنفسهم معه[١]. فقد تمكن من التخلص من كافة منافسيه الذين يمكن لهم الحد من سلطته، أو أولئك الذين يشكلون تهديداً على وجوده ومنصبه. فقد قتل بدراً المعتضدي[٢]، وتخلص من الحسين بن عمرو النصراني الذي كان كاتباً للمكتفي أيام إمارته وملازماً لـــه[٣]، وذا مكانةٍ كبيرةٍ في نفسه لدرجة أن المكتفي فكر في استيزاره لولا أنه ذمي[٤]. وبقي يسعى به لدى المكتفي حتى أغلظ قلب الخليفة عليه فأمر بحبسه سنة (٢٩٠هـــ/٩٠٢م)، ووزع أعماله ومهامه على أبناء القاسم بن عبيد الله[٥]، ثم نفي إلى واسط[٦]. وفي رواية أنه تخلص من أبي العباس أحمد بن الفرات بالسم[٧].

لكن ابن الطقطقي يصفه بأنه من أفاضل الوزراء، شهماً فاضلاً لبيباً كريماً مهيباً[٨]. ويبدو أن القاسم ارتفعت منزلته زمن المعتضد حتى قيل أنه لقبه بولي الدولة[٩]. وارتفعت مكانته لدى المكتفي حتى كان الغالب عليه[١٠]، وتمكن من ثنيه عن فكرة الإنتقال إلى سامراء سنة (٢٩٠هـــ/٩٠٢م)[١١]. وازداد التقارب بينهما حين زوج المكتفي ابنه محمداً من ابنة الوزير[١].

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢٩٩.
(٢) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٤٠. المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢٩٤. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣، ص٨-١٠. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤١٣-٤١٤.
(٣) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٠٨. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٣٣٩.
(٤) التنوخي، النشوار، ج٣ص٢٦٨-٢٧١. ابن الأبار، إعتاب الكتاب، ص١٨٥.
(٥) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٤٥.
(٦) ن.م.، ج٥ص٦٤٧.
(٧) التنوخي، النشوار، ج٣ص٢٧٢.
(٨) ابن الطقطقي، الفخري، ص٢٥١.
(٩) التنوخي، النشوار، ج٨ص١٠٤. ابن الأبار، إعتاب الكتاب، ص١٨٥.
(١٠) المسعودي، مروج الذهب،ج٤ص٢٩٣. الثعالبي، الإعجاز، ص١٠٦. ابن العمراني، الأنباء، ص١٥٠.
(١١) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٤٥. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص١٤. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤٢٠.

اتخذت في عهد المكتفي إجراءات كان من شأنها أن رفعت من شأن الوزير والوزارة حيث أصبحت الكتب تؤرخ عنه بأسماء أصحاب الدواوين وهذا ما كان قط إلا لخليفة[٢]. وفي سنة (٢٨٩هـ/٩٠١م) صلى المكتفي بالناس يوم عيد النحر، فترجل بين يديه الأمراء والملوك خلا وزيره القاسم فإنه ركب يسايره دون الناس، ولم ير قبل ذلك خليفة يسايره وزير غيره[٣]. وفيه قال المكتفي هو: "عمدة مملكتي ، وقلمه ناظم دولتي"[٤]. وبقي في منصبه حتى وفاته سنة (٢٩١هـ/٩٠٣م)[٥]. وقد خلَّف من العين مائتي مليون دينار، فأُخذ منه بعد وفاته ٧٠٠،٠٠٠ دينار[٦].

وقد لعب القاسم دوراً كبيراً في اختيار خلفه حين كتب رسالة إلى المكتفي وهو على فراش الموت يخيره ما بين علي بن عيسى ذاكراً مزاياه وخصاله، وبين العباس بن الحسن مبيناً مزاياه وملازمته لـــه وتجاهل تماماً أبا الحسن بن الفرات. وقد رغب المكتفي باستيزار علي ابن عيسى لكنه استعفى، فتم الأمر للعباس بن الحسن بن أحمد بن أيوب[٧] وهو من سواد جرجرايا بين واسط وبغداد[٨]، وعمل كاتباً لداية المكتفي ذات المكانة العظيمة لديه، فدعمت اختيار العباس ابن الحسن بمساعدة صافي الحرمي[٩]. كما عمل كاتباً بين يدي القاسم بن عبيد الله[١٠] .

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٥٥. ابن الأبار، إعتاب الكتاب، ص١٨٥. الذهبي، تـــاريخ الإســـلام (٢٨١-٢٩٠هـ)، ص٥-٦.

(٢) ابن الأبار، إعتاب الكتاب، ص١٨٥.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣ص١٤٤.

(٤) الثعالبي، الإعجاز، ص٩٢.

(٥) المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢٩٩. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٢٧.الذهبي، العبر، ج١ص٤٢٠. ابن كثير، البداية، ج١١ص٩٨.

(٦) ابن الزبير، الذخائر، ص٢٢٩.

(٧) الصابي، الوزراء، ص٣٨٧-٣٨٩. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٢٧.

(٨) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢ص١٢٣.

(٩) التنوخي، النشوار، ج٨ص١٥٦. الصابي، الوزراء، ص٢٥٠. النويري، نهاية الأرب، ج٢٣ص٢٢.

(١٠) ابن ظافر الأزدي، أخبار الدول المنقطعة، ج٢ص٣٨١.

ولد العباس بن الحسن سنة (٢٤٧هـ/٨٦١م). وكان معروفاً بحسن خطه وبلاغته[١]، إلا أنه كان ضعيفاً في الحساب. وقد ترك الأعمال لنوابه وكتابه، وكان يقول لهم: "أنا أوقع إليكم، وأنتم افعلوا مافيه المصلحة"[٢].

وكان العباس بن الحسن يعرف كغيره من الوزراء بالغنى والثراء[٣]. ويبدو أنه كثيراً ما كان يحاول أن يظهر نفسه أكثر كفاءة من القاسم بن عبيد الله أمام المكتفي[٤].

والظاهر أن العباس بن الحسن كان مجرداً من المباديء الأخلاقية[٥]، ويسعى دائماً لتقديم مصالحه الخاصة علانية لا مواراة فيها، فعندما خشي ابن الفرات أظهر استعداده للتنازل له عن الوزارة مقابل حفظ نفسه وأهله وأسبابه[٦]. ذات الموقف وقفه عندما أراد اختيار ابن المعتمد للخلافة بعد المكتفي[٧]، ومع هذا فقد وصف بالقوة والهيبة[٨]. وهو أول من منع أصحاب الدواوين من الوصول للخليفة[٩].

إن انتعاش الوزارة كان يعني انتعاشاً للماكنة الإدارية برمتها، ولقد ظهر في الدولة مجموعة متميزة من الكتاب وبخاصة بالأعمال المالية إلا أن هؤلاء الكتاب انقسموا إلى حزبين متنافسين، ولكل منهما أنصار متغلغلين في جميع المستويات ابتداء من دار الخلافة مروراً بموظفي الدولة، وانتهاءً بالقادة العسكريين. وخير من يمثل هذين الحزبين آل الفرات وهم من

---

(١) الجاجرمي، نكت الوزراء، ص٨٠. ابن ظافر الأزدي، أخبار الدول المنقطعة، ج٢ص٣٨١.

(٢) أبو حيان، البصائر، ج٤ق١ص١٩٣. ابن الطقطقي، الفخري، ص٢٥٣.

(٦) ابن الزبير، الذخائر، ص٢٢٥. الإبشيهي، المستطرف، ج٢ص٥٢.

(٧) إسترابادي، دستور الوزراء، ص١٩٠.

(٨) Bowen, Ali b. Isa, p 84.

(٩) الصابي، الوزراء، ص٢٥٢-٢٥٣.

(١٠) الصولي، أخبار المقتدر، ص٣٣. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٩. المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٣١٠. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٦٥.

(١١) إسترابادي، دستور الوزراء، ص١٩١.

(١٢) الكندي، أخبار الدول، ورقة ٤٥-ب. النويري، نهاية الأرب، ج٢٣ص٢٢.

أهل هُمَيْنيا قرية بين بغداد وواسط، وقيل من قرية بابلاّ قرب صَرِيفين[١]. وهم عائلة من أعيان الكتاب[٢] وعلى رأسهم أبو الحسن علي بن محمد بن موسى بن الفرات (٢٤١-٣١٢هـ/٨٥٥-٩٢٤م). وعرف بحذقه بالكتابة والحساب، وحسن السياسة والثراء، والمكر والدهاء[٣]. وأخوه أبو العباس أحمد وكان إماماً في الخراج وعمل الحساب، وسرعة الفهم، وجودة الخط، مع معرفةٍ بالأدب والشعر[٤]. كما تقلد الكثيرين من آل الفرات الدواوين خاصةً زمن المقتدر[٥].

أما الحزب الآخر فيمثله آل الجرّاح وهم من أصلٍ فارسي[٦] من دير قُنَّى، وهم كذلك أسرة من أعيان الكتاب وعلى رأسهم أبو الحسن علي بن عيسى (٢٤٥-٣٣٤هـ/٨٥٩-٩٤٥م)[٧]. وهو ذو دراية وعلم كبير بالحساب والاستيفاء، والفقه، وله مجموعة كبيرة من المؤلفات[٨]، ويوصف بالصلاح والديانة والصيانة والستر[٩]. كما كان كثير الصدقات والبر،

---

(١) الصابي، الوزراء، ص١١. الهمذاني، التكملة، ج١ص٤٦. الصفدي، الوافي، ج٢٢ص١٤٤.

(٢) الشريشي، شرح مقامات الحريري، ج٣ص٤١. الجاجرمي، نكت الوزراء، ص٧٢-٧٣.

(٣) الصابي، الوزراء، ص١٢. الهمذاني، التكملة، ج١ص٤٦. اليافعي، مرآة الجنان، ج٢ص١٩٨. إسترابادي، دستور الوزراء، ص١٩١.

(٤) الصابي، الوزراء، ص٢٢١-٢٢٢ و٢١٢-٢١٤. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٤٨. الجاجرمي، نكت الوزراء، ص٧٤.

(٥) مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٤٨. الشريشي، شرح مقامات الحريري، ج٣ص٤١.

(٦) ابن النديم، الفهرست، ص١٦١. ابن حزم، الجمهرة، ص٥١٢. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٢ص١٦. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٣ص١٢١.

(٧) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٢ص١٤. ياقوت الحموي، إرشاد الأريب، ج٥ص٢١٦. الصفدي، الوافي، ج٢١ص٣٦٨-٣٦٩.

(٨) ابن النديم، الفهرست، ص١٦١. الصفدي، الوافي، ج٢١ص٣٦٨-٣٦٩.

(٩) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٢ص١٥. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٣ص٢١٧. ياقوت الحموي، إرشاد الأريب، ج٥ص٢١٧.

كثير الصلاة والصيام، ورعاً متزهداً، ويذكر له عفة يده ولسانه[١]. وعمه أبو عبدالله محمد ابن داود بن الجرّاح، وهو من علماء الكتاب عارف بأيام الناس، وأخبار الخلفاء والوزراء. وله مصنفات معروفة ككتاب الورقة، ولد سنة (٢٤٣هـ/٨٥٧م)، وقتل في فتنة ابن المعتز سنة (٢٩٦هـ/٩٠٨م)[٢]. وقد كان كاتباً بين يدي ابراهيم بن العباس الصولي[٣]. وكان إلى جانبهم محمد بن عبدون الكاتب.

وكان الحزبان يعملان في إدارة عبيدالله بن سليمان، ويبدو أن عبيدالله وازن بينهما فقد كان لبني الفرات مكانة كبيرة في نفسه، ويقدمهم في الأعمال والآراء وكان راضياً عن سياستهم كل الرضا[٤]. ومع هذا كان يقر بحذق وكفاءة الطرف الآخر، فعندما ظهرت له كفاءة ومهارة محمد بن داود زوّجه ابنته[٥]. وكان عبيدالله يقول: "أنا أسير في يد كل كفء"[٦]. وربما كان لشخصية المعتضد القوية واطلاعه على الأمور دور في إلزام كل طرف حده[٧].

إلا أن التغيير بدأ مع تولي القاسم بن عبيد الله الوزارة سنة (٢٨٨-٢٩١هـ/٩٠٠-٩٠٣م) إذ لم يكن على وفاق مع آل الفرات وتحديداً أبي العباس أحمد الذي كان يفوقه مهارةً ومقدرةً[١]. فعندما ناب القاسم عن أبيه أثناء خروجه إلى الأقاليم الشرقية لم يستطع تدبير النواحي المالية مما اضطره للإستعانة بأبي العباس أحمد وهو لهذا كاره فحاز أبو العباس أحمد على

---

(١) ياقوت الحموي، إرشاد الأريب، ج٥ص٢١٦. ابن الطقطقي، الفخري، ص٢٦١-٢٦٢. الجاجرمي، نكت الوزراء، ص٧٧.

(٢) ابن النديم، الفهرست، ص١٦١. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٢ص٣٢٠-٣٢١.

(٣) الصفدي، الوافي، ج١٣ص٤٦٥.

(٤) الصابي، الوزراء، ص٢٧٨.

(٥) ن.م. ص١٤٩.

(٦) التنوخي، النشوار، ج٨ص٢٦٢. الصابي، الوزراء، ص٢٧٨.

(٧) اليعقوبي، مشاكلة الناس، ص٣٥. ابن دحية، النبراس، ص٨٦-٨٧. الذهبي، العبر، ج٢ص٤١٥. الديار بكري، تاريخ خميس، ج٢ص٣٨٣-٣٨٤.

إعجاب وتقدير المعتضد الذي أمر صاحب بيت المال بألا يقبل توقيعاً للقاسم إلا بعد أن يكون فيه توقيع أبي العباس أحمد ، فلم ينفذ للقاسم توقيع بإطلاق مال إلا بعد توقيع أبي العباس[٢].

ورغب المعتضد باستيزار أبي العباس أحمد بعد وفاة عبيد الله بن سليمان لولا تدخل بدر المعتضدي[٣]. ومن هنا يرى بوون أن القاسم حاول تحويل الخلافة عن أبناء المعتضد للإنتقام لهذا التجاهل الذي وضع فيه[٤].

لهذه الإعتبارات كان طبيعياً أن يميل القاسم إلى جانب آل الجراح خاصةً بعد أن بدأت فضائح آل الفرات المالية بالإنتشار في أواخر وزارة عبيد الله بن سليمان حيث تمكن إبراهيم ابن عيسى أخو علي بن عيسى وهو والٍ على الزاب الأعلى من كشف ما اقتطعه بنو الفرات من الضياع السلطانية[٥]. فتمكن أبو العباس أحمد من عزله وأمر أن يوكل به وأن يصادر وذلك سنة (٢٨٧هـ/٩٠٠م)[٦]. إلا أن القاسم بن عبيد الله لم ينس هذا فلما تم له الأمر عين إبراهيم ابن عيسى على أعمال واسط لكشف تجاوزات ابني الفرات على الضياع السلطانية. فجد إبراهيم ابن عيسى بالإستقصاء حتى كشف الضياع، وأثار الفضل[٧] البالغ ٢٠،٠٠٠ دينار سنوياً. وعندما وقعت المناظرة لم يستطع أبو العباس أحمد الإنكار ومما زاد همه موقف القاسم بن عبيد الله الذي فكر عملياً بالقبض على ابني الفرات، والإيقاع بهما لولا ظهور القرامطة ثم وفاته سنة (٢٩١هـ/٩٠٣م)[٨].

---

(١) Bowen, Ali b. Isa. p61.

(٢) الصابي، الوزراء، ص٢٠٧-٢٠٩.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢ص٣٢٢-٣٢٣. ابن العمراني، الإنباء، ص١٥٠-١٥١. ابن الأبار، إعتاب الكتاب، ص١٨٢-١٨٤.

(٤) Bowen, Ali b. Isa. p75.

(٥) الصابي، الوزراء، ص١٥٠.

(٦) ن.م. ص١٤٩-١٥٠.

(٧) الفضل، الزيادة. ابن منظور، لسان العرب، ج١١ص٥٢٥-٥٢٦.

(٨) الصابي، الوزراء، ص١٥١-١٥٢.

في الحقيقة إن أبا الحسن بن الفرات لم ينس ما فعله إبراهيم بن عيسى وبقي يتقصده. ففي وزارته الأولى نفاه إلى الصافية[١]، وفي وزارته الثانية صادره على خمسين ألف دينار أدى منها ثلاثين ألف دينار، وفي وزارته الثالثة أعاد القبض عليه وطالبه ببقية المصادرة السابقة ثم نفاه إلى البصرة، وقيل أنه أرسل من سمه[٢]. ومثل هذه الأعمال من مصادرة وتعذيب وسجن كانت تطال أنصار الحزبين[٣].

بدأ نجم آل الفرات بالصعود مرةً أخرى في وزارة العباس بن الحسن سنة (٢٩١-٢٩٦هـ/٩٠٣-٩٠٨م) الذي كان راغباً إبتداءً بمصادرتهم سواءً بتحريض من الحزب الآخر[٤]، أو لرؤيته أنهم تمكنوا من الضياع السلطانية فوجب ارتجاع ما حُصل في أيديهم، والإيفاء باستحقاقات بيت المال[٥]. إلا أن موقف المكتفي كان واضحاً وداعماً لبني الفرات إذ قال إن "نعمة ابن الفرات لي ومتى أردتها إخذتها، وما يمكني من إنشاء كاتب مثله، واصطناعه والرفع منه"[٦]. وعندما كثر الحديث عن مقدار ما يملك من مال أرسل أبو الحسن بن الفرات ٣٠،٠٠٠ دينار لبيت المال في محاولةً لإثبات حسن النوايا، واستجلاب ود الوزير، وحسماً لمادة تلك الأقاويل[٧].

ولما لم يجد العباس بن الحسن طريقاً إلى ما همَّ به في أبي الحسن بن الفرات عدل إلى الإقبال عليه والتفويض إليه وقد انفرد به مرةً فقال له: "إن كان في نفسك من هذا الأمر-يعني

---

(١) الصافية، بليدة كانت بالقرب من ديرقني قرب النعمانية، كانت مشرفة على دجلة، وقد خربت. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣ص٣٨٩.

(٢) الصابي، الوزراء، ص١٥٢.

(٣) ن.م.، ص١٨٥-١٨٧.

(٤) ن.م.، ص٢٥٢.

(٥) ن.م.، ص٢٥١.

(٦) ن.م.، ص١٥٤.

(٧) الصابي، الوزراء، ص٢٥١-٢٥٢.

الوزارة– شيء سلمتها إليك وخليت عنها لك على أن تحرسني في نفسي ومالي وحرمي وولدي"، وعندما أظهر ابن الفرات غناه عن هذا الأمر قال له: "أمرنا الآن واحد ويدنا واحدة فلا تلتفت إلى هؤلاء الكُتاب وأقوالهم، ولا تفكر في كلامهم وتشنيعاتهم، وثق بما لك عندي من مزية المراعاة وزيادة المحاماة". ثم رد إليه الزمام على علي بن عيسى[١]. فقد أوكل القاسم بن عبيد الله لعلي بن عيسى ومحمد بن داود أعمال ديوان الدار ولم يعتمد على ابني الفرات فلم يجعل لابني الفرات عليهما يداً[٢].

وظهر اختصاص العباس بن الحسن بابن الفرات عندما كان يغضي عن تجاوزاته إلى مالية الدولة وممتلكاتها[٣].

لقد توسعت مهام الكتاب القديرين، فبالإضافة إلى مهامهم الإدارية أوكلت إليهم مهام عسكرية، فها هو محمد بن سليمان متولي ديوان الجيش يخرج لحرب القرامطة، ويستعيد مصر للخلافة العباسية[٤]. وخرج محمد بن داود على رأس جيشٍ كثيف لحرب القرامطة سنة (٢٩٤هـ/٩٠٦م)[٥].

لعب الخلفاء في هذه الفترة دوراً كبيراً في إنعاش الماكنة الإدارية، وترسيخ دعائمها، وإعادة هيبتها. من خلال التدابير التي اتخذوها. والإنسجام الذي ظهر بين مؤسسات الدولة المختلفة للقوة التي أبدتها الخلافة. بالإضافة إلى ظهور وزراء وكتاب ذوي كفاءة تمكنوا من

---

(١) ن.م.، ص٢٥٢–٢٥٣.

(٢) ن.م.، ص١٤٩.

(٣) ن.م.، ص٢٥٧–٢٥٨ و١٥٣–١٥٤.

(٤) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٥٠.

(٥) ن.م.، ج٥ص٦٦٦. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٤٩.

إدارة شؤون الدولة بمهارة وإنسجام مع توجهات الخلافة. وربما كان بقاء الوزراء في مناصبهم لفترات طويلة، أو حتى وفاتهم دافعه الثقة، مما أدى إلى استقرار هذا المنصب.

الفصل الثاني

سيرة الخليفة المقتدر بالله

-نشأة المقتدر وشخصيته

-اختيار المقتدر للخلافة

-سياسة المقتدر والقوى المؤثرة في عهده

-الأوضاع السياسية

نشأة المقتدر وشخصيته:

هو أبو الفضل جعفر بن أحمد المعتضد بالله، أمه أم ولد رومية، ولد يوم الجمعة في ٢٢/رمضان لسنة (٢٨٢هـ/٨٩٥م). يوصف في أواخر عمره بأنه ربعة ليس بالطويل ولا القصير، جميل الوجه، أبيض، مشرباً بالحمرة، حسن الخلق، ضخم الجسم، بعيد ما بين المنكبين، جعد الشعر قد كثر الشيب فيه[١].

عاش جعفر فترة قصيرة في كنف والده المعتضد، إذ توفي المعتضد وعمره سبع سنوات، وبالتالي لم يتوفر له الوقت الكافي للتعليم على يديه لاكتساب الخبرة التي تساهم في بناء شخصيته. مع هذا اهتم المعتضد -كما يبدو- بتربيته كغيره من أبناء الخلفاء، ويبدو أنه كان قريباً من والده المعتضد ففي سنة (٢٨٨هـ/٩٠٠م) قدم جعفر المقتدر مع بدر الكبير على رأس الجيش لدى عودته من الثغور إلى بغداد منتصراً على وصيف الخادم[٢]. كما كان جعفر مولعاً بلعب الصوالجة[٣] التي تحتاج إلى فروسية، ودقة، وصبر، وقوة احتمال[٤].

وتعلم جعفر، إذ يذكر أنه التحق بالمكتب، فقد قال ابن الفرات عند تأييد تسميته للخلافة: "وغاية همه أن يصرف من المكتب"[٥]. والإشارة هنا إلى مؤدبيه الذين يتولون تعليمه في المرحلة الأولية شأنه شأن أولاد الخلفاء. ومع ذلك لا تتوفر معلومات عن مؤدبيه أو برنامجه.

---

(1) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤ص١٠١-١٠٢. وأنظر، الطبري، تاريخ، ج٥ص٦١٢. المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٣١٠. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٧ص٢٢٢.

(2) المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢٨٥.

(3) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٢٩، ٥١. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٥. الصابي، الوزراء. ص١٥. والصوالجة عصا معقوف طرفها يضرب بها الفارس الكرة. ابن منظور، لسان العرب، ج٢ص٣١.

(4) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١ص٢١٦. عبد المنعم، السياسة، ص٤٤.

(5) التنوخي، النشوار، ج٥ص٦٤. الصابي، الوزراء، ص١٣١.

في حين ترد بعض الإشارات من عاملين في دار الخلافة تظهر أن ثقافته محدودة كقول نصر الحاجب: "بأنه لا قرأ السير، ولا عرف الأخبار"(١). وجاء على لسان زيدان القهرمانة عندما بلغها حسن أدب وفطنة محمد الراضي بن المقتدر: "ما نريد أن يكون أولادنا أدباء ولا علماء، وهذا أبوهم قد رأينا كل ما نحب فيه وليس بعالم"(٢).

الأصل أن الحاشية ليس لها صلة بتعليم أولاد الخلفاء، كما لم نسمع معارضة من والدة المقتدر على تعليمه، إذ أن أبناء المقتدر تربوا على يد كبار المربين مثل أبي بكر الصولي. وكانت جدتهم تبدي حرصاً على نوع التعليم الذي يتلقونه(٣).

والمقتدر صاحب مواقف تدل أحياناً على جودة الفهم، وحسن التقدير للموقف، فعندما كان يلاعب الفضل أصغر أبنائه بمحضر ابنه الراضي، وظن أن هذا قد يثير غيرته استدرك بقوله: "يا محمد لا تنظر إلى فعلي بفضل فتظن أنه يعشرك(٤) عندي، ولا أحد من الناس، ولكنه صغير ولم تزل الرقة والمرح ينصرفان إلى الأصغر من الولد، وللكبير جلاله ومحله"(٥). وعندما استأذنه الراضي للخروج إلى الزبيدية للتنزه مع إخوته تخلف عنه أخوه العباس فعاتبه المقتدر بقوله: "كان يجب أن تمضي إليه أنت بنفسك حتى تنهضه معك؛ فإنك كبير هؤلاء ورئيسهم، ويجب عليك أن تداريهم، وتحتملهم، وتلطف بهم"(٦). فعلق الصولي على الموقف: "فعجبت والله من هذا الفهم التام، والقريحة الحسنة"(٧).

---

(1) الصولي، أخبار المقتدر، ص٥٣.

(2) الصولي، أخبار الراضي، ص٢٦.

(3) ن.م.، ص٥-٦. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٢ص١٤٢.

(4) يعشرك: أراد أن قلبه كسر. ابن منظور، لسان العرب، ج٤ص٥٧٣.

(5) الصولي، أخبار المقتدر، ص٥٤.

(6) ن.م.، ص٥٤-٥٥.

(7) ن.م.، ص٥٥.

من ناحية أخرى أن وفاة المعتضد، والمقتدر في سنٍ صغيرة، جعلتـه أكثـر ارتباطـاً والتصاقاً بأمه، وبالتالي قريباً من مجتمع الغلمان والخدم والحرم[١]، الذي يعج بالمؤامرات والدسائس للحصول على الحظوة والمكانة بين عدد كبير ومتنافر. ويبدو أن أمه بوصفها أم ولد، شاركت بشكل ما في مثل هذه الصراعات، وأن لم يظهر دورها في زمن المعتضد لشخصيته وحزمه، إذ إنه قام سنة (٢٨٣هـ/٨٩٦م) بحبسها، وفكر في قطع أنفها[٢]. ولا ندري السبب الداعي لمثل هذه العقوبة.

وقد ساهمت الظروف بشكل كبير لتزيد من ارتباط المقتدر بأمه، ومن زيادة نفوذها ومكانتها فظهرت عملياً كصاحبة سلطة ونفوذ. لهذا تتحدث المصادر عن موقفها الحازم، لا موقف المقتدر، تجاه مصاهرة أم موسى القهرمانة لأحد أحفاد المتوكل. ولا يخفى ما في هذا من دفاع عن ملك ابنها، وربما أيضاً رغبتها بحمايته خاصة وأنه تعرض في بداية حياته لمؤامرة لخلعه سنة (٢٩٦هـ/ ٩٠٨م)[٣]، لا بد أنها تركت آثارها في نفسية المقتدر من خوف وعدم شعور بأمان. لهذا كانت أمه تظهر عليه حرصاً مبالغاً فيه لدرجة أنها تخفي عنه الأخبار السيئة حتى لا تحزن قلبه[٤]. لهذا رأت بعض المصادر أن مصيبة المقتدر كانت في أمه وتدخلاتها الكثيرة[٥].

في الواقع أن أمه كانت جزءاً من مجموعة متشابكة من العوامل والظروف التي أدت إلى انحطاط عظيم في كافة المستويات في الدولة. كما أن هذا الحرص والدلال ترك آثاره

(1) التنوخي، النشوار، ج١ص٢٨٧.
(2) المسعودي، مروج الذهب، ج٨ص١٨٢.
(3) الصولي، أخبار المقتدر، ص٦٥-٧٢. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٢٦-٢٨ مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٥-٨.
(4) الكندي، أخبار الدول، ورقة ٤٨-أ. ابن دحية، النبراس، ص١٠٢.
(5) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٢٤. المغلطاي، الإشارة، ص٥٢٢.

السلبية على نفسية المقتدر وشخصيته التي اتسمت باللين والدعة وسلامة الصدر[١]، مما جعله أقرب للضعف منه للحزم وهذا ظاهر في كثير من تصرفاته فقد كان راغباً بالعفو عن جميع المشاركين في فتنة ابن المعتز وأن لا يُقتل أحد[٢]. وكان يرى أن التقرب للناس بالرغبة والإحسان، أحب لديه من الإساءة والرهبة[٣]. وعندما أراد علي بن عيسى إسقاط نفقات المطبخ من المسك قال له المقتدر: "أحب أن لا تفعل ذلك، لعل هذه الدنانير تصرف في أقوات نفقات قوم، ولا أريد أن أقطعها عنهم"[٤]. وعفا عن أخيه القاهر الذي نُصب، بعد خلعه، سنة (٣١٧هـ/٩٢٩م) حال عودته للعرش[٥]. وعندما تناهى إليه خبر قوم يسعون لمحمد بن الكتفي بالخلافة اكتفى بحبسهم[٦].

وفي سنة (٣٢٠هـ/ ٩٣٢م) أظهر رغبةً في مسالمة مؤنس الخادم، وعدم تطور الأمور إلى الحرب والقتال، لولا الضغط الذي وقع عليه من قبل الحاشية[٧].

وفي نفس الاتجاه سعت أم المقتدر للترفيه عنه من خلال مجالس اللهو، والشراب ومشاركتها في بعض مجالس الشراب[٨]، وشراء الجواري له[٩]. وحاز المغنون على هباته،

---

(1) الصولي، أخبار المقتدر، ص٥٣. محمد بن إبراهيم، الاكتفاء، ورقة ٣١٨-أ. ميتز، الحضارة الإسلامية، ج١ص٣٥.
(2) الصولي، أخبار المقتدر، ص٧٤.
(3) ن.م.، ص٤٣.
(4) الصابي، الوزراء، ص٣٦٩-٣٧٠.
(5) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٤٤. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٩٩. الهمذاني، التكملة، ج١ص٦١.
(6) الذهبي، تاريخ الإسلام (٣٢١-٣٠٠هـ)، ص٩١-٩٢.
(7) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٧٥-١٧٦. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٣٤-٢٣٥. الهمذاني، التكملة، ج١ص٦٩-٧٠.
(8) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج٢ص١٦٦-١٦٧.
(9) ن.م.، ج٢ص١٦٤-١٦٥.

وحظوة في بلاطه[١]. إلا أن الروايات بالغت في إظهار انغماس المقتدر في ملذاته –ومنذ سن مبكرة– فما إن استقر أمره في الخلافة حتى فوض الأمور لوزيره ابن الفرات وتفرد هو "على لذاته، واحتشم الرجال، واطّرح الجلساء والمغنين، وعاشر النساء"[٢]، وأنه لا يصحو من الشرب في ليل أو نهار[٣] حتى غدا ذلك أمراً مألوفاً في دار الخلافة[٤]، مما ترك آثاره السلبية على شخصيته، وطريقة تفكيره[٥]. وتشير الروايات إلى أن انشغال المقتدر بلهوه وملذاته كان على حساب الدولة وهو في سن الثالثة عشرة[٦]. فهل هو نوع من التبرير لما آل إليه أمر الخلافة(؟) أم محاولة تحميل المقتدر لمشكلات ومساوئ عصره(؟).

في المقابل نجد روايات تصف المقتدر بالتدين العميق، وكثرة التنفل في الصلاة والصيام[٧] فهو "أجمل الناس نية، وأكرمهم طوية، وأكثرهم تعبداً"[٨].

وتشكك الروايات في اتزان المقتدر ونضج تفكيره[٩]، وتشعر بأن جودة رأيه، ورجاحة عقله تقترن بمدى تركه للشراب. فما إن يترك الشراب خمسة أيام متتالية حتى يوافق في صحة العقل، وأصالة الرأي المعتضد والمأمون، وما يفسده غير الشراب ولا يخيله سواه[١٠].

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج٥ص٣٠-٣١.

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٣١. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٧٠. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٣٦. الذهبي، تاريخ الإسلام (٢٩١-٣٠٠هـ)، ص٢٧.

(٣) التنوخي، النشوار، ج١ص٢٨٢.

(٤) Bowen, Ali b. Isa, P. 101.

(٥) التنوخي، النشوار، ج١ص٢٨٢. Bowen, Ali b. Isa, P 100.

(٦) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٢٢. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٣-١٤. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٧٠. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٣٦.

(٧) الصولي، أخبار المقتدر، ص٥٣. الصابي، الوزراء، ص٩٧. ابن كثير، البداية، ج١١ص١٠٥ و١٠٧.

(٨) الصولي، أخبار المقتدر، ص٥٣.

(٩) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٧ص٢٢٦. اليافعي، مرآة الجنان، ج٢ص٢٠٩. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١ص٤٥..

(١٠) التنوخي، النشوار، ج١ص٢٨٢. الخطيب البغدادي، تاريخ، بغداد، ج٧ص٢٢٦. الصفدي، الوافي، ج١١ص٦٤.

في المقابل تصفه بعض الروايات بجودة العقل وصفاء الذهن وحسن الفهم[١]. كما يوصف بالفهم والعمارة والعفة والصيام والصدق حتى لم يكن في كثير ممن سلف مثله"[٢].

ورغم اتهام المقتدر بالشرب المتواصل إلا أنه كان يتمتع بصحة ممتازة فهو لم يمرض طيلة خلافته إلا مرة واحدة[٣]. وفي رواية ثلاثة عشر يوماً[٤].

ومن هنا وصف المقتدر بتقلب الرأي والتردد[٥]. ولعل المشكلة الحقيقية تكمن في المؤثرات التي كان يواجهها المقتدر فتؤثر على قراراته وآرائه منها: تأثير مؤنس الخادم[٦]، وحبه لأمه[٧]، ورغبته في جمع الأموال[٨]، وشغب الجند[٩] مما يجعل قرارات المقتدر متقلبة. وهناك رواية تحاول تأكيد بعض مساوئ جعفر المقتدر وكأنها قدره، وتحمل التشاؤم من خلافته وسوء أخلاقه وهو ابن خمس سنوات، حين رآه المعتضد ومعه عنقود عنب –في وقت عز فيه– وهو يأكل حبة، ويطعم الغلمان الذين حوله حبةً حبةً حتى يأتيه الدور والمعتضد يتميز غيظاً، وتمنى لو يقتله لأنه سيكون وبالاً على الخلافة. وتتابع الرواية أن جعفراً تولى الخلافة، وتحقق تخوف المعتضد فقد بذر جوهر الخلافة وأموالها، وفرط بغوالي العطر الثمينة. هذه الرواية

---

(1) ابن كثير، البداية، ج١١ص١٨١. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٣٨٤. ابن العماد، شذرات الذهب، ج٢ص٤٨٥.

(2) محمد بن إبراهيم، الاكتفاء، ورقة ٣١٨–أ.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص١٥٥. ابن كثير، البداية، ج١١ص١٢٣.

(4) ابن ظافر الأزدي، أخبار الدول المنقطعة، ج٢ص٣٨١.

(5) الصولي، أخبار المقتدر، ص٢٤٥–٢٤٦. الصابي، الوزراء، ص١٢٥–١٢٨. ابن الجوزي، أخبار الحمقى، ص٤٠–٤٣.

(6) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٤٥ و١٥١. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٨٧. الصابي، الوزراء، ص٢٨٩. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٢٣١.

(7) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٦٩–٧١. ابن كثير، البداية، ج١١ص١٧٠.

(8) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٥٧–٥٨. الصابي، الوزراء، ص١٢٧–١٢٨. الهمذاني، التكملة، ج١ص٥٠. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٩٥–١٩٦.

(9) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٥١ و١٥٦–١٥٧. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٣٨. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٢٢٦–٢٢٧ و٣٢٣ و٢٤٥–٢٤٦.

وردت على لسان صافي الحرمي شاهد العيان الوحيد على هذه الحادثة[١]، وكأنها تحاول أن تتنبأ عن جعفر بأنه سيبذر الأموال، وسيكون أداة في يد الحرم[٢] والغلمان. رغم أن هنالك رواية أخرى وردت على لسان صافي الحرمي كذلك تظهر تفاؤل المعتضد بابنه جعفر، وأنه سيجني ثمار جهوده في حال توليه الخلافة[٣].

في الواقع كان المقتدر متلافاً مبذراً للمال، وكان يحب التجمل في المساكن والآلات والسلاح والخيل وإظهار الزينة، وكان يأخذ حاشيته وجنده بإظهار آثار نعمته عليهم، وبوجوب التجمل. وكان يقول: "لم يمكننا الله من الدنيا لننسى نصيبنا منها، ولم يوسع علينا لنضيق على من في ظلالنا"[٤].

وتذكر –بعض الروايات– أن المقتدر بدأ بتفريق جوهر الخلافة منذ توليه الخلافة سنة (٢٩٥هـ/٩٠٧م) إذ فرق بعضاً منه على الحرم والخدم، وأرسل بعضه إلى صافي الحرمي، وإلى الوزير العباس بن الحسن فرده، لأنه زينة الإسلام، وعدة الخلافة وليس تفريقه بصواب[٥].

ولجوهر الخلافة مكانة عظيمة، وكان الخلفاء يحفظونه، ويضيفون إليه حتى اجتمع لدى المقتدر ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت[٦]. ومن ذلك الدرة اليتيمة التي وهبها المقتدر لإحدى

---

(١) التنوخي، النشوار، ج١ص٢٨٧–٢٩١. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٦٥–٦٦. Bowen, Ali b. Isa, P 99.

(٢) Bowen, Ali b. Isa, P. 99.

(٣) الصولي، أخبار المقتدر، ص١١٢. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٣٥.

(٤) الثعالبي، الإعجاز، ص٩٢. وانظر، ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص١٧٣. الأربلي، خلاصة الذهب، ص٢٤٠.

(٥) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٠٢.

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٦٤. الثعالبي، ثمار القلوب، ص١٥٣–١٥٤. البيروني، الجماهر، ص٥٦–٥٧.

الجواري، وسميت بذلك لتفردها بصفات خاصة من الجودة والحسن[1]، وقوّم سعرها بـــ ١٢٠,٠٠٠ دينار[2]. وخاتم هارون الرشيد وقيمته ٣٠٠,٠٠٠ دينار[3] واتهمت إحدى القهرمانات بسبحة قيمتها ٣٠,٠٠٠ دينار[4] وفي رواية ٣٠٠,٠٠٠ دينار[5]. ونظم المقتدر سبحة من مائة حبة قوِّمت الحبة الواحدة بألف دينار[6]، وعندما قتل نهبت مع ما نهب. ووهب المقتدر القرية الفضية التي كلف صنعها ٢٠٠,٠٠٠ درهم[7]. ويظهر أن جوهر الخلافة منه ما وهب، ومنه ما سرق، ومنه ما نهب.

وظهر بذخ الخلافة بمقدم رسولي ملك الروم إلى بغداد سنة (٣٠٥هـــ/٩١٧م) للفداء إذ أُخّرا في تكريت مدة شهرين ليُفرغ من تزيين القصور، وترتيب الآلات، واصطف بين يدي الخليفة لاستقبال الرسولين عدد كبير من الجند والخدم والغلمان، ناهيك عما ظهر من الديباج والبسط والستور، والأبهة والفخامة التي ظهرت بها دور الخلافة . ثم حُمل للرسولين خمسون بدرة ورقاً في كل بدرة خمسة آلاف درهم[8]، وهذا على سبيل المثال. وعلق القلقشندي على هذا البذخ بقوله: "هذا مع تقهقر الخلافة، وانحطاط رتبتها"[9].

وبلغت النوبة ممن يُرسم بحفظ دار الخلافة زمن المقتدر من الرجالة المصافية الملازمين للدار خمسة آلاف رجل، ومن الحراس أربعمائة حارس، ومـــن الفراشيـــن ثمانمائـــة

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٦٤. البيروني، الجماهر، ص١٢٩.

(2) البيروني، الجماهر، ص١٥٣.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٦٤. ابن الطقطقي، الفخري، ص٢٥٣. الذهبي، تاريخ الإسلام (٣١١-٣٢٠هـــ)، ص٣٩٧. ابن كثير، البداية، ج١١ص١١٢.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٦٤-٦٥.

(5) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣ص٢٦٥.

(6) التنوخي، النشوار، ج٧ص٢٥٥. ابن الساعي، نساء الخلفاء، ص١٠٦-١٠٧.

(7) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٧٢. ابن كثير، البداية، ج١١ص١٧٠.

(8) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١ص١١٥-١٢٠. وانظر، الصابي، رسوم دار الخلافة، ص١١-١٢ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص١٧٤-١٧٥. ابن الزبير، الذخائر، ص١٣٠-١٣٨.

(9) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣ص٢٨٩.

فراش[١]. وكان المقتدر يوزع في الهبات والصلات ما مقداره ٢٥٢,٠٠٠ دينارٍ سنوياً[٢] وبلغت مخصصات مطبخه ١٦٠٠ دينار يومياً[٣].

لهذا ذكرت المصادر أن الأموال التي أتلفها المقتدر تتراوح بين ٧٠,٠٠٠,٠٠٠[٤] دينار – ٨٠,٠٠٠,٠٠٠[٥] سوى ما أنفقه في موضعه.

وقد أورد مسكويه قائمة فصل فيها مقادير الأموال التي أتلفها المقتدر من بيت مال الخاصة منها:

- ارتفاع مال الخراج والضياع في فارس وكرمان ٢٣,٠٠٠,٠٠٠ درهم سنوياً
- ارتفاع مصر والشام ٣,٦٠٠,٠٠٠ دينار سنوياً
- مصادرات ابن الفرات وكتابه وأسبابه في مختلف وزاراته ٤,٣٠٠,٠٠٠ دينار
- ما يحصل من ارتفاع ضياع ابن الفرات سنويا سوى ٢٥٠,٠٠٠ دينار سنوياً الإقطاع[٦] والإيغار[٧]
- ما أخذ من ابن الحصاص من العين ٢,٠٠٠,٠٠٠ دينار

---

(1) الصابي، رسوم دار الخلافة، ص٨.

(2) ن.م.، ص٢٦.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٧٢.

(4) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٣٩. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٣٠٩. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص٧٥.

(5) الذهبي، تاريخ الإسلام (٣١١-٣٢٠هـ)، ص٣٩٧. دول الإسلام، ج١ص١٤٢. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣ص٢٦٥. ديار بكري، تاريخ خميس، ج٢ص٣٥٠. القرماني، أخبار الدول، ج٢ص١٣٦.

(6) الإقطاع: أن يقطع السلطان رجلاً أرضاً فتصير له رقبتها، الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٦٠.

(7) الإيغار: الحماية أن تحمي الضيعة أو القرية، فلا يدخلها عامل، ويوضع عليها شيء يؤدى في السنة لبيت المال، الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٦٠.

- ما حصل من ضياع العباس بن الحسن ١٢٠,٠٠٠ دينار سنوياً

- ما أخذ من حامد بن العباس وأسبابه مع ما يرتفع من ضياعه ٢,٢٠٠,٠٠٠ دينار

- ما أخذ من أموال علي بن عيسى وابن الحواري وأسبابه. ٢,٠٠٠,٠٠٠٠دينار

- ما أخذ من أموال الحسين بن أحمد ومحمد بن علي الماذرائيين منذ سنة ٢٩٩هـ-٣١٨م ٢,٣٠٠,٠٠٠ دينار

- تركة الراسبي ٥٠٠,٠٠٠ دينار

- تركة إبراهيم المسمعي ٣٠٠,٠٠٠ دينار

- ما حصل من ثمن المبيع من الضياع في أيام الوزراء. ٣,٠٠٠,٠٠٠ دينار

- ما حصل من أموال أم موسى وأختها وأخيها واسبابها. ٢,٠٠٠,٠٠٠ دينار

- المجموع: ٦٨,٤٣٠,٠٠٠ دينار[١]

وعلق مسكويه على هذه القائمة "يخرج من ذلك ما ليس يجري مجرى التبذير وهو ما أطلق في البيعة ثلاث دفعات، وما أنفق على فتح فارس وكرمان بضعة عشر ألف ألف دينار، وبقي بعد ذلك ما بذر وأتلف[٢].

كما أورد الصابي قائمة بالنفقات الخاصة زمن المقتدر جملتها السنوية ٢,٥٦٠,٩٦٠ دينار منها على سبيل المثال:

---

(1) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٣٩-٢٤٠.
(2) ن.م.، ج١ص٢٤١.

- نفقات المطابخ الخاصة والعامة	٥٢٨,٨٤٠ دينار سنوياً
- ما يدفع للسيدة والحرم	٧٤٣,١٩٦ دينار سنوياً
- نفقات الإصطبلات	٧٩,٧٧٦ دينار سنوياً
- النفقات الحادثة (الطارئة)	١٧٨,٩٤٠ دينار سنوياً
- البناء والمرمات	٥١,١٠٠ دينار سنوياً(١)

كما شملت النفقات في خلافة المقتدر ما يلي:

- نفقات الحرمين وطريقهما	٣١٥,٤٢٦,٥ دينار سنوياً
- رواتب القضاة في الممالك	٥٦,٥٦٩ دينار سنوياً
- نفقات الثغور	٤٩١,٥٦٩ دينار سنوياً
- رواتب ولاة الحسبة والمظالم في جميع البلاد	٣٤,٤٣٩ دينار سنوياً
رواتب أصحاب البريد	٧٩,٤٠٢ دينار سنوياً
المجموع	٩,٧٧٢,٩٢٥دينار سنوياً(٢)

لم تقتصر صفة التبذير وإظهار البذخ على المقتدر بل تعدته لكل من ارتبط به من المدنيين والعسكريين(٣).

---

(1) الصابي، رسوم دار الخلافة، ص٢٢-٢٧.

(2) الكندي، أخبار الدول، ورقة ٤٨-أ. ابن دحية، النبراس، ص١٠٣-١٠٤. النويري، نهاية الأرب، ج٢٣ص١٠١-١٠٢.

(3) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٢٨ و٢١٩ و١٣٨-١٣٩. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٥٤-١٥٥ و٧١-٧٢. الصابي، رسوم دار الخلافة، ص١٠. الوزراء، ص٢١٥-٢١٦. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٦٩.

ففي دعوة أقامتها الخالة للمقتدر، نثرت على خواص القصر ٥٠,٠٠٠ دينار، وعلى من دونهم ٥٠,٠٠٠ درهم، ووصلت البعض بمال تراوح بين عشرة دنانير إلى مائة دينار. وعلق الصولي على مقادير ما أنفق في هذه الدعوة بـــ "أنه قد كثر في الأمر، وأن النفقة لم تبلغ نصف ذلك"[١].

وفي سنة (٢٩٨هـــ/٩١٠م) تزوج غريب الخال ابنة بدر المعتضدي فنثرت عليه دنانير ودراهم وحمل على فرس سرجه ولجامه ذهب ثقيل الوزن، وخلع عليه شيء مثقل بالذهب وعمامته منه، وحمل بين يديه خمسة أكياس في كل كيس خمسة آلاف دينار، يحملها خمسة غلمان، ثم حملت أم موسى القهرمانة من بيت بدر إلى غريب الخال كسوة وطيباً بقيمة عشرين ألف دينار[٢].

وفي سنة (٣٠١هـــ/٩١٣م) ركبت أم موسى القهرمانة بهدية من بنات غريب الخال إلى أزواجهن في موكب عظيم من الفرسان والرجالة، وقادت معها اثني عشر فرساً بسروجها ولجمها المذهبة والمفضضة مع كل فرس خادم ومنطقة ذهب هدية، وأربعون تختاً من فاخر الثياب ومائة ألف دينار[٣].

وفي دعوة أقامها غريب الخال للمقتدر أظهر أحسن ما لديه من الآلات والبسط، وبنى للمقتدر قبة مفضضة[٤].

---

(1) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٣٨-١٣٩.
(2) ن.م.، ص١٢٨.
(3) ن.م.، ص٢١٩.
(4) ابن الزبير، الذخائر، ص١٠٧-١٠٨.

وفي سنة (٣١٢هـ/٩٢٣م) دعا مفلح الأسود المقتدر إلى بستانه فاستخدم من الثلج خمسين ألف رطل، ونشر الموائد في بستانه وضمت الحملان والدجاج وطيور مختلفة ناهيك عن الفاكهة وأنواع الطيب والآلات التي أظهرها في هذه الدعوة[١].

اختيار المقتدر للخلافة:

عندما تولى المكتفي بالله الخلافة سنة (٢٨٩-٢٩٥هـ/٩٠١-٩٠٧م) كان مريضاً، ولهذا

كان متوقعاً أن لا يعمر في الخلافة طويلاً[٢].

وأظهر المكتفي حرصاً على إبقاء الخلافة في أبناء أبيه دون النظر للكفاءة والمقدرة، أو مراعاة لمصالح الدولة خاصة بعد أن حاول الوزير العباس بن الحسن مرتين قبيل وفاة المكتفي أن يرشح للخلافة محمد بن المعتمد الذي رفض البيعة ما دامت في المكتفي روح. لكن مرض ابن المعتمد ثم وفاته جعلت الوزير يتجه لأحد أحفاد المتوكل فتوفي أيضاً[٣].

سأل المكتفي عن أخيه جعفر، ويذكر الصولي أنه كان بالغاً تجاوز عمره الثلاث عشرة سنة بشهرين[٤]. فلما صح لدى المكتفي أنه بالغ أشهد القضاة على أنه يرشح أخاه للخلافة. وذلك يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة[٥]. ويبدو أن العهد لجعفر لم يكن عهداً

---

(1) ن.م.، ص١٠٨.

(2) المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٣١٠. التنوخي، النشوار، ج١ص٢٨٨. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٩. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٦٥-٦٦. العصامي، سمط النجوم، ج٣ص٤٨٣-٤٨٤.

(3) الصولي، أخبار المقتدر، ص٣٣-٣٦. العصامي، سمط النجوم، ج٣ص٤٨٣-٤٨٤.

(4) الصولي، أخبار المقتدر، ص٤٤. الكبيسي، حمدان، عصر الخليفة المقتدر، ص٤٢-٤٣.

(5) المسعودي، مروج اذهب، ج٤ص٣١٠. الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٧٠. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٩-٥٠. ابن العمراني، الأنباء، ص١٥٢.

صريحاً ومكتوباً[١]. مما فتح المجال للأخذ والرد، ومنح فرصة للمدنيين والعسكريين على السواء للتدخل في شؤون الخلافة بشكل سافر، وعادت مصالح الوزراء والقادة والحاشية تحتل من جديد مكانها البارز في السياسة العباسية، وبرزت من جديد الدسائس والمؤامرات في البلاط[٢].

ووقع العبء الأكبر على الوزير العباس بن الحسن لاختيار الخليفة، ويبدو أنه لم يكن لديه تصور واضح للأمر، فأخذ باستشارة أربعة من الكتاب ذوي الحظوة والمكانة، والمعرفة الدقيقة بشؤون الدولة وهم محمد بن داود وعلي بن عيسى ومحمد بن عبدون وأبو الحسن علي ابن الفرات، ونتيجة للخلاف القائم بين هؤلاء الكتاب كان طبيعياً أن لا يلتقوا على قرار موحد. وظهر الانقسام واضحاً بينهم إذ رشح محمد بن داود ومحمد بن عبدون عبد الله بن المعتز لعلاقتهما الحسنة به، كما أنه صاحب رأي وعقل وأدب[٣]، ويظهر أنه ضليع في الشؤون المالية والإدارية، وعلى اطلاع بالمفاسد السياسية والإدارية، فقد نظم قصيدة طويلة وضح فيها تلك المفاسد[٤]. وبالتالي لديه المؤهلات الكافية لترشيحه لهذا المنصب. وقد لاقى هذا الاقتراح قبولاً لدى الوزير ابتداءً[٥] إلا أنه كان يخشاه ويخافه[٦].

---

(1) الدوري، دراسات، ص١٩٥. عمر، الخلافة العباسية،ص٥٤. الكبيسي، عصر الخليفة المقتدر، ص٣٨.

(2) عمر، الخلافة العباسية، ص٥٥-٥٦.

(١) التنوخي، نشوار، ج٥ص٦٤-٦٥. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢. الصابي، الوزراء، ص١٣٠. Bowen, Ali . Isa, P 84-85.

(٢) ابن المعتز، ديوان ابن المعتز، ص٧٦١-٧٨٠. رسائل ابن المعتز، ص٨٣-٨٥ و٩١-٩٥.

(٣) التنوخي، النشوار، ج٥ص٦٤-٦٥. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢. الصابي، الوزراء، ص١٣٠. Bowen, Ali b. Isa, P 84-85.

(٤) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٩-٢٠.

أما علي بن عيسى فلم يُسمِّ أحداً لكنه رأى بأن يكون المرشح ديناً، ومتقدماً في السن محنكاً عالماً بالأمور، ذا رأي وتدبير ليكون أهلاً للخلافة[١].

أما ابن الفرات فقد طلب الانفراد بالوزير ليطرح رأيه، وكان عالماً بميل الوزير لابن المعتز لسنه فبين للوزير أن اختيار ابن المعتز لن يكون لصالحهم خاصة وأن علاقتهم به سيئة، إذ قال للوزير: "أنسيت أنه منذ ثلاثين سنة يكاتبك في حوائجه فلا تقضيها، ويسألك في معاملاته فلا تمضيها، وعمالك يصفعون وكلاءه فلا تنكر، ويتوسل في الوصول إليك ليلاً فلا تأذن، وكم رقعة جاءتك بنظم ونثر فلم تعبأ بها، ولا أجبته إلى مراده، وكم قد جاءني منه ما هذه سبيله فلم أراع منه وصولاً إلى ما يريد إيصاله إليه"[٢]. نرى أن ابن الفرات ربط مصيره وخوفه بمصير وخوف الوزير، وعبر عما بداخل نفسه من الخوف من خلال إظهاره النصح للوزير ، وتذكيره بالبديهيات الغائبة عنه.

كما ذكّر الوزير بأن المميزات التي تؤهله للخلافة هي مكمن الخطر أيضاً إذ قال: "وأي شيء تعمل برجل فاضل متأدب، قد تحنك وتدرب، وعرف الأعمال، ومعاملات السواد، وموقع الرعية في الأموال، وخبر المكاييل والأوزان وأسعار المأكولات، والمستغلات ومجاري الأمور والتصرفات، وحاسب وكلاءه على ما تولوه... وعرف من خياناتهم واقتطاعاتهم أسباب الخيانة والاقتطاع التي يدخل فيها غيرهم. فكيف يتم لنا معه أمر إن حمل كبيراً على صغير، وقاس جليلاً على دقيق"[٣]. فكيف يأمنون على أنفسهم وأموالهم وهذه حاله وتلك هي معاملتهم له.

---

(٥) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٣. الصابي، الوزراء، ص١٤٣-١٤٤. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٢٧. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤٣٨. Bowen, Ali b. Isa, P 84.

(٦) التنوخي، النشوار، ج٥ص٦٦. الصابي، الوزراء، ص١٣١.

(3) التنوخي، النشوار، ج٥ص٦٥. الصابي، الوزراء، ص١٣١.

وبعد أن هيأ ابن الفرات ذهن الوزير بهذا الشكل عرض مرشحه جعفر بن المعتضد البالغ من العمر ثلاث عشرة سنة[١]، لكن الوزير أظهر كراهته لصغر سنه، فأطمع ابن الفرات نفس الوزير بالسلطة إن اختاره، وأنه سيكون الخليفة فعلاً، وإليه التدبير والأمر والنهي. وما إن يكبر الخليفة حتى يكون قد حصل على مكانة كمكانة المعتضد في قلبه[٢]، كما أن هذا الاختيار يدعمه عهد المكتفي[٣]، بالإضافة إلى غلمان المعتضد الذين سيظهر أمامهم بمظهر الحريص على إبقاء الخلافة في أبنائه، خاصة وأن أغلب من يحيطون به هم من صنائع المعتضد، وما عليه سوى موافقة أكابر القواد وعقلاء الخدم[٤].

ومع هذا استصبى الوزير جعفر بن المعتضد، وأظهر شكوكه في تمام الأمر، وخشيته من المعارضة، فكان جواب ابن الفرات، الذي يحمل في طياته نظرة غريبة لدولة خدم فيها سنوات طويلة: "متى اعتقدت أنت أو نحن إمامة البالغين من هؤلاء القوم، وأما إجابة الناس، فمتى فعل السلطان شيئاً فعورض فيه، أو أراد أمراً فوقف". وأشار على الوزير بأن يستر "الأمر إلى أن يتم التدبير، فإن اعتاص معتاص مد بالعطاء والإحسان"[٥]. تظهر هذه الرواية افتقار ابن الفرات للولاء الحقيقي للدولة، وعدم إيمانه بشرعيتها. وربما كان لهذه النظرة علاقة باتهامه

---

(1) الصولي، أخبار المقتدر، ص٤٤. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٢٢. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٣.

(2) التنوخي، النشوار، ج٥ص٦٦. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢-٣. الصابي، الوزراء، ص١٣٠-١٣١. الهمذاني، التكملة، ج١ص٤.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٣. وانظر المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٣١٠. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤٣٨. النويري، نهاية الأرب، ج٢٣ص٢٥.

(4) التنوخي، النشوار، ج٥ص٦٦-٦٧. الصابي، الوزراء، ص١٣١.

(١) التنوخي، النشوار، ج٥ص٦٦. الصابي، الوزراء، ص١٣١. ابن العبري، تاريخ الدول، ص١٥٥.

بالتشيع[١]، وانتقاده لاعتماده على كثير من العمال ذوي الميول الشيعية كآل نوبخت وآل بسطام[٢]. وكثيراً ما اتهم ابن الفرات بالتواطؤ مع القرامطة[٣].

ولا يرد ما يشير إلى أن للوزير العباس بن الحسن أية ميول شيعية، وإن كان الكثير من الروايات يظهرهما شركاء في المصالح[٤].

يذكر الصابي أن اختيار ابن الفرات لجعفر بن المعتضد ما هو إلا لمعارضة اختيار آل الجراح[٥]، وقد انفرد علي بن عيسى بابن الفرات مبيناً له العواقب الوخيمة لمثل هذا الاختيار، وأنه سيحمل وزره لأنه لم يراعِ فيه الدين أو المصلحة العامة[٦].

ويلاحظ أن الخلاف بين آل الفرات وآل الجراح لعب دوره في اختيار جعفر بالإضافة إلى تغليب المصالح الخاصة.

يبدو أن قناعة الوزير لم تكن تامة. فعندما انحدر صافي الحرمي لدار ابن طاهر لإحضار جعفر خشي أن يتوجه به لدار الوزير كما كان متفقاً ، خوفاً من الحيلة، أو تغير في رأي الوزير، وانحدر به مباشرة لدار الخلافة، بحيث أخذ له البيعة على من في الدار من الخدم و الحاشية، ثم لحق به الوزير وجماعة الكتاب وبايعوه يوم الأحد (١٧/ ذو القعدة ٢٩٥هـ/

---

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٠٤. الصابي، الوزراء، ص٣٤٣.

(٣) التنوخي، النشوار، ج٨ص٩١.

(٤) الصولي، أخبار المقتدر، ص٢٣٣.

(٥) الصابي، الوزراء، ص٢٥٢-٢٥٣.

(٦) ن.م.، ص١٤٣. Bowen, Ali b. Isa, P 85.

(٧) الصابي، الوزراء، ص١٥٤.

٩٠٧م)[١]. وقد ذكر الصولي صراحة أن البيعة تمت على يد صافي الحرمي وفاتك المعتضدي[٢] لهذا يرى بوون أن الوزير وضع أمام الأمر الواقع ولم يعد أمامه أي خيار[٣].

يبدو أن وضع الخليفة الجديد لم يكن مستقراً، وأن توليه الخلافة في سن صغيرة كان مجالاً للجدل والنقاش، وقد ألف الصولي بأمر من الوزير العباس بن الحسن[٤] كتاباً في جواز ولايته، مستدلاً على ذلك بعددٍ من الأنبياء كيحيى بن زكريا عليهما السلام الذي بعث وهو غير بالغ، وذكر عدداً من الصحابة ممن استعملهم رسول الله وهم غير بالغين[٥]. وبالتالي كان صغر سن المقتدر حجة بيد آل الجراح في محاولتهم لإيصال مرشحهم ابن المعتز إلى سدة الخلافة بعد أشهر قليلة من خلافة المقتدر.

والظاهر أن عبد الله بن المعتز كان يعتبر شخصية منافسة، ومرموقة يُخشى منها، فالمعتضد شعر بالقلق تجاهه، وفكر في حبسه لولا تدخل وزيره عبيد الله بن سليمان الذي ثناه بقوله: "إن عبد الله بن المعتز لا يحدث نفسه بالخلافة، وإنما همته في شعر ينظمه، أو كتاب يصيغه وليس موضعاً للاستشعار منه"[٦]. كما طلب المكتفي منادمته وملازمته لكنه رفض

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٧١. الصولي، أخبار المقتدر، ص٣٩. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٢١. المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢٩٢. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٣. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٦٠.

(٢) الصولي، أخبار المقتدر، ص٤٠.

(٣) Bowen, Ali b. Isa, p88.

(٤) الصولي، أخبار المقتدر، ص٤٤.

(٥) ن.م.، ص٤٤-٤٥. ابن العبري، تاريخ الدول، ص١٥٥. ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص١٧٢. الأربلي، خلاصة الذهب، ص٢٣٩. ابن دقماق، الجوهر الثمين، ج١ص١٦٦.

(6) ابن العمراني، الأنباء، ص١٤٦. الكندي، أخبار الدول، ورقة ٤٤-أ.

بلباقة[١]، وكان ممن حبسوا حتى تمت البيعة للمكتفي[٢]. وأشار صافي الحرمي على المكتفي وهو في مرض موته بحبسه لأن الناس تحدثوا في أمره[٣].

ولد أبو العباس عبد الله بن الخليفة محمد المعتز من أم ولد في (٢٣/ شعبان ٢٤٤هـ/٨٥٨م)[٤] وفي رواية في (٢٣/شعبان/٢٤٧هـ/٨٦١م)[٥]، وقيل سنة (٢٤٩هـ/٨٦٣م)[٦].

اتجه للدراسات الأدبية وبرز بشعره الذي امتاز ببلاغته، وقوة معانيه، وسهولة ألفاظه[٧]، وأخذ اللغة والأدب عن كبار النحويين واللغويين من أمثال المبرد وثعلب[٨]، وله تصانيف كثيرة في الشعر والأدب[٩].

اجتمع إلى ابن المعتز جماعة من القواد والقضاة وعلى رأسهم الوزير العباس ابن

---

(1) ابن العمراني، الأنباء، ص١٥٠.

(2) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج١ص٧٨. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٠ص٩٩.

(3) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٢١. ابن العمراني، الأنباء، ص١٥٢. ابن العماد، شذرات الذهب، ج٢ص٣٩٦.

(4) الأنباري، نزهة الألباء، ص٧٧.

(5) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٠ص٩٩. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٨٣. دائرة المعارف، مادة (عبد الله بن المعتز).

(6) الكتبي، فوات الوفيات، ج٢ص٢٤٠. ابن تغري بردي، مورد اللطافة، ج١ص١٨٠، النجوم الزاهرة، ج٣ص١٨٥.

(7) الصولي، أخبار المقتدر، ص٨٦. المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٣١١. الخطيب البغداداي، تاريخ بغداد، ج١٠ص٩٥. ابن ظفر، أنباء نجباء الأبناء، ص١١٧-١١٨.

(8) الثعالبي، ثمار القلوب، ص١٨٢. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١ص٩٥. الأنباري، نزهة الألباء، ص٧٧.

(9) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢ص٣٧. أنظر، ابن النديم، الفهرست، ص١٤٨. اليافعي، مرآة الجنان، ج٢ص١٩.

الحسن، ومحمد بن داود ، ومحمد بن عبدون، وأبو عمر محمد بن يوسف القاضي وأبو المثنى أحمد بن يعقوب القاضي والحسين بن حمدان وغيرهم لمبايعته، وقَبِل على أن لا تسفك دماء، ولا تكون حرب، وتمت مبايعته ليلة الأحد (١٨/ربيع الآخر ٢٩٦هـ/٩٠٨م)[١]. وبقي المقتدر في خواصه من خدم الدار وعلى رأسهم سوسن الحاجب وصافي الحرمي ومؤنس الخادم وغريب الخال، أما ابن الفرات فلم يعثر له على أثر[٢]. وبدا وكأن الوضع قد استقر لابن المعتز لانضمام كبار موظفي الدولة إليه، وتذكر بعض الروايات أن الخاصة والعامة قد اجتمعت عليه[٣]. لكن سير الأحداث دل على غير ذلك إذ بدت جماعة المقتدر متماسكة خاصة بعد أن وعدوا بزيادة أرزاقهم إن هم ثبتوا[٤].

ويبدو أن لابن الفرات دوراً خفياً في تأييد المقتدر، فقد أبدى علي بن عيسى قلقه من اختفاء ابن الفرات، وقال لعمه محمد بن داود بعد أن أظهر الاستهانة بأمره: "وستعلم ما تكون عواقب تأخره، وأنه لا يكون هلاك الجماعة إلا على يده"[٥]. ولما استوزر ابن الفرات بعد الفتنة لم تنكر والدة المقتدر فضله وخاطبته "أنت قلدته الخلافة أولاً وثانياً. وتعني ما تقدم من مشورته للعباس به، وبتقلده الخلافة من بعد إزالة فتنة ابن المعتز"[٦]. كما رفض خدم الدار تقديم

---

(1) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٧١. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٢٤-٢٦. المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٣١١. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد. ج١٠ص٩٨. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٧٩-٨٠.

(2) الصولي، أخبار المقتدر،ص٦٧ و٧٠. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٦. الصابي، الوزراء، ص١٥٤. الهمذاني، التكملة، ج١ص٥. ابن دحية، النبراس، ص٦١. الذهبي، دول الإسلام، ج١ص١٣٢.

(3) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٧١. الصولي، أخبار المقتدر، ص٦٦. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص ٢٧. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٧٩.

(4) الصولي، أخبار المقتدر، ص٦٧.

(5) الصابي، الوزراء، ص١٥٤.

(6) التنوخي، النشوار، ج٥ص٦٧.

الحَرَّاقات[١] والطيارات[٢] لابن المعتز، وعندما أرسل بطلب خلع ليلبسها رفض صاحب الكسوة الأمر، وقال: "أن المقتدر قد لبسها"[٣].

وكانت الطبول تضرب أمام دار الخلافة، والدار التي بها ابن المعتز عند كل صلاة[٤]. يلاحظ شدة تمسك الخدم والغلمان بالمقتدر، ووجود خليفتين كل منهما يمارس رسوم الخلافة مع عدم قدرة ابن المعتز إلزام غلمان الدار بتنفيذ أوامره. كما أن جماعة ابن المعتز كان ينقصها التماسك والولاء الحقيقي، فالعباس بن الحسن غيّر موقفه حرصاً على مصالحه الخاصة التي رأى أنها ستكون على أفضل حال مع المقتدر[٥]. وقيل أن أموالاً دفعت له جعلته يميل إلى جانب المقتدر[٦].

كان الوزير العباس بن الحسن يتمتع عملياً بصلاحيات واسعة في خلافة المقتدر حتى سميت وزارته خلافة[٧]. والظاهر أن تفرده بالأمور، وتجبره وتكبره على القادة والكتاب[٨] أكسبه سخط هذه الفئات فأخذ الكثير من رجال الدولة يتذمرون من تصرفاته خاصة بعد أن بدأ بتقريب فاتك المعتضدي، وينفرد معه في كثير من الأوقات مهملاً الكثيرين من الخاصة والعامة على بابه[٩]. كما اكتسب الوزير سخط الخليفة الذي أصبح لا يهابه[١٠]. وبالتالي

---

(1) الحرّاقات: نوع من أنواع السفن، ابن منظور، لسان العرب، ج١٠ص٤٢.

(2) الطيارات: نوع من أنواع السفن السريعة تستخدم كوسيلة نقل. أنظر، الهمداني، التكملة، ج١ص٤١.

(3) الصولي، أخبار المقتدر، ص٦٧.

(4) ن.م.، ص٦٧.

(5) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٧١. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٢٤-٢٥. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤٤١. ابن العبري، تاريخ الدول، ص١٥٥.

(6) الذهبي، تاريخ الإسلام (٢٩١-٣٠٠هـ)، ص٢٤. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٣٧٨.

(7) الصولي، أخبار المقتدر، ص٥٦.

(8) ن.م.، ص٥٩-٦٠. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٢٥. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٧٩.

(9) الصولي، أخبار المقتدر، ص٥٦-٦٠.

(10) ن.م.، ص٥٦.

كان الوزير وفاتك أول من قتل في الفتنة على يد الحسين بن حمدان الذي برر قتله للوزير بأسباب دينية وأخلاقية[١] ودون أي ذكر لاعتبارات سياسية، أو لموقف العباس بن الحسن المتذبذب.

إلا أن الصولي يتحفظ على المبررات التي ادعاها الحسين بن حمدان بقوله: "ولقد علمت العباس بن الحسن إلا جميل الأثر، حسن الدين، كثير الصدقة والمعروف ، ولقد كنا نسأله في أبواب المعروف أشياء كثيرة فيأمر بها، وربما جرى بعض ذلك على أيدينا"[٢].

وبعد مقتـــل الوزيـــر سعى الحسين بن حمدان لقتل المقتدر لكنه لم ينجح[٣]، ويبدو أن معلوماتٍ سربت إلى صافي الحرمي فاتخذ التدابير لحماية المقتدر[٤]. بعد هذه المحاولة لم يسع ابن المعتز وجماعته للتخلص من المقتدر، بل انشغل ابن المعتز بتدبير شؤون خلافته فاستوزر محمد بن داود، وجعل على الدواوين علي بن عيسى الذي كان غير راغب بالدخول في الأمر، إلا أنه غير موقفه بعد أن وصله قول ابن المعتز: "علي بن عيسى متأخر عنا ليمضي إلى جعفر فإن كانت له خلص عمه، وإن كانت لنا خلصه عمه"[٥]. واتخذ على الأزمة محمد بن عبدون وعلى القضاء أبا المثنى[٦]. ثم أرسل ابن المعتز يطالب المقتدر بالخروج من دار الخلافة، وكاد أن يذعن لولا أن غلمان وخدم الدار قرروا المقاومة، فتسلحوا وساروا إلى الدار التي بها ابن المعتز، فما إن سمع أتباعه أصواتهم حتى هربوا، واستتتروا بمن فيهم ابن المعتز الذي استتر

(1) الصولي، أخبار المقتدر، ص٥٥-٥٦. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٢٦. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٨٠.

(2) الصولي، أخبار المقتدر، ص٦١.

(3) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٧١. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٢٦. المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٣١١. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٥-٦. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٣٢-١٣٣.

(4) الصولي، أخبار المقتدر، ص٥٥.

(5) الصابي، الوزراء، ١٥٤.

(6) الصولي، أخبار المقتدر، ص٦٦. المسعودي، التنبيه، ص٢٣٦. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٥-٦. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٣٣.

لدى ابن الجصاص التاجر، واختفى وزيره محمد بن داود وذلك في (١٩/ربيع الأول/٢٩٦هـ/٩٠٨م)[١].

بدأ الوهن في موقف ابن المعتز منذ أن هرب الحسين بن حمدان إلى الموصل بأهله وماله بعد فشله في التخلص من المقتدر[٢]، بل أنه كان يظهر القلق من أن يتبعه ابن المعتز[٣]. وقد أشارت بعض المصادر باستغراب إلى موقف الحسين بن حمدان[٤]، في حين يذكر ابن الأثير صراحة أن هروبه ما هو إلا مواطأة تمت بينه وبين المقتدر[٥]. لكن الصولي يذكر أن أصحاب المقتدر انشغلوا بمحاربة ابن حمدان إلى أن أصابه سهم، ثم بلغه تفرق أصحابه فحمل ماله وولده وقصد الموصل[٦].

والظاهر أن موقف الحسين بن حمدان لم يكن واضحاً للبعض ففي رواية للصولي أن علي بن عيسى أرسل إلى الوزير بعزم القوم على قتله، فقال الوزير: "قد جاءنا بضعف قلبه وخوره، أليس معنا أبو علي الحسين بن حمدان"[٧].

ويبدو أن موقف أصحاب المقتدر لم يكن متهاوناً مع الحسين بن حمدان، فقد أُرسل في أثره القاسم بن سيما، ثم أتبع بأخيه عبد الله بن حمدان لمحاربته وهزم عبد الله أمام أخيه، ثم

---

(1) الصولي، أخبار المقتدر، ص٧٠-٧١. أنظر، الطبري، تاريخ، ج٥ص٣٧١. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٦-٧.

(2) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٥-٦. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٨٠. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٣٣. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤٤٢.

(3) الصولي، أخبار المقتدر، ص٧١.

(4) ابن العبري، تاريخ الدول، ص٢٦٩. النويري، نهاية الأرب، ج٢٣ص٢٨.

(5) ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤٤٢.

(6) الصولي، أخبار المقتدر، ص٧١.

(7) ن.م.، ص٦١.

طلب الحسين بن حمدان الأمان فأجيب إليه[١]. وقيل أن ابن الفرات قام بأمره، وحصّل له الأمان[٢]، وربما كان لالتقائهما على ذات المذهب دور في موقف ابن الفرات منه[٣]. وعُقد له على قم وقاشان سنة (٢٩٩هـ/٩١٠م)[٤]، وفي سنة (٣٠٣هـ/٩١٤م) أعلن الحسين بن حمدان تمرده ورفض دفع ما عليه إلى خزينة الدولة، وانتهى أمره بحبسه[٥]. وفي سنة (٣٠٥هـ/ ٩١٦م) توفي الحسين بن حمدان في السجن مع التشكيك في سبب وفاته[٦].

وشكك الصولي بولاء ابن الجصاص التاجر الذي اختفى عنده ابن المعتز[٧].

فالحسين بن عبد الله بن الجصاص من كبار التجار المثرين ثراءً فاحشاً، وقد تأثلت حاله منذ اتصاله بخمارويه الذي أمر ألا يباع شيء إلا على يده[٨]، وأصبح من ندمائه والمقربين إليه جداً حتى رد إليه أمر داره والإشراف على نفقاته[٩]. ولم تزل حاله تقوى حتى سفر بأمر زواج المعتضد من قطر الندى ابنة خمارويه، وأشرف على جهازها[١٠]. وقيل أنه "حمل جوهراً، لم تجتمع مثله عند خليفة قط، فاقتطع بعضه، وأعلم قطر الندى أن ما أخذ مودع لها عنده إلى وقت

---

(1) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٧٢. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٣٠-٣١. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٣٦-١٣٧. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤٤٣.

(2) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٠٣. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤٤٢. ابن العبري، تاريخ الدول، ص١٥٥.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤٤٣. النويري، نهاية الأرب، ج٢٣ص٣٠.

(4) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٥٢. وانظر، الطبري، تاريخ، ج٥ص٣٧٢. ابن العبري، تاريخ الدول، ص١٥٥.

(5) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٥٩-٦٠. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٣٦-٣٨. الهمذاني، التكملة، ج١ص١٦. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٧٦.

(6) الصولي، أخبار المقتدر، ص٢١٧. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٧٦-٧٧.

(7) الصولي، أخبار المقتدر، ص٧١.

(8) التنوخي، النشوار، ج٢ص٢٦٨.

(9) ن.م.، ج٢ص٣١٤.

(10) ن.م.، ج٢ص٣١٤. المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢٨٤. البيروني، الجماهر، ص١٥٤.

حاجتها، فماتت والجوهر عنده فكان ذلك سبب غناه"[1]. وصف ابن الجصاص بالبله والحمق، وقيل أنه يتطابع بذلك لتأمنه الوزراء، لكثرة خلوته بالخلفاء[2]. ويصفه أبو حيان بأنه "أعقل الناس، وأحزم الناس.. كيف يستبطن –المعتضد ابن الجصاص– ويختصه إلا وهناك عقل وثبات، وفضل غامر، وعزيمة واقتدار، وتلطف وتجربة"[3]. وهناك أخبار كثيرة تدل على ذكائه وفطنته[4].

هذا التاجر دخل في الفتنة وشارك فيها وكان ممن نجوا، واكتُفي بمصادرته على مبلغ كبير من المال قيل أنه ستة ملايين دينار[5]. وقد حظي بدعم ابن الفرات[6]، وعناية أم المقتدر[7].

وفي المقابل –لا تذكر الروايات المتوافرة– إلا حالة خيانة واحدة في صفوف جماعة المقتدر، اتهم فيها سوسن الحاجب بمبايعة ابن المعتز على أن يكون حاجبه، ولما بلغه أن يمناً غلام المكتفي – وهو عدوه– يسير بين يدي ابن المعتز كالحاجب رجع عن رأيه وأخذ في إحكام أمر المقتدر[8].

---

(1) المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢٤٨.

(2) التنوخي، النشوار، ج٢ص٣٦٩. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٢٧٠. الكتبي، فوات الوفيات، ج١ص٣٧٦.

(3) أبو حيان، البصائر، ج٤ص١١٤–١١٥.

(4) التنوخي، النشوار، ج١ص٣٦. ابن الجوزي، أخبار الحمقى، ص٤٤–٤٦.

(5) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٠٠–١٠١. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٨. الصابي، الوزراء، ص١٣٥–١٣٦. ابن الجوزي، أخبار الحمقى، ص٤٤.

(6) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٢٩. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٥٣.

(7) البيروني، الجماهر، ص١٥٣.

(8) الصولي، أخبار المقتدر، ص٦٦–٦٧. الثعالبي، ثمار القلوب، ص١٥٠–١٥١. ابن تغري بردي، مورد اللطافة، ج١ص١٨٠.

أما العامة التي راهنت عليها جماعة ابن المعتز فقد كان موقفها واضحاً إلى جانب المقتدر، فعندما أراد ابن المعتز الجلوس في دار الخلافة قال له محمد بن داود: "ننتظر قليلاً إلى أن تنفض الطريق من عامة تفرقت فيه". فقال ابن المعتز: "أهم معنا، أم علينا"! فقال: "ليسوا معنا"[١]. كما قامت العامة برجم علي بن عيسى ومحمد بن عبدون عند القبض عليهما[٢]، وقاتلوا مع غلمان الدار ضد أتباع ابن المعتز[٣].

ولزم الجند جانب المقتدر فقد ظن ابن المعتز عندما اتجه إلى سامراء أنهم سيتبعونه فلم يتبعه منهم أحد[٤].

والخطأ الكبير الذي وقع فيه ابن المعتز عدم تخلصه من معارضيه بما فيهم المقتدر، إذ انشغل محمد بن داود بالكتابة إلى النواحي بخلافة ابن المعتز واستيزاره[٥]، والوحيد الذي أظهر حرصاً على التخلص من المقتدر هو الحسين بن حمدان[٦].

وانتهت الفتنة بمقتل ابن المعتز والقاضي ابن المثنى الذي بقي لآخر لحظة غير مقر بشرعية خلافة المقتدر لصغر سنة[٧]. ورغم أن السلطة أمرت بقتله إلا أن ذلك اعتبر من قبل البعض سابقة خطيرة[٨]. وصودر القاضي محمد بن يوسف على مائة ألف دينار، وأن يلزم بيته بعد إقراره بخطأ ما قام به[٩]، إذ يقول: "فمكثت في بيتي سنتين وبابي مسدود عليّ لا أرى أحداً، ولا يراني إلا في الشاذ، وتوفرت على دروس الفقه، والنظر في العلم"[١٠].

---

(1) الصولي، أخبار المقتدر، ص٦٩. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٣٤-١٣٥.
(2) مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٣٤.
(3) الصولي، أخبار المقتدر، ص٧١. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٧.
(4) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٦.
(5) الصولي، أخبار المقتدر، ص٦١.
(6) ن.م.، ص ٦٦. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٦. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٣٣-١٣٤.
(7) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٢٨. الهمذاني، التكملة، ج١ص٦.
(8) الثعالبي، ثمار القلوب، ص١٣٤-١٣٥.
(9) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٩. الهمذاني، التكملة، ج١ص٦.
(10) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج١ص١٠٨-١٠٩.

أما علي بن عيسى ومحمد بن عبدون فقد نفيا الأول إلى واسط ثم إلى مكة بناء على رغبته، والأخير إلى الأهواز، وشدد ابن الفرات على محمد بن عبدون في المصادرة، وألزمه في منفاه بعدم مراسلة أحد[١]، ويظهر من بعض الروايات أن ابن الفرات كان يرغب في قرارة نفسه في التخلص من محمد بن عبدون[٢]. واستتر محمد بن داود، وأظهر ابن الفرات حرصاً على سلامته، ونصحه بالاستتار إلى أن يتمكن من تدبير أمره مع الخليفة.

يبدو أن شكوك محمد بن داود تجاه ابن الفرات، بالإضافة إلى عداوة سوسن الحاجب وصافي الحرمي له أدت به إلى القتل، وقد تأسف ابن الفرات لمصيره مستذكراً كفايته وفضله[٣].

رغم الحكمة التي أبداها ابن الفرات بإعلان الأمان لجميع المشاركين في الفتنة[٤]. ألا أن تداعياتها لم تكن بسيطة، فالأجواء مشحونة بالخوف والتوتر الشديدين[٥] ولم يجرؤ أحد على رثاء ابن المعتز[٦]، وبقي الكثير من المشاركين في الفتنة في السجن حتى سنة (٣٠١هـ/ ٩١٣م)[٧]، أو لزموا بيوتهم لعدة سنوات[٨].

يبدو أن موقف حاشية المقتدر المناهض بشدة لابن المعتز له ما يبرره فمؤهلاته التي ترشحه كمثال للخليفة القوى الناضج ما كانت لتروق لهم.

كما أن هذه الفئة كانت تخشاه لكونه كان يرى نفسه صاحب حق وأنه مظلوم منذ مقتل والده الخليفة المعتز سنة (٢٥٤هـ/٨٦٩م)[٩]. فكان أول شعار رفعه آن للحق أن يتضح،

---

(1) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٠٠-١٠١. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٢-١٣. الهمذاني، التكملة، ج١ص٦.

(2) الصابي، الوزراء، ص١٥٤-١٥٥.

(3) عريب بن سعيد، صة الطبري، ص٢٧. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٨-٩. الصابي، الوزراء، ص١٣٨.

(4) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٣. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٨١. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٣٦. ابن الطقطقي، الفخري، ص٢٥٩.

(5) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج١ص١٠٧-١٠٨.

(6) الثعالبي، ثمار القلوب، ص١٥١.

(7) الصولي، أخبار المقتدر، ص٦٦.

(8) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج١ص١٠٨-١٠٩.

(9) ن.م.، ج١ص٢٨٧-٢٨٨. الصابي، الوزراء، ص١٣٠-١٣١.

وللباطل أن يفتضح[١]. كما أنه لم يحظ بدعم الجيش الذي بدا خذلانه له واضحاً؛ مما جعله يخسر الموقف بصورة تامة.

سياسة المقتدر والقوى المؤثرة في عهده:

اختار المقتدر بعد توليه الخلافة العباس بن الحسن للوزارة، وقلد ابنه أحمد الكتابة للسيدة، وأقر سوسن الحاجب على الحجبة، وخلع على جماعة من القواد من أمثال فاتك ويمن غلام المكتفي ومؤنس الخادم، وابن عمرويه صاحب الشرطة وغيرهم[٢]، وبهذا يكون المقتدر قد أبقى جل الموظفين الذين عملوا في عهد سلفه في مناصبهم، ولعل ذلك يوضح أن الخليفة الجديد لم تكن له وجهة نظر خاصة في تصريف شؤون الدولة[٣].

تقرب المقتدر إلى العامة بهدمه مستغلات رحبة باب الطاق لإضرارها بالضعفاء الذين يقعدون فيها لتجارتهم بلا أجرة[٤]. وأعاد رسوم الخلافة في التوسع في النفقات والأرزاق[٥]. وأمر بأن تعاد رسوم الأضاحي فكان يفرق في يوم التروية ويوم عرفة من البقر والغنم ثلاثين ألف رأس، ومن الإبل ألف رأس على القواد والغلمان وأصحاب الدواوين والقضاة والجلساء[٦]. وزاد أرزاق بني هاشم من دينار إلى دينارين[٧]، وفرق فيهم خمسة عشر ألف دينار وتصدق بمثلها[٨]، وأمر بإطلاق من في الحبس ممن لا خصم له على أن يتولى القضاة متابعـــة

---

(1) الصولي، أخبار المقتدر، ص٦٧. القلقشندي، مآثر الإنافة، ج١ص٢٧٦.

(2) الصولي، أخبار المقتدر، ص٤٠و٤٢. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٢٣. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٣١.

(3) الكبيسي، عصر الخليفة المقتدر، ص٤٥-٤٦.

(4) الصولي، أخبار المقتدر، ص٤٣. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٢٤. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٣. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٦٢.

(5) الصولي، أخبار المقتدر، ص٤٣. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٢٣-٢٤. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٣.

(6) الصولي، أخبار المقتدر، ص٤٣.

(7) محمد بن إبراهيم، الاكتفاء، ورقة ٣١٨-أ.

(8) الصولي، أخبار المقتدر، ص٤٣.

ذلك[١].

وفي سنة (٢٩٦هـ/٩٠٨م) أصدر المقتدر أوامره بتجديد المصلى العتيق، وإبطال الذي يلي دار الخلافة، وإعادته إلى ما كان عليه في متقدم الأيام[٢]. كما أجرى بعض الترميمات والتوسيعات في المسجد الحرام[٣].

كما أدى إعلانه للعفو العام -باقتراح من ابن الفرات- عن كل من شارك في فتنة ابن المعتز سنة (٢٩٦هـ/٩٠٨م) إلى تحقيق الاستقرار في الدولة[٤].

اهتم المقتدر بالكثير من المشاكل التي ظهرت في دولته، فعندما بدأ التضايق من ازدياد نفوذ الكتاب النصارى منذ وزارة العباس بن الحسن[٥] أمر المقتدر سنة (٢٩٦هـ/٩٠٨م) بالاقتصار على استخدامهم في الطب والجهبذة[٦]، لكن هذا القرار لم يطبق عملياً[٧]، فقد كان أهم كتاب ابن الفرات ابني جبير النصرانيين اللذين ظهر أثرهما في مختلف وزاراته[٨]، ويبدو أن هذه الفئة ازداد نفوذها لدرجة أن الحسين بن القاسم أخذ يتملق إليهم بأصله المسيحي آملا في

---

(1) الصولي، أخبار المقتدر، ص٤٣. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٢٣.مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٣. ابن كثير، البداية، ج١١ص١٠٥.

(2) الصولي، أخبار المقتدر، ص ١٠٣.

(3) العصامي، سمط النجوم، ج٣ص٤٨٨.

(4) التنوخي، النشوار، ج٥ص٧٣-٧٤. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٢٩. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٣-١٤. الصابي، الوزراء، ص١٣٥-١٣٦.

(5) الصولي، أخبار المقتدر، ص٢٥. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٢٣. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٨٣.

(6) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٠٠.

(7) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٣٠.

(8) الصولي، أخبار المقتدر، ص٣٣. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٣٠. النويري، نهاية الأرب، ج٢٣ص٢١. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣ص١٨٢.

الوصول إلى الوزارة سنة (٣١٩هـ/٩٣١م)[١].

وفي سنة (٣٠٠هـ/٩١٢م) أمر المقتدر برفع المطالبة بالمواريث، وأن يورث ذوو الأرحام ولا يعرض لأحد في ميراث إلا لمن ليس له قريب[٢]. وتم تجاوز هذا القرار بعد سنة من صدوره بالإستحواذ على أموال علي بن أحمد الراسبي العامل على الأهواز بعد وفاته[٣]، وهذا التجاوز كان يحصل أحياناً بأمر من المقتدر[٤]، وأحياناً بأمر من والدته[٥]. ومما يدل على تجاوز هذا القرار صدوره مرة أخرى سنة (٣١١هـ/٩٢٣م)، وتم تجاوزه من أعلى السلطات من قبل المحسن بن علي بن الفرات[٦].

وعندما رفع علي بن عيسى إلى المقتدر سنة (٣٠٣هـ/٩١٥م) تظلم أهل فارس من ضريبة التكملة، التي ظهرت على يد الصفاريين عندما استولوا على فارس، وجلا قوم عنها لسوء المعاملة فأضيف خراج الذين جلوا إلى خراج الباقين[٧]. وكانت الضريبة تؤخذ بناء على السنة الأكثر ريعاً حتى أنهم فرضوا الخراج على ما خرب من الضياع[١]. كما كان العمال يستضعفون قوماً فيلزمونهم أكثر مما يجب ، ويخففون عمن يرهبون فأرسل علي بن عيسى أبا المنذر بن النعمان بن عبد الله للتحقيق في الموضوع فرفع لعلي بن عيسى تقريراً بين فيه معاناة

---

(1) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٦٤.

(2) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٥٤. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٣٨. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٨٢.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٣٢. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣، ١٤٧-١٤٨. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٧٤-١٧٥.

(4) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٨٠-١٨١ و١٨٦. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٦٩.

(5) الصولي، أخبار المقتدر، ص٢٢٢.

(6) ن.م.، ص٢٤٦. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١١٦. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٢٩. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٢٢٠.

(7) التنوخي، النشوار، ج٨ص١٢١. الصابي، الوزراء، ص٣٦٦.

الناس من الضريبة، وسوء الجباية، وأن الأصل أخذ الخراج عن الشجر كون فارس افتتحت عنوة، فرفع علي بن عيسى بدوره التقرير إلى المقتدر فأمر بجمع الفقهاء والقضاة وكبار الكتاب والقادة وأرباب الشجر وأرباب التكملة للنظر في الأمر، وتقرر إسقاط التكملة وأخذ الخراج على الشجر [٢].

ولما استشعر المقتدر الفساد الناجم عن سوء تدبير الوزير أبي علي الخاقاني (٢٩٩-٣٠١هـ/٩١١-٩١٤م) [٣] أخذ باستشارة ابن الفرات في شؤون الدولة وهو في حبسه[٤]. ثم رأى أن عزل الوزير خير من بقائه في الوزارة . وأن الوضع يحتم إرجاع ابن الفرات للوزارة لعلمه بقدراته وكفاءته. إلا أن مؤنساً الخادم –الذي لم يكن على وفاق مع ابن الفرات– أشار بعلي ابن عيسى مبرراً ذلك بقوله "إنه يقبح أن يعلم أصحاب الأطراف، أن السلطان صرف وزيراً ثم اضطر إليه ورده بعد شهور من صرفه، ثم لا ينسبون ذلك إلا إلى مطمع في ماله"[٥]. فاستوزر علي بن عيسى سنة (٣٠١هـ/٩١٣م) الذي سار على ضرورة مشاورة الخليفة بكل أمور الدولة، وأن لا يتفرد دونه برأي[٦].

---

(1) ن.م.، ج٨ص١٢٧-١٢٨. ن.م.، ص٣٧٠.

(2) التنوخي، النشوار، ج٨ص١٢٣-١٢٥. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٨. الصابي، الوزراء، ص٣٦٧-٣٧١.

(3) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٥٦ و١٦٢. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٢٩. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٤-٢٥. الصابي، الوزراء، ص٢٨٥-٢٨٦ و٣٠٠.

(4) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٣. الهمذاني، التكملة، ج١ص٣٢. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤٧١ و٤٩١.

(5) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٥-٢٦. أنظر الصولي، اخبار المقتدر، ص١٥٩، الصابي، الوزراء، ص٢٨٦. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤٧٣.

(6) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٤٢.

وكثيراً ما يظهر فساد رأي الحاشية التي كانت تدفع المقتدر للأخذ برأيها، فقد أشاروا باستيزار حامد بن العباس ليساره وهيبته ونبل نفسه، فلما ظهرت قلة خبرته، وجهله بأمور

الوزارة عاتب المقتدر من أشار عليه به، وتقرر تقليد علي بن عيسى الدواوين لمساعدته في تسير شؤون الدولة[١]. وتسبب حامد بن العباس بأزمة غلاء أدت إلى أعمال شغب سنة (٣٠٨هـ/٩٢٠م) لاحتكاره الحبوب بسبب ضمانه أعمال الخراج والضياع الخاصة والعامة والمستحدثة والعباسية والفراتية بالسواد والأهواز وأصبهان. وكحل مؤقت أمر المقتدر بفتح المخازن التابعة لحامد والسيدة والأمراء ووجوه الدولة، ثم فسخ الضمان، وأمر علي بن عيسى بأن يدبر الأعمال بالسواد والأهواز، وأصبهان[٢]، كما أمره بكتابة منشور يقرأ على العامة يحظر فيه على جميع الوجوه والقواد والغلمان أن يتضمنوا شيئاً[٣]. وكان المقتدر عزم بعد أحداث سنة (٣٠٨هـ/٩٢٠م) على استيزار علي بن عيسى وأرسل إليه السواد لكنه رفض فرأى أن يجبره[٤]، علماً أن اختيار حامد بن العباس تم من بين عدد من المرشحين استشار الخليفة علي بن عيسى بشأنهم[٥].

وكان المقتدر على معرفة بوزرائه وقدراتهم فكثيراً ما كان يستوزر ابن الفرات أو علي ابن عيسى في محاولة لإصلاح الخلل الناجم عن الوزارات السابقة. وكان يثق بعلي بن عيسى ويعامله معاملة قائمة على الاحترام والتقدير[٦]، ويخجل من مصادرته ويقول: "لقد استحييت من

---

(1) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٧٣. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٥٨-٦١. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص١٨٠. ابن الأبار، إعتاب الكتاب، ص١٨٨.

(2) عريب بن سعيد، ص٨٤-٨٥. مسكويه، تجارب الأمم ، ج١ص٥٨. مجهول، العيون، ج٤ق١ص ٢٠٩.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٧٥.

(4) الصولي، أخبار المقتدر، ص٢٢٤ و٢٢٩.

(5) ن.م.، ص٢١٣-٢١٤. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٧٢-٧٣. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٩٣-١٩٤.

(6) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٨٤.

ظلمي قبل هذا له، وأخذ المال منه"[١]، وكثيراً ما كان المقتدر يأمر بعدم التعرض لشيء من

أملاكه وضياعه، وضياع أسبابه أو أحد من أولاده[٢].

وأظهر المقتدر الكره لترشيح ابي القاسم الخاقاني للوزارة سنة (٣١١هـ/٩٢٣م) وعنه يقول: " أبوه خرب الدنيا، وهو شر من أبيه"[٣]. ورغب باستيزار الحسين بن أحمد الماذرائي لولا تدخل نصر الحاجب وثمل ومؤنس الخادم وهارون بن غريب[٤].

تأثر المقتدر في كثير من قراراته برغبات الحاشية والخدم، وضغط الجيش. وقد جلب ابن الفرات كره هذه الفئات بسياسته القوية، وبقيت تسعى للتخلص منه[٥]، لولا موقف المقتدر المتأني تجاهه. فقد كان يروّي في أمر ابن الفرات[٦] حتى اجتمع عليه كبار القادة والحاشية والغلمان على ضرورة التخلص منه سنة (٣١٢هـ/٩٢٤م)، مستغلين الظروف السيئة التي كانت تمر بها وزارته[٧]، ومع ذلك كان المقتدر يتأنى ويقول: "إن صرف الوزير بكلام الأعداء خطر، وخطأ في التدبير وإطماع للغلمان"[٨]. وحاول ضمان حياته بنقله إلى دار الخلافة وعندئذ ثار

---

(1) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٣٠-١٣١.
(2) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٤٠-٤١.
(3) ن.م.، ج١ص١٢٧.
(4) ن.م.، ج١ص١٢٧. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص٢٠. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣٧٤.
(5) الصولي، اخبار المقتدر، ص٢٠٧. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٦٩. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٣٧-١٣٨. الهمذاني، التكملة، ج١ص٤٤.
(6) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٦٦.
(7) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٢٠-١٢١. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٢٤-١٢٦. الصابي، الوزراء، ص٦٠-٦١ و١٣٩. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٢٣٩.
(8) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٢٥.

الجند، وهددوا بخلع الطاعة وراسلوا المقتدر بذلك والخليفة يقول: "دعوني أنظر"، لكن تحت

الضغط الشديد سلّم مكرهاً بقتله[(١)].

وتسبب ضغط الحرم والحاشية والجيش، ومطالبتهم بأرزاقهم وزياداتهم، بإقالة عدد كبير من الوزارات مثل وزارة ابن الفرات الأولى (٢٩٦-٢٩٩هـ/٩٠٨-٩١١م)[(٢)] والثانية (٣٠٤-٣٠٦هـ/٩١٦-٩١٨م)[(٣)]، ووزارة حامد بن العباس (٣٠٨-٣١١هـ/٩٢٠-٩٢٤م)[(٤)] والخصيبي (٣١٣-٣١٤هـ/٩٢٤-٩٢٥م)[(٥)] والكلوذاني (٣١٩هـ/٩٢٩م)[(٦)].

ولعب المال دوراً كبيرا في توجيه سياسة المقتدر. فقد اختير حامد بن العباس للوزارة سنة (٣٠٨هـ/٩٢٠م) لغناه ويساره[(٧)]. ورُشح الخصيبي للوزارة لأنه استخرج من زوجة المحسن بن علي بن الفرات سبعمائة ألف دينار صححها في بيت مال الخاصة[(٨)]. ووصل ابن الفرات إلى الوزارة للمرة الثالثة سنة (٣١١هـ/٩٢٤م) عندما ضمن أن يستخرج من عددٍ من كبار رجال الدولة سبعة ملايين دينار[(٩)]. ووصل خلفه للوزارة أبو القاسم الخاقاني سنة

---

(1) الصولي، أخبار المقتدر، ص٢٠٠. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٢١. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٣٦-١٣٨. الصابي، الوزراء، ص٦٨-٦٩. الهمذاني، التكملة، ج١ص٤٤-٤٦.

(2) الصابي، الوزراء، ص٣٤.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٥٦. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٩٤. النويري، نهاية الأرب، ج٢٣ص٥١.

(4) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٥٨. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٢١٩. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص١٢. النويري، نهاية الأرب، ج٢٣ص٦٢.

(5) مجهول، العيون، ج٤ق١ص٢٣١. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص٢٨. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣٧٤.

(6) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٦٤. ابن الطقطقي، الفخري، ٢٦٧.

(7) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٢٧. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٥٧. الصابي، الوزراء، ص٣٨-٣٩. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤٩٩.

(8) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٤١. الهمذاني، التكملة، ج١ص٤٧. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٢٤٩.

(9) ابن الأثير، الكامل، ج٧ص١٢. النويري، نهاية الأرب، ج٢٣ص٦٢.

(٣١٢هـ/ ٩٢٤م)؛ لأنه ضمن أن يستخرج من ابن الفرات وأسبابه مليوني دينار[١]. ووصل الحسين ابن القاسم للوزارة سنة (٣١٩هـ/٩٣١م)؛ لضمانه القيام بكافة النفقات وزيادة مليون دينار

سنوياً[٢].

ومن هنا اتهم المقتدر بكثرة التولية والعزل، وبالتالي كثرة الوزراء في عهده[٣]. وربما يعود ذلك لأسباب منها، محاولة إصلاح الوضع المالي المختل للدولة، فعندما يرى سوء سياسة وزير يرى الحل باستبداله. كما أن تغيير الوزراء تأثر بتوجيهات الحرم والحاشية.

بدأ المقتدر بمحاولة إظهار الإستقلال بقراراته منذ إبدائه الرضى والتأييد لتوجهات ابن الفرات بالتخلص من مؤنس الخادم سنة (٣١١هـ/٩٢٣م)[٤]، الذي حصل على صلاحياته بتفويض من المقتدر إذ لم يكن يستغني عن رأيه، بل يستدعيه من أي مكان كان لاستشارته[٥]. وبمرور الزمن كان مركز مؤنس الخادم قد تدعم وازداد قوة ونفوذاً خاصة من الجند الذين خذلوا الخليفة في موقفين حاسمين، وفضلوا مؤنساً الخادم. الموقف الأول عندما خلع المقتدر سنة

---

(1) ن.م.، ج٧ص١٩-٢٠. ن.م.، ج٢٣ص٧٠.

(2) النويري، نهاية الأرب، ج٢٣ص٩٥. الذهبي، تاريخ الإسلام (٣١١-٣٢٠هـ)، ص٣٩٠. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣ص٢٥٩-٢٦٠.

(3) المسعودي، التنبيه، ص٣٢٨. ابن كثير، البداية، ج١١ص١٨١. محمد بن إبراهيم، الاكتفاء، ورقة ٣١٩-ب.

(4) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٣٤-١٣٥. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٢٣٩.

(5) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٤٢. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٣ص٣٧٤. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٢٢٦.

(٣١٧هـ/٩٢٩م) بأخيه محمد القاهر[١]. والموقف الثاني عندما خرج مؤنس الخادم إلى الموصل مغاضباً، وانتهى الأمر بمقتل الخليفة سنة (٣٢٠هـ/٩٣٢م)[٢].

ولما عاد المقتدر للخلافة (٣١٧هـ/٩٢٩م) أجرى مجموعة تعيينات بناء على رغبة مؤنس[٣] –لكن مؤقتاً– إذ حاول المقتدر تدعيم موقفه ضد مؤنس الخادم بإيجاد حليف جديد له تمثل بشخص ياقوت[٤]، ثم أجرى مجموعة تغييرات أدارية لصالحه، كالقبض على الوزير ابن مقلة الممالىء لمؤنس الخادم بل همّ بقتله[٥].

لم يستطع المقتدر المضي بسياسته الإستقلالية بسبب الظروف السياسية المضطربة[٦] والأزمة المالية، والشغب المتصل للجند[٧]، مما أدى إلى إرباك وفوضى عظيمين في العاصمة تحديداً فأدت إلى تطورات أودت بحياة المقتدر.

كما ظهرت شخصيات ثرية ذات تأثير على المقتدر كأبي بكر بن قرابة الذي كان على علاقة متينة بابن الفرات[٨]، وظهر تأثيره في وزارة الكلوذاني (٣١٩هـ/٩٣١م) إذ كان يلزم

---

(1) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٦٠. الهمذاني، التكملة، ج١ص٥١. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٢٦١-٢٦٢. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٢٣٢.

(2) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٤٠. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٨٨. الهمذاني، التكملة، ج١ص٥٧. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٢٤١.

(3) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٤٥. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٠٢. الهمذاني، التكملة، ج١ص٦٥.

(4) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٣٣. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٥٧. الهمذاني، التكملة، ج١ص٦٣.

(5) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٠٤. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٢٥١. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص٦٠. النويري، نهاية الأرب، ج٢٣ص٩٠.

(6) انظر مثلاً، الأصفهاني، تاريخ سني، ص١٥٧-١٥٨. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٥٧. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٠٩-٢٢٣. الهمذاني، التكملة، ج١ص٦٣-٦٩.

(7) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٦٤. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢١٩. الهمذاني، التكملة، ج١ص٦٤. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص٦١-٦٢.

(8) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٦٧.

داره ويقرضه المال بربح درهم في كل دينار لتمشية أموره[١]. وتقرب للوزير الحسين ابن القاسم، وقدم له جملة من المال بربح درهم في كل دينار كذلك[٢]. وفي سنة (٣١٩هـ/٩٣١م) سعى لأبي الحسين بن محمد بن يوسف بمنصب قاضي القضاة[٣]. وكثيراً ما كان المقتدر يصف له سوء الأوضاع المالية[٤].

وظهر تأثير أبي القاسم بن الحواري بدعمه تقليد حامد بن العباس الوزارة، ثم إشارتـــه بتقليد علي بن عيسى الدواوين لمساندة حامد بن العباس[٥]. ولما ظهر لحامد تمكنه من الخليفة، قلده جميع أعمال العطاء للعساكر في سائر نواحي المغرب من هيت إلى آخر حدود مصر، وقلد ابنه البالغ من العمر عشر سنوات بيت مال العطاء براتب شهري قدره مائة وخمسين ديناراً. وزاد بعد ذلك اختصاص ابن الحواري وخدمته للوزير فقلده أعمالاً أخرى وأجرى عليه، واستخلف له عليها فكان يصل إليه مال عظيم، ولا يباشر شيئاً من الأعمال، ولا يدري ما يجري فيها[٦]. والظاهر أن المقتدر كان يعتمد على هذه الفئة في تأمين جزء من النفقات.

لم تخل بعض قرارات المقتدر من الحزم ففي سنة (٣٠٤هـ/٩١٦م) ادّعى يوسف ابن أبي الساج والي أرمينيا وأذربيحان أن الوزير علي بن عيسى أرسل إليه اللواء والعهد، وقلده الحرب بالري وقزوين وزنجان وأبهر، ولما حقق المقتدر في الأمر، وظهر تلاعب ابن أبي

---

(1) ن.م.، ج١ص٢١٣.
(2) ن.م.، ج١ص٢٢٠.
(3) ن.م.، ج١ص٢٢٩.
(4) ن.م.، ج١ص٢٣٠.
(5) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٥٨.
(6) ن.م.، ج١ص٦٧-٦٨.

الساج أرسل لمحاربته مؤنساً الخادم، ورفض الخليفة جميع الحلول التي اقترحت، وأصر على ضرورة وروده الحضرة أسيراً، وهو ما حصل سنة (٣٠٧هـ/٩١٩م)[١].

وعندما تمكن أبو علي الخاقاني من إفشال مساعي ابن أبي البغل في الوزارة، وأخذ الوعد من المقتدر بعدم استيزاره، لم تستطع أم المقتدر ولا أم موسى القهرمانة تغيير موقف الخليفة، وأكثر ما حصلتا عليه أن استعمله وأخاه على بعض الأعمال[٢].

وفي سنة (٣٠٥هـ/٩١٧م) أساء والي البصرة، مما أدى إلى وقوع أعمال شغب ونهب.

فأمر المقتدر بعزله[٣]. ووصل إلى المقتدر سنة (٣٠٥هـ/٩١٧م) محاولة ابن الفرات التخلص من المادرائيين عندما طلبوا للمناظرة. فأمر المقتدر خادماً من ثقاته ليناظروا بحضرته[٤].

ورفض المقتدر تسليم ابن الفرات للوزير الجديد حامد بن العباس خوفاً على حياته[٥]. مما يدل على وجود تجاوزات لم يكن المقتدر يرضى عنها.

وتبقى المشكلة في مدى جدية تنفيذ قرارات وأوامر المقتدر. ففي بداية حكمه كان المقتدر يفتقر للفاعلية لقراراته رغم أنه رأس السلطة؛ وذلك لصغر سنه فكان لا بد من ظهور جماعة يسيرون الأمور، وينوبون عنه[٦]. فقد اعترف المقتدر صراحة أنه لم يكن يرغب بقتل أحد في

(1) الصولي، أخبار المقتدر، ص٢٠٠-٢٠١. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٦٨. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٥٤-٥٥. الهمذاني، التكملة، ج١ص١٨.

(2) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢١. الصابي، الوزراء، ص٢٩٤.

(3) الصولي، أخبار المقتدر، ص٢٠٠. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٦٦-٦٧.

(4) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٩٧-١٩٨. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٦٥.

(5) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٦٦.

(6) انظر، العش، تاريخ الخلافة العباسية، ص١٧٢. عمر، الخلافة العباسية، ص٥٧.

فتنة ابن المعتز (٢٩٦هـ/٩٠٨م) إلا أنه غلب على الرأي فيهم[1]. وعندما طلب من ابن الفرات حفظ حياة حامد بن العباس، ومصادرته على الفضل من ضمانه، التزم بذلك إلى أن احتال على الأمر، وقام بتعذيب حامد وإهانته، ومصادرته على مبالغ ضخمة، ثم قتله سنة (٣١١هـ/ ٩٢٣م)[2].

يبدو أن المقتدر كان يفتقد الرقابة على كثير مما يحدث في دولته[3]، مما فتح الباب واسعاً لتدخلات متعددة من أطراف عدة، بناءً على مصالحها ونظرتها الخاصة للأمور.

تأثرت سياسة المقتدر بظروف وعناصر مختلفة؛ فقد وصل إلى الحكم في جو مليء بالمؤامرات والنزاعات، وغدا بقاؤه أو خلعه رهن ذلك[4]. وبدأت المصالح الخاصة بالبروز والتضارب، والتداخل أحياناً منذ أن تم اختياره لتولي الخلافة في سن صغيرة.

وقد أيقظت هذه المصالح التيارات المختلفة التي تم إلزامها حدودها، أو تحييدها في الفترة السابقة، فبدأ الجيش بالظهور متخذاً من الشغب وسيلة لتحقيق مآربه، وكثيراً ما كان الخليفة يضطر للخضوع لمطالبه[1]. وعلى رأسه مؤنس الخادم بشخصيته القوية. ثم برزت المؤسسة الإدارية التي ظهر على رأسها وزراء وكتاب كبار ولم تكن العلاقة بين هاتين المؤسستين في جوهرها قائمة على الوفاق والوئام، والخليفة يفتقر للحزم أو المقدرة ليلزم كل جانب حدود عمله، ويحقق الانسجام بينهما. فكان منتظراً تضاربهما، خاصة وأن الخليفة نظر

---

(1) الصولي، أخبار المقتدر، ص٧٤.

(2) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١١٢-١١٣. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٩٤. الصابي، الوزراء، ص٤٠.

(3) ابن ظافر الأزدي، أخبار الدول المنقطعة، ج٢ص٣٨٧. النويري، نهاية الأرب، ج٢٣ص١٠٢.

(4) التنوخي، النشوار، ج١ص٢٢٨. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٨٩-١٩٢. الصابي، الوزراء، ص١٣٠-١٣٢. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٢٧٩-٢٨١.

لحاشيته وكبار رجال دولته كشركاء معه في إدارة الدولة، فاعتمد عليهم، وفوض الأمور إليهم ثقة بهم[٢].

وخارج هاتين المؤسستين ظهرت قوة الخدم والحاشية حتى أن المرء ليرى أنهم في بعض الأحيان أشد تأثيراً من الإدارة والجيش. وبينهما كان الخدم يتوزعون كحلفاء وعيون[٣]. وقد كانت دار الخلافة تضم الآلاف من الخدم والغلمان والجواري من مختلف الأصول، وبلغ عددهم زمن المقتدر أحد عشر ألف خادم غير الصقالبة، وأبناء فارس والروم والسودان[٤]، بالإضافة إلى سبعمائة حاجب[٥]، مقابل عشرة آلاف خادم من السود والصقالبة زمن المكتفي[٦].

هذه العناصر لم يكن يربطها رابط، والتقت على مصالح مشتركة، شدت بعضهم ببعض خاصة وأنهم ألزم بدار الخلافة، ولا يتبدلون بتبدل الخلفاء وبهذا يعاصرون عدداً منهم[٧]. كما أن المدة الطويلة أكسبت بعضهم وضعية خاصة في دار الخلافة، لكنها تحتلف حسب شخصية الخليفة، فمؤنس الخادم نفاه المعتضد إلى مكة لسوء استغلاله لمنصبه[٨]، وبقي منفياً منسياً طيلة خلافة المكتفي[٩]، وصافي الحرمي كان ملازماً للمعتضد لكنه لم يكن يتعدى أوامره[١].

---

(1) أنظر مثلاً، الصولي، أخبار المقتدر، ص١٨٥. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٥٦-١٥٧ و١٦٣-١٦٤. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٣٨ و١٥٩.

(2) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٩٠.

(3) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٤٠. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٦٨ و١٢٣ و١٢٥. الصابي، الوزراء، ص٢٩٠.

(4) ابن الطقطقي، الفخري، ص٢٥٣. الذهبي، سير أعلام، ج١١ص٥٢٢. ابن كثير، البداية، ج١١ص١٢٧ و١٦٩.

(5) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١ص١١٧. ابن كثير، البداية، ج١١ص١٢٧.

(6) الصابي، رسوم دار الخلافة، ص٨. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص١٧٤.

(7) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣ص٢٧٢.

(8) الذهبي، تاريخ الإسلام (٢٩١-٣٠٠هـ)، ص٢١.

(9) الصولي، أخبار المقتدر، ص٥١.

وبرز العديد من الأسماء كبطانة للمقتدر على رأسهم صافي الحرمي، ومؤنس الخادم وغريب الخال وابنه هارون وشفيع المقتدري وشفيع اللؤلؤي، وكأصحاب قرار لا يريد الخليفة نفسه تجاوزهم، كما يظهرون قادة عسكريين بارعين.

ومما يجدر ذكره أن هذه الفئة في معظمها تتصف بضعف المستوى الثقافي وضحالته فلا تتعدى اهتماماتهم قصص الطرائف والشعوذة والسحر[٢]، غير عابئة بالعلم وطلبه[٣]، وبمستوى ديني ساذج لا يتعدى المظاهر الدينية فأبو علي الخاقاني استطاع كسب الخدم والحاشية إلى صفه بإظهاره العبادة والنسك أمامهم[٤]. كما أن بعضهم لا يجيد العربية[٥]. يضاف إلى هذا الجهل بأمور السياسة، إذ تقدمت أم موسى القهرمانة بالمطالبة بزيادة أرزاق ورواتب الخدم والحشم أثناء اجتماع للقادة ورجال الدولة يتباحثون فيه وضع مصر أمام هجمات الفاطميين، ولما علمت بسبب اجتماعهم قالت: "ومتى كانت مصر بيد السلطان"[٦].

امتاز البعض منهم بالثراء الفاحش الذي كان يفوق أحياناً ثراء الوزراء ففي سنة (٢٩٨هـ/٩١٠م) توفي صافي الحرمي فسلم غلامه للوزير ابن الفرات مائة وعشرين ألف دينار وسبعمائة منطقة غير الفرش والآنية[٧]. وأُقطع مفلح الأسود الإقطاعات والضياع الواسعة[٨] وعندما تمت مصادرة مؤنس الخادم سنة (٣١٩هـ/٩٣١م) أنشيء ديوان خاص لإدارة أمواله

---

(1) التنوخي، النشوار، ج١ص٢٨٧. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٣٠. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٦٥-٦٦.

(2) الصولي، أخبار الراضي، ص٥-٦.

(3) ن.م.، ص٢٤-٢٥. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢١٥-٢١٨. الهمذاني، التكملة، ج١ص٦٤.

(4) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٥١. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٣٧. الصابي، الوزراء، ص٢٨٨.

(5) الصولي، أخبار المقتدر، ص٥٣. الصابي، الوزراء، ص١٠٦.

(6) الصابي، الوزراء، ص٣٨٠-٣٨١.

(7) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٣٠. الهمذاني، التكملة، ج١ص٩. ابن كثير، البداية، ج١١ص١١٥.

(8) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٨٧.

وأملاكه[١]، ووجد ليانس الموفقي عند وفاته (٣١١هـ/٩٢٣م) ضياع وأمتعة وفرش لا يعرف لها قدر، وبلغت غلة ضياعه ثلاثون ألف دينار[٢]. وقال أحدهم للمقتدر: أن ابن الخال عنده آزاج مملوءة مالاً[٣]. وفي سنة (٣٠٥هـ/٩١٧م) عندما مر رسولا ملك الروم بدار نصر الحاجب فظناه الخليفة لمظاهر الأبهة والفخامة التي رأياها[٤].

وكان تعاملهم لا يخلو من السرقة والرشاوى والتزوير، فقد نهبت تركة صافي الحرمي ولم يصل منها لبيت المال إلا النزر اليسير[٥]. كما نهبت تركة يانس الموفقي وكثيراً ما كان صافي يحوز صلات وعطايا الخليفة لنفسه[٦]. وقد وجد علي بن عيسى في وزارته الأولى سنة (٣٠١هـ/٩١٣م) توقيعات مزورة على سلفه وهي في معظمها للخدم والحرم والحاشية ومن التجأ إليهم[٧]. ووجد ابن الفرات مثل هذه التزويرات على علي بن عيسى أثناء عمله في وزارة حامد بن العباس، كما كان الكثير منهم لا يدفعون استحقاقات بيت المال[٨].

وحصلت هذه الفئة على امتيازات خاصة فقد كانت توزع عليهم الأضاحي والهبات والأرزاق في المناسبات والأعياد[٩]، حتى غدا تأمين أرزاقهم ونفقاتهم يرهق خزينة الدولة، ويعرقل أية بادرة إصلاح مالية. فهم يتضايقون من وزارة علي بن عيسى القائمة على التقليل

---

(1) ن.م.، ج١ص٢٢٣. الهمذاني، التكملة، ج١ص٦٥.

(2) الصولي، أخبار المقتدر، ص٢٤٤-٢٤٥. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١١٥-١١٦.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٣٠.

(4) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١ص١١٦.

(5) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٣٠.

(6) ن.م.، ص٢٤٦. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١١٦.

(7) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٦٢-١٦٣. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٣١-٣٢. الصابي، الوزراء، ص٣٠٣-٣٠٤. الهمذاني، التكملة، ج١ص١٣٠.

(8) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٥٤. النويري، نهاية الأرب، ج٢٣ص١٠٨.

(9) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٤٠. الصابي، الوزراء، ص٢٨٩. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤٩١.

من النفقات وتأخيرها[١]، ويفضلون وزارة ابن الفرات لإطلاقه لنفقاتهم كاملةً مستوفاة[٢]. وكان على العمال مهاداة كبارهم وعلى رأسهم والدة المقتدر والقهرمانة، ومؤنس الخادم ونصر الحاجب وأسبابهم وكتابهم، وهو رسم لا يمكن الإخلال به[٣]. ولكبارهم رسم خاص في مخاطبتهم في المكاتبات والمراسلات[٤].

لاذت هذه الفئة بحماية ودعم والدة المقتدر[٥]. وبعضهم حاز على ثقة المقتدر[٦]. فأصبحـــوا مرهوبي الجانب، وامتدت أيديهم إلى مختلف مؤسسات الدولة. وأصبحوا أداةً لضمان استمرار الوزير في وزارته بناءً على مدى تحقق مصالحهم، فقد صرف ابن الفرات عن وزارته الثانية (٣٠٨هـ/٩٢٠م) لانتزاعه الكثير من الأملاك والضياع العائدة لمن في دار الخلافة من الخواص والقادة دون عوض[٧]، وعاد للوزارة للمرة الثالثة (٣١١هـ/٩٢٣م) لتعهده بأن يطلق للولد والحرم والخدم والفرسان مثل ما كان يطلقه في وزارته الأولى[٨].

وسعى مفلح الأسود لابن الفرات بالوزارة لجفوةٍ وقعت بينه وبين حامد بن العباس[٩] وقتل ابن الفرات بإجماع وضغط من مؤنس الخادم ونصر الحاجب وشفيع اللؤلؤي وهارون ابن الخال[١].

---

(1) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٣٠-١٣٢. مكسويه، تجارب الأمم، ج١ص٤٠-٤١ و١٠٨-١٨٤. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص١٢ و٣٩.

(2) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٤٤ و١٠٨. الصابي، الوزراء، ص٣٦.

(3) الصابي، الوزراء، ص٣٤٧.

(4) ن.م.، ١٧٢-١٧٣.

(5) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١١٣. الصابي، الوزراء، ص٥٤. ابن الزبير، الذخائر، ص٢٣٩.

(6) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٩٧. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٦٥. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٨٧. الصابي، الوزراء، ص٦٦ و١٠٧.

(7) الصابي، الوزراء، ص١١٢.

(8) ن.م.، ص٣٦.

(9) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١١١-١١٢. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٨٧-٨٨. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص١٢. النويري، نهاية الأرب، ج٢٣ص٦٣-٦٤.

وكان من أهم أسباب عزل علي بن عيسى في مختلف وزاراته تعارض سياسته المالية مع مصالحهم[٢]. ويبدو أن الخليفة نفسه يتضايق أحياناً من سياسته فيرفض فكرة ترشيحه للوزارة[٣].

وقد لا يصل الوزير إلى الوزارة إلا بعد أن يتقرب إليهم، ويضمن مساندتهم مثل أبي علي الخاقاني سنة (٢٩٩هـ/٩١١م)[٤]، وابن مقلة سنة (٣١٦هـ/٩٢٨م)[٥]، والحسين بن القاسم سنة (٣١٩هـ/٩٣١م)[٦].

وحتى عندما يحبس الوزير ويصادر يبقى على اتصال مع خاصته منهم فيؤدون دوراً في التخفيف من أعباء الوزير المادية والنفسية. فعندما صودر علي بن عيسى سنة (٣١٥هـ/ ٩٢٧م) قرر مساعدته على ما أُلزم به شفيع اللؤلؤي ونصر الحاجب[٧]. وعندما يُحبس ابن الفرات كان يوسط خاصته منهم إلى الخليفة فتتحسن حاله في السجن، ويرفه عنه[٨].

والظاهر أن العلاقة بين هذه الفئات والمؤسسة الإدارية متقلبة محكومة بالمصالح ففي الوقت الذي سعي فيه غريب الخال مع مؤنس الخادم وأبو علي الخاقاني لإسقاط وزارة ابن الفرات سنة (٢٩٩هـ/٩١١م)[٩]. أقر غريب الخال في نفس المقتدر ضرورة الإحسان إلى ابن

---

(1) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٢١. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٣٧. الصابي، الوزراء، ٦٥-٦٦ و٨٠.

(2) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٤٠-٤١ و١٨٤. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٨٢.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٤٢.

(4) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٥١. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٣٧.

(5) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٨٤-١٨٥ و٥٢-٥٣. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٨٤-١٨٥ و١٩٢-١٩٤. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص٣٩-٤٠.

(6) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢١٧-٢١٨.

(7) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١١٢-١١٣. الصابي، الوزراء، ص٣١٩-٣٢٠. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٢٢٢.

(8) التنوخي، النشوار، ج٢ص٣٢-٣٣. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٩١. الصابي، الوزراء، ص١٢٠ و١٤٠-١٤١.

(9) الصابي، الوزراء، ص٢٨٩-٢٩١.

الفرات، مما جعل مؤنساً الخادم يخشى استيزاره مرة أخرى، فالتقى بالخليفة وبيّن له أن ضرب عنقه أهون عليه من إخراج ابن الفرات[١].

وغريب هذا هو خال المقتدر، وحاز على مكانة عظيمة في الدولة[٢]. إلا أنه كان على خلاف مع مؤنس الخادم[٣]، وإن لم يقع صدام مباشر بينهما. تولى بعد وفاة صافي الحرمي سنة (٢٩٦هـ/٩٠٨م) ما كان يتولاه من الثغور الشامية[٤]، وفي سنة (٣٠٠هـ/٩١٢م) ولي حلوان ونواحيها، ثم عمان والبحرين[٥]. وتوفي سنة (٣٠٥هـ/٩١٧م)، وحضر جنازته الوزير والقواد والقضاة[٦]. وورث ابنه هارون مكانته، وخلافه مع مؤنس الخادم[٧]، وقتل هارون سنة (٣٢٢هـ/ ٩٣٤م)[٨].

وتبدلت علاقة الود بين نصر الحاجب، وابن الفرات إلى عداوة[٩]، وبدأت علاقتهما تسوء منذ أن بدأ ابن الفرات بصرفه عن كثير من مهامه وأعماله مع عدد من الحاشية[١]، ثم سعى لقتله، وإطماع المقتدر بماله سنة (٣١١هـ/٩٢٣م)[٢].

---

(1) مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٦٨-١٦٩. وأنظر، مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٥-٢٦. الصابي، الوزراء، ص٣٦.

(2) الصولي، أخبار المقتدر، ص٧٠. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٤٢. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣ص٢١٥..

(3) مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٦٩.

(4) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٣٦.

(5) ن.م.، ص١٦٠.

(6) ن.م.، ص٢٠٧. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٦٩. الهمذاني، التكملة، ج١ص١٩. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٩١.

(7) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٢٩. الهمذاني، التكملة، ج١ص١٩. مجهول، العيون،ج٤ق١ص٢٤١.

(8) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٣٠٦-٣٠٧. الهمذاني، التكملة، ج١ص٨٤. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٢٨٠-٢٨١. الذهبي، تاريخ الإسلام (٣٢١-٣٣٠هـ)، ص٢٥-٢٦.

(9) الصولي، أخبار المقتدر، ص٢٠٧ و٢٤٣. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٥٢. الصابي، الوزراء، ص٣٦ و٣٨ و١١٦. الهمذاني، التكملة، ج١ص١٩.

تولى نصر القشوري الحجبة سنة (٢٩٦هـ/٩٠٨م)[٣]. وتقلد إلى جانبها سنة (٣٠١هـ/٩١٣م) ولاية السوس وجند يسابور ومناذر الكبرى ومناذر الصغرى[٤] وهما بلدتان من نواحي خوزستان[٥]. وفي سنة (٣٠٤هـ-٩١٦م) تمكن من إلقاء القبض على علوي كان يقطع الطريق على الحجاج منذ سنة (٣٠٢هـ/٩١٤م)[٦]، قاد الجيوش لحرب القرامطة سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م، وأنفق على ذلك من ماله الخاص مائة ألف دينار، وتوفي في الطريق[٧]. يوصف بالفهم الجيد، والعقل المتزن[٨]، وكان ممن يهتم بالعلم، وينفق عليه بسخاء[٩]، وظهر له ابن اتجـــه وجهـــة

علمية[١٠]. وكان يظهر العداء لعلي ابن عيسى[١١]، وإن أظهرت بعض الروايات عنايته به[١٢].

---

(1) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٧٢. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٥٢-٥٣. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٨٤-١٨٥.

(2) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١١٣. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١١٧. الصابي، الوزراء، ص٥٤-٥٦

(3) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٠٠. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٣٠. الدواداري، كنز الدرر، ج٥ص٣٦٣.

(4) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٤٢.

(5) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥ص١٩٩.

(6) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣ص٢١٢.

(7) الصولي، أخبار المقتدر، ص٢٧٨-٢٧٩. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٨٣. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٢٧٨.

(8) الصولي، أخبار المقتدر، ص٢٢٣و٢٦٣. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٣٠. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٢٧٨.

(9) الصولي، أخبار الراضي، ص٢٦. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٥٤.

(10) الصولي، أخبار المقتدر، ص٢٥١. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٥٤.

(11) الصابي، الوزراء، ص٣٤٠ و٣٤٣.

(12) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٤٤.

ويعد شفيع بن عبد الله المقتدري من أنصار ابن الفرات. فعندما قبض على ابن الفرات وصودر سنة (٣٠٨هـ/٩٢٠م) قال له شفيع: "إني معك، فقويت نفسه"[1]. ومع هذا حاول ابن الفرات التخلص منه سنة (٣١١هـ/٩٢٣م) فلم ينجح[2]. وهو من مماليك مؤنس الخادم[3].

أما شفيع اللؤلؤي المتوفى سنة (٣١٢هـ/٩٢٤م). فقد عمل في البريد، ولقب بالكبير. ولما توفي تولى شفيع المقتدري أعماله[4].

لقد حاول ابن الفرات تحطيم، أو الحد من أية قوى تقف أمامه، وكان العائق الأكبر أمامه مؤنس الخادم الذي ظهرت سطوته وسلطته بعد وفاة صافي الحرمي[5].

وكان صافي الحرمي صاحب الدولة زمن المقتدر[6]. ولقوة نفوذه حاول منع زيارة قبر الحسين بن علي، ولم يكتف بذلك بل أراد تقريظ معاوية على المنابر، وبيان فضائله وفضائل بني أمية[7]، ولا يخفى ما لهذا من مس بشرعية الحكم العباسي. ولا يتبين إن كان مسعاه عن علمٍ أم جهل منه، إلا أن المقتدر والوزير ابن الفرات لم يجيباه إلى ما أراد[8].

ولشدة نفوذ صافي ظهر نفوذ غلامه القاسم الذي كان متمكناً منه تمكن بدر من المعتضد فكان أصحاب الحوائج يتقربون لصافي عن طريقه، وفيه قال الصولي:"ما رأيت المال في مكان

---

(1) التنوخي، النشوار، ج٢ص٣٢-٣٣.
(2) الصولي، أخبار المقتدر، ص٢٣٥. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١١٣. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١١٧. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص١٥.
(3) الهمذاني، التكملة، ج١ص٧٢.
(4) ابن الأثير، الكامل، ج٧ص٢٣.
(5) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٢٩. الهمذاني، التكملة، ج١ص٤٢. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣ص١٩٤.
(6) الصولي، أخبار المقتدر، ص٥١-٥٢.
(7) ن.م.، ص١٢٩.
(8) ن.م.، ص١٢٩.

قط أكثر منه في دار قاسم غلام صافي، وكان أجلاء القواد يترجلون له ويمشون بين يديه"[١].

وامتد نفوذ القاسم إلى التولية والعزل[٢].

منح المقتدر مؤنساً الخادم صلاحيات مطلقة منذ أن استدعاه من مكة وتقوى به[٣] ثم أصبح لا يستغني عنه في أي أمر[٤]. ومؤنس من خدم الدار زمن المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ/٨٤٦-٨٦١م)، بدأ بالظهور في خلافة المعتضد (٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٨١-٩٠١م) إذ كان ويانس الموفقي وصافي الحرمي على رأس الغلمان الذين أخرجوه من سجن أبيه[٥]. وحاز هذا الثلاثي على مكانةٍ مرموقة في دولة المقتدر. قلد مؤنس الشرطة زمن المعتضد فاتهم باستغلال منصبه[٦] فنفاه إلى مكة[٧]. ويبدو أن المعتضد كان غير راغب به، وبقي مهملاً طيلة خلافة المكتفي (٢٨٩-٢٩٥هـ/ ٩٠١-٩٠٧م)[٨]. وكان وكيلاً لبيت مال الخاصة زمن المعتضد والمقتدر[٩]. وولاه المقتدر الشرطة[١٠]. وعظم أمره حتى أصبح يفعل كالخلفاء فيأمر بما يريد من المال والزيادات والإثبات والنقـل، وينفذ ذلـك إلى الدواوين فيمتثل أمره[١١]. ويذكر الذهبي أن مؤنساً الخادم

---

(1) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٢٩.
(2) ن.م.، ص١٢٩-١٣٠.
(3) ن.م.، ص٥١. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣ص٢٧٢.
(4) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٢٤. الدواداري، كنز الدرر، ج٥ص٣٤٤. الذهبي، سير أعلام، ج١١ص٥١٦.
(5) المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٢٤٣، .
(6) الذهبي، تاريخ الإسلام (٣٢١-٣٣٠هـ)، ص٢١، .
(7) ن.م. (٢٩١-٣٠٠هـ)، ص٢١ و(٣٢١-٣٣٠هـ)، ص١١.
(8) الصولي، أخبار المقتدر، ص٥١.
(9) التنوخي، النشوار، ج٨ص٣٨-٣٩. الصابي، الوزراء، ص٢٨ و٣٠٨.
(10) الصابي، الوزراء، ٢٨. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٥٧، .
(11) الصولي، أخبار المقتدر، ص٥٢.

بلغ درجة الملوك في القوة والنفوذ[١].

وظهرت براعته بمشاركته مشاركات عسكرية موفقة على مختلف الجبهات، في الأقاليم الشرقية للخلافة[٢]، وفي مصر لمحاربة الفاطميين[٣]، وفي حرب الروم[٤] والقرامطة[٥]، مما أكسبه خبرةً، وتقرباً إلى الجند الذين أصبحوا يفضلون الخدمة تحت إمرته لتروج أرزاقهم[٦]. وانقاد له الغلمان والقواد[٧]. وكان تحت يده من القواد مائة واثني عشر قائداً على أقل تقدير[٨]، وبهذا أصبح بمنزلة القائد الأعلى للجيش، كما كان يتمتع بالروح العسكرية من حيث الطاعة والانضباط[٩]، فمنحه المقتدر سنة (٣٠٩هـ/٩٢١م) لقب المظفر[١٠]، وعلق ابن تغري بردي على ذلك بقوله: "وهذا أول لقب سمعناه من ألقاب ملوك زماننا"[١١]. وقد عاش مؤنس تسعين سنة منها ستون سنة أميراً[١٢].

---

(1) الذهبي، العبر، ج٢ص١٢-١٣، .

(2) انظر مثلاً، الصولي، أخبار المقتدر، ص١٠٦-١٠٧ و٢٠٩ و٢١٩. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص ٧٠-٧١ و٧٧. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٧ و١٩.

(3) أنظر مثلاً، الصولي، أخبار المقتدر، ص١٧٦ و٢٢٢. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ٧٩-٨٠. الهمذاني، التكملة، ج١ص١٤ و٢١.

(4) أنظر مثلاً، الصولي، أخبار المقتدر، ص١٨٣ و٢٧٥. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٣١ و١٣١. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص١٦. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣ص٢١٣.

(5) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٨٣. الهمذاني، التكملة، ج١ص٥٤-٥٥. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص٣١-٣٣. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣٧٦، .

(6) الصابي، الوزراء، ص٥٣.

(7) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١١٥.

(8) الهمذاني، التكملة، ج١ص٢٢.

(9) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١١٥. الهمذاني، التكملة، ج١٢ص٤٢.

(10) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٢٥. الهمذاني، التكملة، ج١ص٢٢. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٢١٣.

(11) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣ص٢٢٨.

(12) الذهبي، تاريخ الإسلام (٣٢١-٣٣٠هـ)، ص١١. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣ص٢٧٢.

كما تقلد مؤنس الحرمين والثغور سنة (٣٠٠هـ/٩١١م)[1]، ومصر والمغرب سنة (٣٠١هـ/٩١٢م)[2]. وكان عندما يدخل مصر أثناء محاربته للفاطميين، يأمر وينهى ويعزل ويولي دون إذن الخليفة، ودون اعتراضه كذلك[3]. وفي سنة (٣٠٥هـ/٩١٦م) سيّره المقتدر للقيام بالفداء، وجعله أميراً على كل بلد يدخله يتصرف فيه كما يريد إلى أن يخرج عنه[4]. وقد وصفته والدة المقتدر لابنها بأنه "سيفك، وثقتك"[5]. قتل على يد القاهر سنة (٣٢١هـ/ ٩٣٣م)[6].

بهذا حصل مؤنس على مكانةٍ عظيمة في الدولة، جعلته –مع الزمن– يطغى أو يكاد على شخصية المقتدر الذي بدأ بمحاولة التخلص من سيطرته مما أدى إلى صدام مسلح بين الطرفين لم ينته لصالح الخليفة – كما سيأتي–.

كما كان تحكم مؤنس هو سبب الخلاف بينه وبين ابن الفرات الذي تمكن من إخراجه إلى الرقة سنة (٣١١هـ/٩٢٣م)[7]، كما فعل ذلك من قبل سنة (٢٩٧هـ/٩٠٩م)[8].

في المقابل كان مؤنس شديد العناية بعلي بن عيسى، كثير الحرص عليه[9]. ففي الوقت الذي كان فيه الجند والحرم والخدم يضيقون ذرعاً بسياسته المالية[1]، كان مؤنس يشد على يده،

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤٧٧.
(2) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٣٢.
(3) مجهول، العيون، ج٤ق١ص٢١٠-٢١١.
(4) ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤٩٧.
(5) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١١٧.
(6) الهمذاني، التكملة، ج١ص٧٨. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٢٦٩. ابن العبري، تاريخ الدول، ص١٦٠
(7) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١١١. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١١٥-١١٦. الصابي، الوزراء، ص٥٢-٥٣. الهمذاني، التكملة، ج١ص٤٢.
(8) الصولي، أخبار المقتدر، ١٠٢. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٣١.
(9) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٥٩. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٦ و١٤٩. الصابي، الوزراء، ص٣٠٦. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٢١٩.

ويرشحه بشكل متواصل للوزارة[٢]. بل أن علي ابن عيسى كان يرى أنه لا يستطيع المضي بسياسته بدون دعمه وتأييده[٣].

ومما زاد من نفوذ هذه الفئة أن وحدات من الجيش كانت، تتبع لهم مباشرة فنازوك بحكم عمله في الشرطة[٤]، كان تحت إمرته ما بين ٩,٠٠٠[٥]–١٤,٠٠٠[٦] فارس وراجل. وبمقدور يانس الموفقي أن يجيء بألف جندي بكامل عدتهم في الحالات الطارئة[٧]، ومثله هارون ابن غريب الخال[٨]. وكان تحت يد نصر الحاجب مجموعة قديرة من القواد[٩]. ويبدو أن الحجرية كانوا تحت إمرة شفيع المقتدري الذي كان فيما يبدو بمثابة قائد حرس الخليفة[١٠]. ناهيك عن العيون التي لهم، وتطلعهم على كل ما يدور في دار الخلافة[١١]، ويبتون في كثير من الأمور

---

(1) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٤٠ و٥٨. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٢١٩. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص١٢. النويري، نهاية الأرب، ج٢٣ص٦٢.

(2) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٥–٢٦ و١٤٩. الصابي، الوزراء، ص٣٦ و٣٣٥. الهمذاني، التكملة، ج١ص١٢ و٤٩. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤٧٠.

(3) الصولي، أخبار المقتدر،ص٢٧٥. الصابي، الوزراء، ص٣٣٣ و٣٤٢. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص٣٩.

(4) الصولي، أخبار المقتدر، ص٢٣٠. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ض١٨٧. الهمذاني، التكملة، ج١ ص٢٩. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٢١٠

(5) مكسويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٠، الهمذاني، التكملة، ج١ص١١. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٥٧.

(6) الصابي، رسوم دار الخلافة، ص٩.

(7) الصولي، أخبار المقتدر، ص٢٤٥. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١١٦.

(8) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٣٩. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٩٠. الهمذاني، التكملة، ج١ص٥٨. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص٤٢.

(9) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٧٩ .

(10) الصابي، رسوم دار الخلافة، ص٦٥. وانظر، عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٤٣. المسعودي، التنبيه، ص٣٧٠.

(11) الصولي، أخبار المقتدر، ص٢٦٣. الصابي، الوزراء، ص٢٩٠.

دون علم الخليفة. قال نصر الحاجب للخليفة: "كم من أمر قد عقد على أمير المؤمنين أريد به إدخال الكدح إلى سلطانه، ولم يعلم به فكفاه الله بسعايتنا في صرفه عنه"[١].

ظهر نفوذ الحاشية منذ بداية خلافة المقتدر سنة (٢٩٥هـ/٩٠٧م) عندما ضمن صافي الحرمي إيصال المقتدر إلى دار الخلافة، وأَخَذَ له البيعة على من في الدار من الحاشية والخدم[٢]. وتدعم مركزهم بموقفهم المؤيد للمقتدر أثناء فتنة ابن المعتز (٢٦٩هـ/٩٠٨م) ففي الوقت الذي قرر فيه المقتدر تسليم الدار، والانتقال عنها، قرر هؤلاء الدفاع والمقاومة، وعلى رأسهم مؤنس الخادم، وسوسن الحاجب، وغريب الخال، واستطاعوا تثبيت المقتدر[٣].

لذا أصبح المقتدر يدين لهم كأصحاب فضل، بل أن بعضهم رأى نفسه صاحب الحق لا يمكن نزعه منه. فعندما طلب المقتدر من سوسن الحاجب أن يترك الدار، وله ما شاء من المال والسلاح والأعمال رفض قائلاً: "أمر أخذته بالسيف لا أتركه إلا بالسيف"[٤].

وسوسن هو حاجب المكتفي[٥] من قبل، وكان ممن دعم خلافة المقتدر منذ البداية[٦]. ويبدو أنه كوفيء بإطلاق يده في مختلف شؤون الدولة حتى أن الوزير العباس بن الحسن لم يكن يمضي شيئاً إلا بعد مشورته. ولما شعر بتغير الوضع بمجيء ابن الفرات للوزارة سنة (٢٩٦هـ/٩٠٨م)، وتفرده بالرأي والتدبير، سعى لمحمد بن عبدون بالوزارة. غير أن ابن الفرات تمكن من التخلص منه بعد أن حصل على دعم الخليفة وصافي الحرمي وعدد من قادة

---

(1) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٢٥.

(١) الصولي، أخبار المقتدر، ص٣٩. المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٣١١. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٤٠٣. الهمذاني، التكملة، ج١ص٤.

(٢) الصولي، أخبار المقتدر، ص٦٦. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٦. الهمذاني، التكملة، ج١ص٥. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٣٣-١٣٤.

(٣) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٠٠. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٢٦.

(٤) الدواداري، كنز الدرر، ج٥ص٣٢٤. أنظر، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٦٢. النويري، نهاية الأرب، ج٢٣ص١٠٤

(٥) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٦. الصابي، الوزراء، ص١٥٤. ابن دحية، النبراس، ص٦١.

الجند[١] وعلى رأسهم تكين بن عبد الله الحربي الذي كان مرشحاً للحجبة[٢]، وكوفئ بتوليته مصر سنة (٢٩٧هـ/٩٠٩م)[٣]. وعادت هذه الفئة لتؤكد نفوذها وعلى رأسها مؤنس الخادم بإرجاع المقتدر إلى الخلافة سنة (٣١٧هـ/٩٢٩م). خاصة بعد أن ثار الجند، وطالبوا بعودته[٤].

كانت العلاقة بين شخصيات هذه الفئة قائمة بمقدار تحقق مصالحها الخاصة أو المشتركة فجميع الأطراف المشتركة بقتل سوسن كان لها مصالحها الخاصة في التخلص منه. ولما شعر صافي الحرمي بازدياد نفوذ مؤنس الخادم قام بإبعاده عن العاصمة سنة (٢٩٧هـ/٩٠٩م)[٥]، وتخلص مؤنس الخادم من نازوك سنة (٣١٧هـ/٩٢٩م)[٦] بعد أن شعر بتأثيره على دار الخلافة، وظهوره بمظاهر القوة والأبهة[٧].

وكانت علاقة مؤنس الخادم ونصر الحاجب سيئة في ظاهرها كما يبدو إلا أن الظروف أظهرتهما كالنفس الواحدة، وكان كل واحد منهما يذود عن الآخر[٨]. ويعتبر نصر الحاجب الحلقة الأضعف قياساً بمؤنس الخادم أو ثمل القهرمانة، وكان يستشعر قوته في ظلهما تحديداً[٩]. ويبدو أن مؤنس الخادم ونصر الحاجب ينتميان لبيئة واحدة لعلها الأراضي البيزنطية فقد كانا

---

(٦) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٠٠. الصابي، الوزراء، ص٣٢ و١٠٢-١٠٣. الهمذاني، التكملة، ج١ص٦. Bowen, Ali b. Isa, P. 96-97.

(٧) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٢.

(٨) الصابي، الوزراء، ص١٥٦

(4) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٩٦. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٢٤٦. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص٥١-٥٢.

(5) أنظر الصولي، أخبار المقتدر، ص١٠٢. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٣١.

(6) الذهبي، تاريخ الإسلام (٣١١-٣٢٠هـ)، ص٣٨٦. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣ص٢٥٦.

(7) الصابي، رسوم دار الخلافة، ص١٠. الذهبي، تاريخ الإسلام (٣١١-٣٢٠هـ)، ص٣٨٦.

(8) الصولي، أخبار المقتدر، ص٢٦٠ و٢٦٢. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٢٤-١٢٥.

(9) الصولي، أخبار المقتدر، ص٢٣٤-٢٣٥ و٢٦٠ و٢٦٤. الصابي، الوزراء، ص٢٩٠-٢٩١.

القائمين بالترجمة عند قدوم رسولي ملك الروم إلى بغداد سنة (٣٠٥هـ/٩١٦م)[١]. وفي سنة (٣١٠هـ/٩٢١م) قدم أخ لنصر من بلاد الروم، فأسلم، وخلع عليه[٢].

زاد ضعف المؤسسة الإدارية من قوة الحاشية ونفوذها حتى بدا الوزير أحياناً كالتابع لهم كما هو الحال مع مؤنس الخادم وابن مقلة[٣]. وكان الخصيبي يلاطف أصحاب المقتدر، ويتودد إليهم، ويهاديهم[٤]. وكان الحسين بن القاسم يمضي بنفسه إلى كتاب شفيع ومؤنس الخادم ويلبق ويضمن لهم الضمانات حتى صلحوا له[٥].

تكثر الإشارات إلى دور الحرم، وأثرهن في شؤون دولة المقتدر، ويأتي الحديث عنهن – في بعض الروايات– مقترناً بالخدم والخصيان[٦]. وعلى رأس الحرم والدة الخليفة وخالته والقهرمانة وجارية للمقتدر تدعى خاطف، ودستنبويه أم ولد المعتضد[٧]. وساهمت أم المقتدر بشخصيتها المتنفذة في الحكم والتدبير في إبراز دور الحرم في البلاط فأصبحن يتدخلن في الشؤون الإدارية والمالية[٨]. وأم المقتدر في أصلها جارية رومية لأم القاسم بنت محمد بن عبد الله بن طاهر تدعى ناعم، اشتراها المعتضد وسماها شغب[٩]. كانت موصوفةً بالجمال[١٠]، وعظم شأنها في خلافة ابنها المقتدر فكانت في غاية الحشمة والرياسة ونفوذ

---

(1) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١ص١١٩.

(2) الهمذاني، التكملة، ج١ص٢٩.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٠٤–٢٠٥. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٢٥١. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص٦٠. النويري، نهاية الأرب، ج٢٣ص٩٠.

(4) ابن الطقطقي، الفخري، ص٢٦٤.

(5) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢١٨. الهمذاني، التكملة، ج١ص٦٥.

(6) المسعودي، التنبيه، ص٣٢٨. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص٧٤–٧٥. القلقشندي، مآثر الإنافة، ج١ص٢٧٦. المقريزي، السلوك، ج١ق١ص١٧.

(7) المسعودي، التنبيه، ص٣٢٨. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٩٠. الثعالبي، تحفة الوزراء، ص٥٣. الصابي، الوزراء، ص١١٩.

(8) أنظر، الصولي، أخبار المقتدر، ص٢٠٩. المسعودي، التنبيه، ص٢٣٨. القضاعي، عيون المعارف، ص٢٣٦.

(9) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦١٢. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٢٣. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٧ص٢٢٢. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٥٩–٦٠.

(10) الموصلي، الروضة الفيحاء، ص٢٣٨.

الكلمة[١]، ولقبت بالسيدة[٢] تفخيماً لها، وتعظيماً لمكانتها[٣]. وكانت الممسكة بزمام الأمور والمهيمنة في دار الخلافة لأكثر من عقدين. ومتى شعرت بصعود نفوذ إحداهن وقوتها، لم تكن تتوانى عن التخلص منها كما فعلت مع دستنبويه التي كانت تدل عليها بمكانتها السابقة لدى المعتضد، ومكانتها العظيمة في نفس المقتدر[٤]. وتخلصت من إحدى قهرماناتها المقربات لأسباب مالية وسياسية[٥].

حازت السيدة على مكانة عظيمة في نفس المقتدر إذ كان يعاملها باحترام وتقدير كبيرين قوى من تأثيرها على دار الخلافة. ويظهر شدة حبه واحترامه لها من مخاطبته إياها بـــ (ستي)، وما يراها إلا قام لها وعانقها وقبلها، وأجلسها مكانه. وكان يخصها بأوقات معينة للتحدث إليها[٦]، والجلوس معها في أماكن خاصة[٧].

وامتازت السيدة بالثراء إذ اقتطعت الكثير من الضياع والأملاك وافرة الارتفاع في خلافة ابنها[٨]. فبلغ دخلها السنوي مليون دينار[٩]، ولضخامة أملاكها أنشئ لها ديوان خاص لإدارتها[١٠]، ويقوم بأموره كاتب يؤهل وقد يصل للوزارة[١١]، ويعد كتابها من مشايخ الكتاب،

---

(1) ابن كثير، البداية، ج١١ص١٧٥.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٥٩. الذهبي، تاريخ الإسلام (٢٩١-٣٠٠هـــ)، ص٢٠. ابن كثير البداية، ج١١ص١٦٩.

(3) الكبيسي، عصر الخليفة المقتدر، ص١٠٢.

(4) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٠٨. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٨٦-٨٧. الهمذاني، التكملة، ج١ص٣١ و٤٩. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٢٠٩.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٧١-٧٢.

(6) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١١٨. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٢٣٨.

(7) ابن الزبير، الذخائر، ص٢٣٨.

(8) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٣٢١. الصفدي، الوافي، ج٦ص١٧٦. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣ص٢٧٢.

(9) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٢٨. وانظر، التنوخي، النشوار، ج١ص٢١٦.

(10) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٢٦ و١٢٨. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٤٣. الصابي، الوزراء، ص١١٧.

(11) ن.م.، ص١٢٦ و١٢٨. ن.م.، ج١ص١٤٣. ن.م.، ص١١٧.

ومن ذوي الثقافة والعلم[١]. ويفضل الكثيرون العمل في خدمتها على تولي منصب الوزارة[٢].
وكانت السيدة عظيمة الإنفاق في أوجه الخير خاصة فيما يتعلق بالحج وطرقه وما يحتاج إليه من

---

(1) الصولي، أخبار المقتدر، ص٢٢٢. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٢٨.

(2) ن.م.، ص٢٧٢. ن.م.، ص١٢٨.

أدويةٍ وأشربةٍ. كما أوقفت الكثير من الأملاك على الحرمين الشريفين[١]. ويبدو أنها كانت تساهم في عمليات ترميم الأماكن المقدسة، فقد أصلحت السيدة جانباً من سقف قبة الصخرة، كما أمرت بصنع أبواب خشبية مزخرفة ومذهبة، وإلى هذا يشير نقش في قبة الصخرة سنة (٣٠١هـ/٩١٣م) يحمل لقبها[٢]. وقد وصفها علي بن عيسى بأنها دينة فاضلة[٣]. وفي سنة (٣٠٦هـ/٩١٨م) أنشأت مارستاناً، بلغت نفقته الشهرية ستمائة دينار[٤]، والسنوية سبعة آلاف ومائتي دينار.

وللسيدة نشاطات زراعية وتجارية[٥] بحكم ضياعها الواسعة، وثروتها الكبيرة . وشاركها في ذلك الكثير من حرم الدار وعلى رأسهن دستنبويه التي كانت ذات تجارة واسعة، وأرباح طائلة، وكان التجار يفضلون العمل معها، كما وصفت بالكرم والجود[٦].

ومرضت السيدة في أواخر حياتها، وزاد مقتل المقتدر من مرضها[٧]. وقد عذبها القاهر ليستخرج منها الأموال فلم يجد إلا ما أقرت به من ثياب وطيب ومصوغ بلغت قيمته مائة وثلاثين ألف دينار[٨]. وحل القاهر أوقافها وباعها[١]. وقيل أن قيمة ما بيع بالحضرة فقط

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم،ج١٣ص٣٢١. الصفدي، الوافي، ج٦ص١٧٦. ابن كثير، البداية، ج١١ص١٧٥.

(2) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٦٩. الباشا، الألقاب الإسلامية، ص٣٥٠-٣٥١.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٨٠-١٨١. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣ص٢٧٢.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج٣ص١٧٨. القفطي، أخبار العلماء، ص١٩٤-١٩٥. النويري، نهاية الأرب، ج٢٣ص٢٥٤.

(5) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٨٥. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٧٤. الهمذاني، التكملة، ج١١ص٢١. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص١٩٤.

(6) مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٧٠.

(7) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٤٣. الهمذاني، التكملة، ج١ص٧١. ابن العبري، تاريخ الدول، ص١٥٩. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص٧٦.

(8) التنوخي، النشوار، ج٢ص٧٦. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٨٤. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٤٣-٢٤٤. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٣٢١.

من المستغلات للسيدة، بعد مقتل المقتدر، بلغت خمسمائة ألف دينار[٢]. وتوفيت سنة (٣٢١هـ/٩٣٣م)[٣].

اجتمع للسيدة المال والنفوذ والسلطة، فمن يرغب بالغنى والمال يحقق ذلك باللجوء إليها[٤]. وقد تحقق للبعض حماية السيدة، فقد همّ هارون بن غريب بمعاقبة كاتبه لجنايات اقترفها فاستنصر بأخيه كاتب الخالة التي أوصلت الأمر للسيدة فكفت يد هارون عنه[٥]. كما حققت السيدة الحماية لنصر الحاجب من محاولات ابن الفرات للتخلص منه[٦]، وأمرت بحفظ نفس علي ابن عيسى أثناء مناظرته في وزارة ابن الفرات الثالثة (٣١١هـ/٣١٢هـ/٩٢٣-٩٢٤م)[٧]. وفي سنة (٣٠٧هـ/٩١٩م) أرسل علي بن عيسى لعلي بن أحمد بن بسطام لمطالبته بأموال مستحقة عليه لبيت المال فأرسل الأخير للخليفة والسيدة هدايا، وأموال جزيلة. فقطعا مطالبة علي ابن عيسى عنه[٨].

---

(1) التنوخي، النشوار، ج٢ص٧٧. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٤٥. الهمذاني، التكملة، ج١ص٧٢. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٢٦٣.

(2) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٤٥.

(3) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٨٩. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٦٠. الهمذاني، التكملة، ج١ص٧٥. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٣٢٢.

(4) الصولي، أخبار المقتدر، ص٢٢٢. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٧٠-٧١. ابن كثير، البداية، ج١١ص١٧٠.

(5) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٦٤. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٢٣٥.

(6) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١١٣. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١١٧. الصابي، الوزراء، ص٥٤-٥٦. الهمذاني، التكملة، ج١ص٤٢-٤٣.

(7) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١١٠.

(8) الصولي، أخبار المقتدر، ص٢٢١. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٧٨. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٢٠٤-٢٠٥

وفي سنة (٣٠٦هـ/٩١٨م) قدم الحسين بن أحمد الماذرائي إلى بغداد لمناظرته فأهدى الخليفة والسيدة هدايا جليلة، فخرج توقيع الخليفة بإسقاط جميع ما صودر عليه الحسين وابن أخيه، والاقتصار على مائتي ألف دينار[١].

بهذا فتحت السيدة الطريق أمام تجاوزات كثيرة على حساب الدولة، ومصلحتها العليا لحمايتها الشخصية لمثل هذه التجاوزات.

وتعد مهاداة السيدة والخالة والقهرمانة من قبل بعض العمال أمراً لا يمكن الإخلال به[٢]. وكان للسيدة رسم خاص بمخاطبتها في المراسلات والمكاتبات[٣]، بل إن السيدة تشدد على الأسلوب الذي يكتب به مضمون الرسالة الموجهة إليها[٤]. وعندما وضع علي بن عيسى قائمة بميزانية سنة (٣٠٦هـ/٩١٨م). تبين أنه كان يدفع للسيدة والحرم ٧٠٠,٠٤٣,١٩٦ دينار سنوياً[٥].

وكان للسيدة عيون يرفعون إليها أخبار الخلافة وأطرافها دون أن يكون للخليفة علم، بل وتخفى عنه الكثير من الأمور الهامة[٦].

وقد ترفع إليها تقارير خاصة بمالية الدولة، وسياسة الإداريين، ففي سنة (٣٠١هـ/ ٩١٣م) رفع علي بن عيسى رسالة للسيدة مبيناً فيها سياسته المالية، وما حققه لبيت مال الخاصة من وفر، وتأمينه لأرزاق ورواتب مختلف فئات الجيش والخدم والحاشية[٧].

---

(1) الصولي، أخبار المقتدر، ص٢١٥-٢١٧. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٧٤.

(2) الصابي، الوزراء، ص٣٤٦-٣٤٧. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣٧٤.

(3) الصابي، الوزراء، ص١٧٢. وانظر، ابن وهب، البرهان، ص٣٤٣.

(4) ابن وهب، البرهان، ص٣٤٣.

(5) الصابي، رسوم دار الخلافة، ص٢٢.

(6) ابن ظافر الأزدي، أخبار الدول المنقطعة، ج٢ص٣٨٧. النويري، نهاية الأرب، ج٢٣ص١٠٢.

(7) الصابي، الوزراء، ص٣٠٨-٣٠٩.

وتظهر سلطتها من خشية الوزراء منها، ومداراتهم لها فقد ارتبط وصول ابن الفرات للوزارة سنة (٣٠٦-٣٠٨هـ/٩١٨-٩٢٠م) بضمانه إيصال ألف وخمسمائة دينار يومياً للسيدة والمقتدر والأمراء(١). وعندما بدأت وزارته بالتزعزع كان يدرك أن بقاءه مرهون برضى السيدة. لهذا طلب من كاتبها المشورة لأنه أعلم بما فيه صلاح رأيها(٢). ولم يكن لحامد ابن العباس همّ سوى إرضاء السيدة للوصول إلى الوزارة(٣). ووصل الخصيبي سنة (٣١٢هـ/ ٩٢٥م) للوزارة بدعم السيدة والخالة(٤) وضعف أمره لما فقد هذا الدعم(٥). ولما تمكن أبو علي الخاقاني من إبطال سعي ابن أبي البغل للوزارة بدعم السيدة والقهرمانة كان أول ما خشي منه فساد قلب السيدة عليه إذ قال للمقتدر: "أخاف أن يفسد قلب السيدة فتثنيك عن هذا الرأي، فأهلك أنا"(٦).

وللسيدة مساهمات مالية في كثير من الظروف المالية والسياسية الصعبة التي مرت بها الدولة. ففي الغلاء الذي أصاب بغداد سنة (٣٠٨هـ/٩٢٠م) فتحت المخازن التابعة للسيدة والأمراء(٧)، كما ساهمت بـ خمسمائة ألف دينار لحرب القرامطة سنة (٣١٥هـ/٩٢٧م) مقابل

---

(1) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٤٢-٤٣. الصابي، الوزراء، ص٣٦.
(2) الصابي، الوزراء، ص١١١.
(١) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٥٦-٥٨. الهمذاني، التكملة، ج١ص٢٠. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤٩٩. النويري، نهاية الأرب، ج٢٣ص٥٢.
(٢) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٢٧. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٤١ و١٤٣. الهمذاني، التكملة، ج١ص٤٧.
(٣) ابن الطقطقي، الفخري، ص٢٦٤.
(٤) الصابي، الوزراء، ص٢٩٣-٢٩٥.
(٥) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٨٥. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٧٤. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص١٩٤.

ثلاثمائة ألف دينار دفعها المقتدر[١]، ورأت الحاشية بعد اضطراب وضع المقتدر سنة (٣٢٠هـ/٩٣٢م) بأن يُطلب من السيدة مال لتفريقه على الجند[٢].

وارتبط بالسيدة القهرمانات وهن بمثابة رئيسات الخدم، ومدبرات حرم دار الخلافة[٣]. وأول من ظهرت منهن في خلافة المقتدر فاطمة القهرمانة التي زوجت ابنتيها من كبار القادة. ولما توفيت سنة (٢٩٩هـ/٩١١م) حضر التشييع خلق من القواد والقضاة[٤]. وامتازت بالثراء الفاحش فصادر المقتدر ما كان عندها من مال، وما ظهر لها من ودائع[٥]. وقيل أن جملة ما أُخذ منها مائتا ألف دينار[٦]، بعد أن اتهمت بسرقة خزائن السلطان. وخصت ختنيها بكثير مما سرقت. وقبيل وفاتها أوصلت لكل واحد منهما مائة ألف دينار سوى الهدايا والأرزاق[٧].

وظهرت قهرمانة أخرى حازت على مكانةٍ وسلطةٍ عظيمين لعلاقتها الوطيدة بالسيدة قبل تولي المقتدر للخلافة[٨]، وهي أم موسى الهاشمية سكينة بنت العباس، ويرجع نسبها إلى محمد ابن علي بن عبد الله بن العباس من ولد إبراهيم الإمام[٩] ولهذا لقبت بالهاشمية.

كانت أم موسى تقوم على أداء رسائل الخليفة والسيدة إلى الوزراء[١٠]، مما جعلها على اطلاع مباشر على أسرار وخفايا الدولة مما زاد نفوذها، وجعل الجميع يخشاها، ويتقرب إليها

---

(٦) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٨٠. الذهبي، العبر، ج١ص٤٦٩. ابن كثير، البداية، ج١١ص١٥٦.

(٧) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٣٥.

(٨) Bowen, Ali b. Isa, P10.

(٩) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٤٠. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٠. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص١٢٧-١٢٨.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص١٢٧-١٢٨. ابن كثير، البداية، ج١١ص١٨.

(6) ابن كثير، البداية، ج١١ص١١٨.

(7) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٤٠.

(8) ابن الزبير، الذخائر، ص٢٣٩.

(9) ابن حزم، الجمهرة، ص٣٢. ابن الزبير، الذخائر، ص٢٣٩.

(10) الصولي، أخبار المقتدر، ص٢١٦. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٥٢.

وقال عنها ابن الأثير: "أنه ما أتي على ذكرها إلا لأن لها فيما بعد من الحكم في الدولة ما أوجب ذكرها"[١].

وكانت لا تسير إلا في موكب والفرسان والرجالة بين يديها[٢]. كما كانت تتسلم الأضاحي والأرزاق التي توزع على الحاشية[٣]. ويبدو أنها كانت تشرف على خزانة ثياب المقتدر وتطالب من أجل ذلك بالكثير من النفقات[٤]، مما فتح أمامها مجال الثراء فقد ملكت الضياع النفيسة، والعقارات، وأجريت لها الأرزاق الواسعة[٥]. وبلغ ارتفاع ضياعها وضياع أخيها أحمد بن العباس وأختها أم محمد مائة ألف دينار سنويا[٦].

وسعت أم موسى إلى رفع مكانة أخيها بسعيها له بإمرة الحج[٧]، وهو منصب لا يكون إلا لمن كان من طبقة الأشراف من الطالبيين أو العباسيين[٨]، مما أدى إلى استياء كبير لدى الطالبيين فتراجع المقتدر عن قراره لكن مؤقتاً[٩]. وعندما شغب الهاشميون سنة (٣٠٦هـ/٩١٨م) على علي بن عيسى لتأخر أرزاقهم قام المقتدر بمعاقبتهم، ثم عفا عنهم، ووصلهم، وكان ممن وصلهم أم موسى وأخوها[١٠].

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤٦٩.
(2) ابن حزم، الجمهرة، ص٣٢. ابن الزبير، الذخائر، ص٢٣٩.
(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٤٠-٤١. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص١٦٦. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤٩١. النويري، نهاية الأرب، ج٢٣ص٤٣.
(4) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج١ص٢٥.
(5) ابن الزبير، الذخائر، ص٢٤٠.
(6) ن.م.، ص٢٤٠.
(7) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٦٩. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٧٧ و٨٤. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣ص٢١٧.
(8) الكبيسي، عصر الخليفة المقتدر، ص٨٨.
(9) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٦٩. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٤٧ و٨٤.
(10) الصولي، أخبار المقتدر، ص٢١٦.

وفي سنة (٣٠٧هـ/٩١٩م) أجدبت العراق فخرج أخوها والناس معه فاستقوا[١]. وأُجرى على أخيها راتبٌ شهري بلغ سبعة آلاف دينار[٢].

ظهر نفوذ أم موسى القهرمانة في التأثير على المؤسسة الإدارية بشكل خاص. ففي سنة (٢٩٩هـ/٩١١م) أشرفت على تعذيب ابن الفرات لاستخراج الأموال منه، وكان ابن الفرات يقول لها: "هذا جزائي وحق خدمتي لكم"[٣].

وكانت السبب الرئيسي في عزل علي بن عيسى عن وزارته الأولى سنة (٣٠١-٣٠٤هـ/٩١٣-٩١٦م) حينما قدمت على الوزير وهو محتجب فلم يجرؤ حاجبه أن يستأذن لها فغضبت، وأوغرت صدر المقتدر والسيدة عليه رغم أن الوزير اعتذر لها[٤]. بل أن الوزير بدأ بالاستعفاء من منصبه منذ أن شعر بتغير أم موسى تجاهه[٥].

وسعت لحامد بن العباس لزيادة ألقابه في الدعاء، بعد أن قدم لها ولكتاب الدواوين مالاً جليلاً[٦]. وكان ذووا الحاجات يرفعون برقاعهم إليها لقضاء حوائجهم[٧].

ومن جهة ثانية توطدت العلاقة بين أم موسى والوزير أبي علي الخاقاني. وظهر نوع من تبادل المصالح فقد كان يلبي جميع طلباتها[٨]، وبالمقابل تدفع عنه كل طامع بالوزارة لإطلاعها على كافة المراسلات[٩].

---

(1) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣ص٢٢١.
(2) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٨٥-١٨٦. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٥٨.
(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢١-٢٢.
(4) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٤٠-٤١. الصابي، الوزراء، ص٣١٠. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٨٢. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤٩١.
(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص١٦٦.
(6) الصابي، الوزراء، ص١٧٥.
(7) ن.م.، ص٣٠١.
(8) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٥.
(9) الصابي، الوزراء، ص٢٩٩-٣٠٠. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٥٢.

ولما بطل سعي ابن أبي البغل للوزارة بعناية أم موسى، لم يستطع الوزير أبو علي الخاقاني حبسه بل أطلقه واستعمله وأخاه[١]، وبقيا في مناصبهما ولم يجرؤ أحد من الوزراء على استبدالهما لعناية أم موسى بهما حتى سنة (٣١٠هـ/٩٢٢م)[٢].

وظهر تمكن أم موسى عندما اتهمت بمحاولة نقل الخلافة لصهرها أحد أحفاد المتوكل إذ لفتت الأنظار إليها بما نثرته من مال، وما أنفقته على الدعوات وانتهى الأمر باعتقالها ومصادرتها سنة (٣١٠هـ/٩٢٢م). وسلمت إلى قهرمانة تدعى ثمل[٣]. وبلغ ما حصّل من جهتها وجهة أخيها وأختها أكثر من مليون دينار حتى أن الوزير علي بن عيسى اضطر لإنشاء ديوان خاص يتولى أمر ضياعهم وأملاكهم[٤]. وعفا المقتدر عن أم موسى سنة (٣١٨هـ/٩٣٠م) بطلب من مؤنس الخادم[٥]، رغم أن المقتدر أعلن العفو عنها سنة (٣١٤هـ/٩٢٦م)[٦]. فربما أن عفوه الأول قد أهمل.

أما ثمل فكانت من المقربات لدى الخليفة[٧] وذات نفوذ عظيم[٨]، سعت بالوزارة للخصيبي[٩] وأبي القاسم الخاقاني[١٠]. وفي سنة (٣٠٦هـ/٩١٨م) أمرتها السيدة بالجلوس للنظر في المظالم يوم الجمعة، فأنكر الناس ذلك، وطعنوا فيه خاصةً وأن أحكامها جانبت الصواب، فأضيف إليها القضاة فخرجت توقيعاتها على السداد، وسكن الناس، توفيت سنة (٣١٧هـ/٩٢٩م). وخلفت مالاً كثيراً[١١].

---

(1) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٥٨. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢١. الصابي، الوزراء، ص٢٩٥-٢٩٦. الهمذاني، التكملة، ج١ص٢١.

(2) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٤٣.

(3) الصولي، أخبار المقتدر، ص٢٢٨. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٠٨. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٨٣-٨٤. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٢٠٩.

(4) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٠٨. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٨٣-٨٤. الهمذاني، التكملة، ج١ص٣١. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٢٠٩.

(5) الهمذاني، التكملة، ج١ص٦٣.

(6) الصولي، أخبار المقتدر، ص٢٧٣. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٢٩. الهمذاني، التكملة، ج١ص٤٩.

(7) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٢٦.

(8) الدوري، دراسات، ص١٩٩.

(9) الصولي، أخبار المقتدر، ص٢٦٤. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٢٦.

(10) الصولي، أخبار المقتدر، ص٢٠٩-٢١٠. المسعودي، التنبيه، ص٢٣٨. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص١٨٠-١٨١. الذهبي، دول الإسلام، ج١ص١٣٦.

(11) الذهبي، العبر، ج١ص٤٧٤. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣ص٢٥٢.

كانت سيدات القصر عموماً على علاقة بشكل أو بآخر بالإداريين تحديداً. فقد كانت دستنبويه تقوم على أمر أبي علي الخاقاني، فقد أوصلته للوزارة مقابل مائة ألف دينار[1]، وهي

---

(1) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٥١، عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٣٧. الصابي، الوزراء، ص٢٨٧-٢٨٨.

التي أبطلت أمر ابن أبي البغل مقابل خمسين ألف دينار[١].

وكانت دمنة أم ولد المقتدر تقوم على أمر الوزير الحسين بن القاسم، وتمنع عنه الصرف مقابل مائة دينار يرسلها يومياً إلى ولدها، بعد أن حمل إليها جملةً عظيمة من المال[٢]. وكان ابن الفرات يخشى من إظهار حاله ونعمته أمام جواري وخدم الدار خاصةً جارية تدعى بدعة، كان يتهمها بنقل أخباره للمقتدر[٣].

وكانت إحدى القهرمانات وتدعى زيدان تقوم بأمر ابن الفرات. وكثيراً ما كان يأخذ برأيها[٤]. وتظهر علاقتهما من قول حامد بن العباس أثناء مناظرته لابن الفرات: "مددت رجلك، وأطعمت في المحال نفسك، وعولت على القهرمانة –يعني زيدان– في الشفاعة لك، والمدافعة عنك"[٥]. وقابل ابن الفرات إحسانها بإحسان مثله فقد أقطعها ضياعاً، ومستغلات وافرة الارتفاع[٦].

وكانت زيدان متمكنة من خزانة جوهر الخلافة، واتهمت بسبحة قيمتها ثلاثين ألف دينار[٧]، كما يعد بيتها بمثابة السجن للوزراء المعزولين[٨].

يبدو أن هذه الفئة كادت أن تطغى على غيرها من الفئات بنفوذها وتأثيرها على الخليفة. فنشأ عن ذلك نوع من التململ والضيق ظهر واضحاً سنة (٣١٧هـ/٩٢٩م) عند خلع المقتدر إذ طالب الخالعون بالحد من نفوذ الحرم والخدم في البلاط، بالإضافة إلى تقليل النفقات[٩].

---

(1) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٥٨. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٤٠.

(2) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٢. الهمذاني، التكملة، ج١ص٦٥.

(3) الصابي، الوزراء، ص٢١٤-٢١٥.

(4) أنظر مثلاً، مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٦٦ و٦٨ و٨٧. الصابي، الوزراء، ص١٢٨ و٣٢٩.

(5) الصابي، الوزراء، ص١٠٤.

(6) ن.م.، ص٧٧.

(7) الصولي، أخبار المقتدر، ص٢٧٤. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٣٠.

(8) أنظر مثلاً، مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٢ و١٠٤ و٣١٠. الهمذاني، التكملة، ج١ص١٦.

(9) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٤١-١٤٢. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٨٩-١٩٠. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٢٤٢.

لقد كان تدخل نساء القصر في الدولة مفسداً لدرجة أن اختيار محمد القاهر خلف المقتدر[1]، تحكم به بشكل أساسي عدم وجود أم أو خالة له. وذلك لاستبعادهن عن التدخل في الدولة.

ويعد الوزراء والكتاب قوة فاعلة ومؤثرة في توجيه سياسة الدولة. وسيأتي الحديث عنهم في الفصل التالي.

الأوضاع السياسية:

شهدت الخلافة العباسية – خاصة في النصف الثاني من حكم المقتدر– اضطرابات سياسية في مختلف ولاياتها. أثرت مجرياتها على العاصمة. كما أن اضطراب الأوضاع في العراق، والأزمة المالية، وشغب الجند، أدت إلى عجز الخلافة عن مواجهة التطورات الخارجية خاصة في الأقاليم الشرقية.

واستشعر البيزنطيون حالة الضعف والفوضى هذه ففي سنة (٣١٣هـ/٩٢٥م) راسل ملكهم أهل الثغور بضرورة أداء الخراج إليه طائعين وهددهم قائلاً: "وإلا قصدتكم فقد صح عندي ضعفكم"[2]. وفي سنة (٣١٤هـ/٩٢٦م) دخل البيزنطيون ملطية[3] ثم سميساط وأحرقوا وسبوا فيها[4]، وسار البيزنطيون إلى خِلاط وبدْليس سنة (٣١٦هـ/٩٢٨م) يقتلون وينهبون

---

(1) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٨١. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٤٢. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٢٦. ابن العبري، تاريخ الدول، ص١٥٩.

(2) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٤٦. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص١٣.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٤٧. الهمذاني، التكملة، ج١ص٤٩. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٢٥٥. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٢٣٠.

(4) الأصفهاني، تاريخ سني، ص١٢٣. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٥٩ و١٦١. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٢٦٠-٢٦١. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٢٣٢-٢٣٣.

فصالحهم أهل خِلاط على ١٠,٠٠٠ دينار، ثم حاصروا خلاط وملكوها صلحاً، وجُعل الصليب في جامعها، مما أدى إلى هرب أهل أرْدَن واستغاثوا ببغداد فلم يغاثوا[١].

ومنذ سنة (٣١٧هــ/٩٢٩م) انعكست الأوضاع الداخلية لبغداد سلباً على الثغور إذ عمها الاضطراب والذعر، وظهر ضعف الجند المرابطين بها، واضطروا إلى مهادنة البيزنطيين، وبذل الأتاوة لهم بعد أن استمدوا المقتدر فلم يمدهم، كما استسلموا في سميساط وآمد وأرزن وملطية وميافارقين[٢].

لقد ظهر الاختلال في الثغور بسبب إهمال شؤونها، وعدم تفقدها ومدها بخيرة الجند والآلات وتأمين النفقات[٣]، مما أدخل الهلاك والخلل على الدولة[٤].

وواجهت الخلافة العباسية خطر القرامطة من جديد إلا أن تهديدهم في بداية خلافة المقتدر لم يكن كبيراً فقد رأى الوزير علي بن عيسى منذ سنة (٣٠١هــ/٩٠٤م) –بعد أن شعر بخطرهم– أن يستكفهم بالمراسلات ويشغلهم بها فلم يكن لهم أي تهديد مباشر بفضل سياسته تلك إلا أنه اتهم بمواطأتهم وممالأتهم[٥]. وبعد عزله دخل القرامطة البصرة سنة (٣٠٧هــ/٩١٠م) ونهبوا وسبوا[٦]، ثم قصدوا البصرة مرة أخرى سنة (٣١١هــ/٩٢٣م) ووضعوا السيف في أهلها فتهارب الناس، وجال القرامطة في المدينة مدة سبعة عشر يوماً يحملون ما قدروا عليه من المال والأمتعة والنساء والصبيان[٧]، وانسحبوا عن المدينة دون أن تدركهم جيوش الخلافة[٨].

---

(1) ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣٨٦. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٣٨٢.
(2) الذهبي، تاريخ الإسلام (٣١١-٣٢٠هــ)، ص٣٨٦. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣٨٦.
(3) الصابي، غرر البلاغة، ج١ص١٤٩. الحسن بن عبد الله، آثار الأول، ص١٦٦-١٦٧.
(4) الحسن بن عبد الله، آثار الأول، ص١٦٦.
(5) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٠٩. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٥٩.
(6) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص١٨٩.
(7) ابن الأثير، الكامل، ج٧ص١٥. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٠٥.
(8) ابن الأثير، الكامل، ج٧ص١٥.

وابتداءً من سنة (٣١٢هـ/٩٢٤م) بدأ القرامطة بمهاجمة قوافل الحاج مما أدى إلى فوضى عارمة ببغداد كانت من الأسباب التي أدت إلى سقوط وزارة ابن الفرات الثالثة (٣١١-٣١٢هـ/٩٢٣-٩٢٤م)(١). وهاجموا قوافل الحاج مرة أخرى سنة (٣١٣هـ/٩٢٥م)، (٢) وفي سنة (٣١٤هـ/٩٢٦م) بدأ أهل مكة بالنزوح عنها(٣).

ولمواجهة القرامطة ثم استقدام ابن أبي الساج سنة (٣١٣هـ/٩٢٢م) من الجبل لحربهم، وتأخر نفوذه لقلة المال(٤)؛ فقلده المقتدر أعمال الصلاة والمعادن والخراج والضياع بسائر نواحي الجبل كما سلمه معظم أموال نواحي المشرق ليضمها إلى ضمانه على أرمينيا وأذربيجان لتصرف في نفقات حملته على القرامطة. وفي سنة (٣١٥هـ/٩٢٧م) أمر المقتدر بإخراج سبعمائة ألف دينار من بيت مال الخاصة لتصرف في الاستعدادات لحرب القرامطة(٥). وعمل الوزير علي ابن عيسى على تأمين مؤن جيش ابن أبي الساج من الكوفة لكن القرامطة استولوا عليها، ثم وقعت المعركة بين الطرفين، ويبدو أن أبن أبي الساج استهان بخصمه إذ أراد أن يكتب كتاب الفتح قبل المعركة التي أسفرت عن أسره مع عدد من جنده وأثناء هزيمة جيش ابن أبي الساج دمر ونهب بما مر من قرى السواد(٦). وفي سنة (٣١٦هـ/٩٢٨م) هدد القرامطة بغداد وأصبحوا على بعد أميال منها، ويبدو أن الوضع كان في غاية الخطورة لدرجة أن الوزير

---

(1) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١١٨-١٥. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٢٠-١٢١. الهمذاني، التكملة، ج١ص٤٣.

(2) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٢٤. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٢٤٠. اليافعي، مرآة الجنان، ج٢ص١٩٩. الذهبي، دول الإسلام، ج١ص١٣٨.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٤٧. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٢٤٨-٢٤٩ و٢٥٥-٢٥٦. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص٢٢-٢٣. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣٧٧.

(4) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٢٨. المسعودي، التنبيه، ص٣٣٠-٣٣١.

(5) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٤٧-١٤٩. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص٢٧.

(6) مجهول، العيون، ج٤ق١ص٢٣٢. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص٣٧. الذهبي، العبر، ج١ص٤٦٩.

علي بن عيسى أشار على المقتدر بالخروج إلى خراسان[١]، ووصل الأمر بالكثيرين من وجوه الناس أن جهزوا الزوارق في دجلة لنقل أهلهم وأمتعتهم "إذ لم يكن عند أحد من الخاص والعام شك في أن القرمطي سيملك بغداد"[٢].

أمر المقتدر بتجهيز الجيوش فأخرجت السيدة خمسمائة ألف دينار وأخرج المقتدر ثلاثمائة ألف دينار، وحفرت الخنادق حول العاصمة، وأصلحت الأسوار[٣]. وخرجت الجيوش بقيادة نصر الحاجب ومعه الحجرية والمصافية ومن بقي في بغداد من القواد وانضم إليه مؤنس الخادم فبلغ الجيش مجتمعاً أكثر من أربعين ألف، وانضم إليهما عبد الله بن حمدان بأتباعه وساروا ناحية عقرقوف من نواحي دجيل بينهما وبين بغداد أميال قليلة[٤]. وأشار عبد الله ابن حمدان بقطع قنطرة زبارا على موضع قريب من الكوفة[٥] لمنع اجتياز أبي طاهر القرمطي[٦]، مما منع التقاء الجيشين. ولما حال قطع القنطرة دون عبور أبو طاهر القرمطي حاول مؤنس الخادم تخليص ابن أبي الساج لكنه قتل[٧]، ثم سار أبو طاهر يريد هيت فالتقى بهارون بن غريب وسعيد بن حمدان، فقتلا جماعة منهم، عندئذ سكن الناس[١].

وعاد أبو طاهر القرمطي مرة أخرى سنة (٣١٦هـ/٩٢٨م) فهاجم الرحية، وقتل أهلها،

---

(1) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٨٠.

(2) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٨٠.

(3) ن.م.، ص١٨٠-١٨١. المسعودي، التنبيه، ص٣٣٢. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٨٠-١٨١. مجهول، العيون،ج٤ق١ص٢٣٢.

(4) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤ص١٣٧.

(5) ن.م.، ج٣ص١٢٩.

(6) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٨٧. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٧٦-١٨٠. الهمذاني، التكملة

(7) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٧٨. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٧٩-١٨١. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٢٦٣-٢٦٥. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٢٣٨-٢٤٠.

ثم سار عن قرقيسيا بعد أن أمن أهلها إلى ديار ربيعة فأوقع بالأعراب، وفرض على كل بيت ديناراً في السنة. ثم سار إلى الرقة لكنه انصرف عنها ناحية الكوفة؛ لوصول مؤنس الخادم، ومحاربة أهلها له. وقفل راجعاً إلى بلاده[٢].

وفي ذات السنة ثار بالسواد حوالي عشرة آلاف رجل ممن يعتقدون اعتقاد القرامطة بزعامة حريث بن مسعود، ومعهم قوم من الأعراب من بني رفاعة وذهل وعبس فكانوا ينهبون ويسبون ويقتلون فأرسل المقتدر هارون بن غريب فتمكن من القضاء عليهم[٣].

وفي سنة (٣١٧هـ/٩٢٩م) قدم أبو طاهر القرمطي إلى مكة في موسم الحج فقتل الحجاج في المسجد الحرام، و ألقى جثث بعضهم في زمزم، وامتلأت الأودية والطرقات بالقتلى، وأخذ ما لا يحصى من الذهب والفضة، واقتلع أبواب الكعبة وجردها من زينتها وكسوتها وأخذ معه الحجر الأسود[٤].

وفي سنة (٣١٩هـ/٩٣١م) سار القرامطة إلى الكوفة ونزلوا المصلى العتيق وعسكروا به مدة خمس وعشرين يوماً يقتلون وينهبون حتى خاف أهل بغداد من دخولهم مدينتهم فشغبوا ورفعوا المصاحف وشتموا المقتدر[٥]. وحاول أبو طاهر القرمطي اعتراض الحجاج سنة

---

(1) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٨٠. المسعودي، التنبيه، ص٣٣٣.

(2) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٨٣. المسعودي، التنبيه، ص٣٣٣-٣٣٤. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٨٢-١٨٣. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٢٧٢.

(3) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٣٧. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٢٧٢-٢٧٣. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص٤١-٤٢. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣٧٨-٣٧٩.

(4) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٣٦-١٣٧. المسعودي، التنبيه، ص٣٣٤-٣٣٥. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٠١. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٢٨١-٢٨٢.

(5) الأصفهاني، تاريخ سني، ص٥٤. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٦٢-١٦٣. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٣٨٤.

(٣٢٠هـ/٩٣٢م) ليجبي منهم الخراج فلم يخرج للحج إلا نفر يسير. ولم يحقق ما كان يطمع إليه[١].

وفي الوقت الذي كانت فيه الدولة تواجه خطر القرامطة ظهر خطر الفاطميين الذين ظهروا بالمغرب سنة (٢٩٦هـ/٩٠٨م)، وأخرجوا الأغالبة وبنوا المهدية على يد عبيد الله المهدي[٢]. وفي سنة (٢٩٧هـ/٩٠٩م) دعي للمهدي بالخلافة، فخرجت بلاد المغرب نهائياً من الحكم العباسي[٣]. وبدأ الفاطميون يسعون للسيطرة على مصر ولم تكن المناوشات بينهم وبين جيوش الخلافة لتهدأ. ويبدو أن أخبار المهدي ودعاته كانت تصل المقتدر ورجال الدولة ولكنهم كانوا يستخفون بهم. ولم يأخذوا الأمر محمل الجد حتى كان التهديد الأول على مصر سنة (٣٠٠ هـ/٩١١م) من قبل الفاطميين بقيادة حباسة بن يوسف من بربر كتامة ومعه مائة ألف، وتمكن من السيطرة على برقة ودخول الإسكندرية[٤].

لقد أظهر المقتدر –عندئذ– اهتماماً بأخبار مصر. فأرسل لواليها تكين المدد تلو الآخر حتى تمكنوا من هزيمة حباسة بن يوسف[٥].

عاود المهدي الكرة اعتباراً من سنة (٣٠٤هـ/٩١٦م) ودخلت مقدمة جيوشه الإسكندرية سنة (٣٠٧هـ/٩١٩م). والوالي ذكا بن الأعور وأوضاع مصر الداخلية غايةً في الاضطراب لمخالفة الجند وهرب بعضهم. لكن ذكا تمكن من مداراتهم، وبدأ بالقيام بالتحصينات

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٣٠٥.

(2) ابن الطقطقي، الفخري، ص٢٥٦. القلقشندي، مآثر الإنافة، ج١ص٢١٨. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣ص١٨٤.

(3) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣ص١٨٧.

(4) الكندي، الولاة، ص٢٨٦–٢٨٨. وانظر، ابن بطريق، التاريخ المجموع، ج٢ص٧٩–٨٠. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٧٦. النويري، نهاية الأرب، ج٢٣ص٤٠.

(5) الكندي، الولاة، ص٢٨٨–٢٩١. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣٨٦. المقريزي، المقفى، ج٢، ص٦٠١–٦٠٣. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٢ص٦٠١–٦٠٣.

والاستعدادات لكنه توفي قبل المواجهة سنة (٣٠٧هـ/٩١٩م). فاضطرب أهل مصر، ولحق كثير منهم بالحجاز حتى قدم تكين مرة ثانية والياً على مصر[١]. وأخذ بإكمال استعدادات سلفه، واستنفر المقتدر القوات البرية وعلى رأسها مؤنس الخادم. والقوات البحرية بقيادة ثمل الخادم خاصة بعد سيطرة الفاطميين على مناطق من الصعيد. وتمكنت جيوش الخلافة من هزيمتهم بعد انتشار الوباء بين جندهم[٢]. وعزل مؤنس الخادم تكين فلم يتمكن الولاة بعده من ضبط مصر إذ بقيت أوضاعها مضطربة، وشغب الجند متصلاً حتى سنة (٣١١هـ/٩٢١م) بمقدم تكين والياً عليها[٣]. وأخذ بتثبيت وضعه في مصر وتحسين أوضاعها، فبقي والياً عليها حتى مقتل المقتدر سنة (٣٢٠هـ/٩٣٢م)[٤].

واجه المقتدر في بداية خلافته اضطرابات في الأقاليم الشرقية، تعاملت الخلافة مع تلك الاضطرابات باهتمام كبير، للعناية التي كان يوليها الوزراء لتلك النواحي. كما أن أمراء تلك النواحي كانوا يظهرون الولاء والطاعة للخلافة.

أظهر ابن الفرات في بداية وزارته سنة (٢٩٧هـ/٩٠٩م) اهتماماً شديداً بفارس التي تغلب فيها طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث[٥]. وأشار على المقتدر بإعادة فتحها وقد تمكن من ذلك سنة (٢٩٨هـ/٩١٠م) بدعم من سبكري غلام عمرو بن الليث وتولى السبكري فارس بدعم من مؤنس الخادم وقيل أنه دفع مالاً لمؤنس[٦] وفي سنة (٢٩٩هـ/٩١١م) لما شعر السبكري بقوته استقل بفارس فأرسل إليه ابن الفرات مؤنس الخادم ومعه مجموعة من القادة على رأسهم

---

(1) ابن البطريق، التاريخ المجموع، ج٢ص٨٠-٨١. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣٧١-٣٧٢. المقريزي، المقفى، ج٣ص١٥١-١٥٣. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣ص٢١٩-٢٢٠.

(2) الكندي، الولاة، ص٢٧٦-٢٧٨. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٧٩-٨٠. النويري، نهاية الأرب، ج٣ص٥٤-٥٥.

(3) الكندي، الولاة، ص٢٧٨-٢٧٩. المقريزي، المقفى، ج١ص٥٧٠-٥٧١. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣ص٢٢٦-٢٢٧.

(4) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣ص٢٣٦-٢٣٧.

(5) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٠٦-١٠٧. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٣٢-٣٣. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٩. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣٦٥.

(6) الصولي، أخبار المقتدر، ص١١١. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٦-١٧.

وصيف كامة وبدر الحمامي والحسين بن حمدان وتمكنوا من هزيمته، وقلد بدر الحمامي أعمال فارس[١].

وفي سنة (٢٩٩هـ/٩١٠م) تمكن أحمد بن إسماعيل الساماني من استعادة سجستان وإخراج من بها من الصفاريين بزعامة المعدل بن علي بن الليث[٢]. إلا أن الوضع لم يستقر في سجستان لتغلب كثير بن أحمد بن شهفور عليها ثم طمع بالسيطرة على فارس سنة (٣٠٤هـ/ ٩١٥م) فكتب المقتدر لبدر الحمامي بالخروج لحربه فخاف كثير فأرسل يطلب المقاطعة على مال يدفعه فقوطع على خمسمائة ألف درهم[٣] وفي نفس السنة خرج خالد بن محمد الشعراني، صاحب الخراج بكرمان طامعاً بالسيطرة على فارس فسار إليه بدر الحمامي وقتله[٤].

أقر المقتدر أبا نصر أحمد بن إسماعيل الساماني على ما كان يتولاه زمن المعتضد. وقتل سنة (٣٠١هـ/٩١٣م) من قبل بعض غلمانه فتولى ابنه نصر بن أحمد[٥] الحكم وهو ابن ثماني سنوات فاستصغره الناس، وظنوا أن أمره لا يتم لوجود عم أبيه اسحاق شيخ السامانية وصاحب سمرقند غير أن وزير نصر أبو عبد الله محمد الجيهاني تمكن من تدبير أمور الدولة، وتسيير شؤونها، وتثبيت نصر بن أحمد إلا أن صغر سنه أطمع أصحاب الولايات على

---

(1) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٧٤. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٨-٢٠. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١١٦-١١٨.

(2) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٩. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٥٠. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤٦٨-٤٦٩. الكرديزي، زين الأخبار، ص٢٤-٢٥.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤٩٤-٤٩٥. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣٧٠.

(4) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٦٠-٦١. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤٩٥. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣٧٠

(5) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٤٥-٤٦. أنظر النرشجي، تاريخ بخارى، ص١٢٥-١٢٧. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٣٣. الكرديزي، زين الأخبار، ص٢٧.

الاستقلال وعلى رأسهم عم أبيه إسحاق فجهزت الجيوش بقيادة الحسين بن علي الذي تمكن من هزيمة اسحاق، وأسره، ودخول سمرقند سنة (٣٠١هـ/٩١٣م)[1].

(1) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٣٣. الكرديزي، زين الأخبار، ص٢٨. الذهبي، تاريخ الإسلام (٣٠١-٣١١هـ)، ص١٤.

وكان قائد الجيش الساماني الحسين بن علي يتوقع أن يكافأ بتوليته سجستان فلم يتم له ذلك فأعلن العصيان في هراة وقصد نيسابور، فوجه إليه نصر بن أحمد الساماني أحمد بن سهل الذي انتصر عليه سنة (٣٠٦هـ/٩١٨م)[١]. وفي سنة (٣٠٧هـ/٩١٩م) خرج أحمد بن سهل على الدولة السامانية فوجه نصر إليه قراتكين والي جرجان فهزمه وأسره في نفس السنة[٢].

وفي سنة (٣١٠هـ/٩٢٢م) خرج إلى فرغانة إلياس بن إسحاق بن أحمد الساماني على نصر بن أحمد الساماني في ثلاثين ألف مقاتل وعاونه صاحب الشاش[٣] أبو الفضل بن أبي يوسف. لكنه هزم وأسر أبو الفضل[٤].

ولما استدعى المقتدر ابن أبي الساج إلى واسط سنة (٣١٤هـ/٩٢٦م) كتب إلى نصر ابن أحمد بولاية الري فقصدها واستولى عليها، وولى عليها سيمحور الدواتي[٥].

وفي سنة (٣١٧هـ/٩٢٩م) خرج على نصر بن أحمد إخوته وانضمت إليهم العساكر وعظمت شوكتهم، ونهبوا الخزائن والقصور ببخارى واستمرت فتنتهم حتى سنة (٣٢٠هـ/ ٩٣٢م) عندما بذل نصر الأمان لإخوته[٦].

أما أذربيجان وأرمينيا فقد أقر المقتدر عليهما يوسف بن أبي الساج سنة (٢٩٦هـ/ ٩٠٨م) على أن يحمل لبيت المال بعد القيام بجميع النفقات مائة وعشرون ألف دينار سنوياً[٧].

وبقي ملتزماً بأداء مال ضمانه حتى سنة (٣٠٤هـ/٩١٦م) حيث أخر حمل ما اتفق عليه وتقوى به، واستولى على الري، وقزوين وزنجان وأبهر. وكتب للوزير الجديد ابن الفرات أن

---

(1) الكرديزي، زين الأخبار، ص٢٩

(2) ن.م.، ص٣٠-٣١.

(3) الشاش: منطقة فيما وراء النهر، متاخمة لبلاد الترك وهي أرض سهلية، كثيرة المياه. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣ص٣٠٨-٣٠٩.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج٧ص٨.

(5) ن.م.، ج٧ص٢٩.

(6) الكرديزي، زين الأخبار، ص٣١-٣٣. وأنظر، ابن الأثير، الكامل، ج٧ص٥٤-٥٧.

(7) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٦. الهمذاني، التكملة، ج١ص٧. مجهول، العيون،ج٤ق١ص١٣٧.

علي بن عيسى أرسل إليه بالعهد واللواء على هذه المناطق، وأنه افتتحها فطرد عنها المتغلبين[١] فأنكر علي بن عيسى ذلك. وحقق ابن الفرات بالأمر وظهر ادعاء ابن أبي الساج فأمر المقتدر مؤنساً الخادم بالخروج لحربه. ولم يقبل المقتدر بالصلح وأسر ابن ابي الساج سنة (٣٠٧هـ/٩١٩م) وحبس في بغداد[٢].

وفي سنة (٣١٠هـ/٩٢١م) شفع مؤنس الخادم لابن أبي الساج فأُطلق، وخلع عليه وقلد أعمال الري وقزوين وأبهر وزنجان وأذربيجان مقابل خمسمائة ألف دينار تحمل لبيت المال[٣] فاستولى على أذربيجان سنة (٣١١هـ/٩٢٣م) وعلى الري وهمذان[٤].

وفي سنة (٣١٣هـ/٩٢٥م) استقدم ابن أبي الساج إلى العاصمة لقتال القرامطة، وقتل في حروبه معهم[١].

ويعد استقدام ابن أبي الساج بداية الخلل في الأقاليم الشرقية فحينما بلغه كتاب الوزير الخصيبي يأمره بمحاربة القرامطة كتب إليه: "أنا في ثغر أعظم من ثغور الروم، بإزاء سد أحصن من سد يأجوج ومأجوج، وإن أخللت به انفتح منه أعظم من أمر القرمطي. ولم يؤمن أن يكون سبباً لزوال المملكة في سائر النواحي". ولما وصل كتابه أخذ الكتاب يتضاحكون ويقولون: "في أي ثغر ، ومن بإزائه إلا الديلم، وإنما هم أكرة، ولكنه يريد ترفيه نفسه، والخلاف على

---

(1) الصولي، أخبار المقتدر، ص٢٠. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٤٤-٤٥. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤٩٢. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣٦٩.

(2) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٤٦-٤٩. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٩٩-٢٠٣. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤٩٣-٤٩٤. النويري، نهاية الأرب، ج٢٣ص٤٦-٤٧.

(3) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٧١. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٨٢-٨٣. الهمذاني، التكملة، ج١ص٢٩. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٢١٩.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج٧ص١٥-١٦.

السلطان"[2]. ولم تمض ثلاثون سنة حتى دخل البويهيون بغداد. واعتبر علي بني عيسى استقدامه خطأً سياسياً فادحاً، وكان يرى ضرورة عودته إلى بلاده[3].

بدأ خطر الديلم بالظهور قبل مقتل ابن أبي الساج. لكن وجود السامانيين كان يحد من ظهورهم وتوسعهم. وأول من ظهر منهم ليلي بن النعمان من قواد الأطروش، استعمله الداعي الحسن بن القاسم على جرجان سنة (٣٠٨هـ/٩٢٠م) ثم استولى على نيسابور، وقتل في حروبه مع السامانية سنة (٣٠٩هـ/٩٢١م)[4].

واجتمع الديلم على رجل منهم يدعى ماكان بن كاكي من قادة أولاد الأطروش فبسط سيطرته على استراباذ وجرجان سنة (٣١٠هـ/٩٢١م)[5]، وكان من قواده أسفار بن شيرويه فتركه والتحق بوالي نيسابور بكر بن محمد بن اليسع من قواد السامانية حتى وفاته سنة (٣١٥هـ/٩٢٧م)، فولى نصر بن أحمد أسفار بن شيرويه جرجان وتمكن بمساعدة مرداويج بن زيار الديلمي من السيطرة على طبرستان مما جعلهما يقفان بمواجهة الزيدية بقيادة الداعي الحسن ابن القاسم الذي بسط نفوذه إلى الري وقزوين وزنجان وأَبْهَر، فتمكنا من قتل الداعي والسيطرة على طبرستان وجرجان باسم نصر بن أحمد الساماني سنة (٣١٦هـ/٩٢٨م)[6].

---

(1) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٢٤. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٧٣-١٧٥. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص٣٢-٣٤.

(2) التنوخي، النشوار، ج٨ص٣٢٢-٣٢٣.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٥٣.

(4) ن.م.، ج١ص١٦١. مجهول، العيون،ج٤ق١ص٢٣٤. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص٣-٤. ماديلونغ، أخبار أئمة الزيدية، ص٣٥.

(5) ابن الأثير، الكامل، ج٧ص٦-٧. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣٨١-٣٨٢.

(6) التنوخي، النشوار، ج٨ص٣٢٣-٣٢٤. وانظر، الأصفهاني، تاريخ سني، ص١٥٧. ماديلونغ، أخبار أئمة الزيدية، ص٣٥.

أخذ أسفار بن شيرويه بالتوسع فاستولى على الري وقزوين وزنجان وأبهر وقم والكرج وعظمت جيوشه فلما شعر بقوته خرج على سيده الساماني[1].

والظاهر أن الخلافة كانت تنظر بقلق إلى التطورات في الأقاليم الشرقية فأرسل المقتدر سنة (٣١٦هـ/٩٢٨م) هارون بن غريب، لمحاربة أسفار بن شيرويه لكنه هزم أمامه[2]. ثم زحف إليه نصر بن أحمد بجيوشه، فراسله أسفار بالصلح بعد أن خوفته حاشيته مغبة محاربته وضمن القيام بأموال الجباية ففرض في الري ديناراً على كل رجل سواء أكان من أهل البلاد أم من المجتازين لها فحُصل له مال عظيم أرضى ببعضه نصر بن أحمد وتدبر أمره بالباقي فكثر جنده. ثم قصد قزوين لتأديب أهلها لوقوفهم إلى جانب هارون بن غريب وسلط الديلم على أموالهم وأنفسهم حتى خرج الناس إلى المصلى يستغيثون من ظلمه فخرج عليه مرداويج ابن زيار وقتله سنة (٣١٦هـ/٩٢٨م)[3].

تولى مرداويج بن زيار أمر الديلم وقادهم فملك قزوين وأحسن إلى أهلها، ثم سيطر على الري وهمذان وكنكور والدينور وقم وقاشان وأصبهان، ثم أخضع جرجان وطبرستان[4]. واستولى مرداويج على بلاد الجبل إلى حلوان وما وراء همذان ولم تستطع جيوش الخلافة أن تقف أمام توسعاته[5]. فأرسل سنة (٣١٩هـ/٩٣١م) للمقتدر يطلب أن يقاطع على الأعمال التي

---

(1) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٣٧-١٣٨. وانظر، الأصفهاني، تاريخ سني، ص١٧٥. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٦١. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص٤٣-٤٤.

(2) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٣٧-١٣٨. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٦١.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٦١-١٦٢. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٢٣٤-٢٣٥. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص٤٤-٤٦. القرماني، أخبار الدول، ج٢ص١٣٩.

(4) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٦٢-١٦٣ و٢٧٥-٢٧٦. الهمذاني، التكملة، ج١ص٥٢. ابن الأثير، الكامل،ج٧ص٤٧. القرماني، أخبار الدول، ج٢ص٤٤٣-٤٤٤.

(5) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٦٢. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص٦٥-٦٧. الذهبي، دول الإسلام، ج١ص١٤١. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣٨٣-٣٨٤.

غلب عليها[١]. وفي سنة (٣٢٠هـ/٩٣٢م) أنفذ إليه الخليفة بالعهد واللواء والخلع، وعقد له على أذربيجان وأرمينيا وأرّان وقم ونهاوند وسجستان[٢].

يعد مرداويج بن زيار أهم قواد الديلم وأقواهم ممن ظهروا في الأقاليم الشرقية، وكان يطمح إلى رد دولة العجم وإبطال دولة العرب[٣]، وأن يملك بغداد، وأن يعمر إيوان كسرى ويعد له منزلاً، ويعاد كهيئته قبل الإسلام. وصاغ لنفسه تاجاً مرصعاً بالجوهر كصفة تاج كسرى[٤]. كما صنع سريراً من ذهب ليجلس عليه، وآخر فضة ليجلس عليه أكابر قواده. وإذا جلس على السرير وقف عسكره بعيداً عنه، ولا يخاطبه إلا الحاجب ولم يكن يجسر أحد على الاقتراب منه فخافه الناس والجند خوفاً عظيماً[٥]. وقتل سنة (٣٢٣هـ/٩٣٥م) عندما أثار جنده من الأتراك حين أمرهم أن تحط السروج عن الدواب وتجعل على ظهورهم فدخلوا عليه الحمام وقتلوه[٦].

ورغم بطش وظلم مرداويج إلا أن يوم دخول تابوته الري كان يوماً مشهوداً لم ير مثله إذ أن الجيل والديلم ساروا حفاة لعدة أميال، وعلق أحد خدمه قائلاً: "لم أر قط عسكراً هلك صاحبه، فوفى له رجاله وجنده بغير درهم ولا دينار ذلك الوفاء". واختار الديلم أخاه وشكمير خلفا له[٧].

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٣٠٥.

(2) الذهبي، تاريخ الإسلام (٣١١-٣٢٠هـ)، ص٣٩٤. ابن خلدون، العبر، ج٢ص٥-٦. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣ص٢٦٣.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٣١٣-٣١٤. ميتز، الحضارة الإسلامية، ج١ص٥١.

(4) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٣١٧.

(5) ن.م.، ج١ص١٦٢-١٦٣. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص٤٧.

(6) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٣١٣-٣١٤. الكرديزي، زين الأخبار، ص٣٣. ميتز، الحضارة الإسلامية، ج١ص٥٢.

(7) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٣١٦.

ومن أشهر قادة مرداويج أبو الحسن علي بن بويه فقد كان وأخوته من أتباع ماكان ابن كاكي فلما تضعضعت أحواله[١]، انتقلوا للخدمة تحت إمرة مرداويج فقلد علي بن بويه الكرج[٢] وبدأت أحواله تتقدم في حياة مرداويج الذي سعى للتخلص منــه لكن قتلــه حــال دون

ذلك[٣].

وقد أجمل ميور وصف الإضطرابات السياسية في زمن المقتدر ونتائجها إذ فقدت الدولة العباسية ممتلكاتها في الخارج فضاعت إفريقية، وأوشكت مصر أن تضيع، واستقل أمراء بني حمدان بالموصل، واستطاع البيزنطيون أن يشنوا غاراتهم المتصلة على الحدود التي ضعف الدفاع عنها"[٤].

كما أثرت هذه الإضطرابات سلباً على مالية الدولية فالقرامطة الذين كان يرافقهم القتل والسلب، أثروا سلباً على السواد[٥]. كما أنفقت الدولة مبالغ طائلة على حربهم، فقد أوصل ابن الفرات سنة (٣١٢هـ/٩٢٤م) لياقوت وابنيه محمد والمظفر أموالاً عظيمة للاستعانة بها[٦]. وفي سنة (٣١٤هـ/٩٢٦م) سلم الخصيبي لابن أبي الساج معظم أموال جباية المشرق بما فيها ضمانه على أرمينيا وأذربيجان للاستعداد لحرب القرامطة[٧]. وكلــف خروج جيــوش الخلافة بقيادة نصر الحاجب ومؤنس الخادم سنة (٣١٤هـ/٩٢٦م) مليون دينار[٨].

---

(1) ن.م.، ج١ص٢٧٧. الهمذاني، التكملة، ج١ص٨٥. ابن العبري، تاريخ الدول، ص١٦١.

(2) التنوخي، النشوار، ج٨ص٣٢٤. الذهبي، تاريخ الإسلام (٣٢١-٣٣٠هـ)، ص١٢.

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٦٥-٣٠٢.

(٢) Muir, The Caliphate, P567.

(٣) الأصفهاني، تاريخ سني، ص١٥٥.

(٤) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٢٢.

(٥) ن.م.، ج١ص١٤٧-١٤٨

(٦) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٢٤. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٢٤٠. الذهبي، تاريخ الإسلام (٣١١-٣٢٠هـ)، ص٣٦٥. ابن كثير، البداية، ج١١ص١٦١.

وفي سنة (٣١٥هـ/٩٢٧م) خصص علي بن عيسى كافة إمكانيات الدولة لحرب القرامطة [١].

وكلف إعادة فتح فارس (٢٩٧-٢٩٨هـ/٩٠٩-٩١٠م) أكثر من أربعة ملايين دينار [٢]. وخصص خراج مصر لعدة سنوات لمواجهة خطر الفاطميين، بالإضافة إلى ما استخرجوه من أموال النواحي المجاورة لمصر [٣]. وكان الكثير من مال خراج مصر لم يصل إلى العاصمة منذ سنة (٣١٥هـ/٩٢٧م) [٤] فضلاً عن خطر الديلم الذي بدأ منذ سنة (٣٠٨هـ/٩٢٢م) [٥] وتغلبهم على معظم مناطق الأقاليم الشرقية [٦].

وبالتالي لعبت الأوضاع السياسية المضطربة دوراً كبيراً في إضعاف مالية الدولة سواءً لتجهيز الجيوش، أو انقطاع الأموال الواردة إلى الحضرة بسبب ظهور المتغلبة.

كما تركت الاضطرابات السياسية آثارها السلبية على العاصمة حيث كثر شغب الجند والعامة، والتجرؤ على مقام الخلافة، وشتم الخليفة علانية لدرجة أن العامة طالبت بتنحية المقتدر ليقعد مقعده من يحسن أن يسوس ويدبر [٧].

واستغل العيارون والمتشبهة بالجند تهديد القرامطة لبغداد سنة (٣١٥هـ/٩٢٧م) فسلبوا العاصمة ونهبوها، فأمر علي بن عيسى نازوك بالتطواف صباح مساء، وأن يضرب عنق من

---

(٧) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٨١.
(٨) الصولي، أخبار المقتدر، ص١١٦.
(3) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٨٠. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٠٧-١٠٨.
(4) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٢٧.
(5) ن.م.، ج١ص١٦١. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٢٣٤. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص٣-٤
(6) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٢٧.
(7) الأصفهاني، تاريخ سني، ص١٥٤ و١٥٨-١٥٩. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٨٢.

يظهر منهم حتى ارتدع الناس[١]. وفي سنة (٣١٨هـ/٩٣٠م) هجم الأعراب على بغداد، ونهبوا ثياب الناس وأمتعة التجار، فأمر محمد بن ياقوت بعدم فتح أبواب الدروب إلا بعد طلوع الشمس[٢].

وكثيراً ما كان الجند ينضمون للعامة في أعمال الشغب، ففي سنة (٣١٥هـ/٩٢٧م) هجم الفرسان على دار الخلافة وأحرقوا قصر الثريا وانتهبوا خزائنه وخربوا القبة والقصر المعروف بالأترجة والكوكب وسلبوا ما فيه من آلة ومتاع ووحش[٣]. ولما قتل ابن أبي الساج ثار العامة والحجرية[٤].

وفي سنة (٣١٦هـ/٩٢٨م) شغب العامة وانضم إليهم خلق من دار الخلافة فأخربوا وأحرقوا الحسبانات الموجودة في ديوان بادوريا[٥].

وفي سنة (٣٢٠هـ/٩٣٢م) شغب الفرسان وانضم إليهم الهاشميون فأحرقوا الطيارات والحراقات، وتعرضت دار الوزير للنهب[٦].

أخذ المقتدر بعد النصف الأول من حكمه -يفكر بالاستقلال بقراراته بشكل كامل، وبدأ بالتململ من نفوذ مؤنس الخادم الذي كاد أن يطغى على شخصية الخليفة، ووجد المقتدر مبتغاه بمحاولات ابن الفرات سنة (٣١١هـ/٩٢٣م) بالتخلص من كل من له نفوذ وتأثير في دار

---

(1) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٦٩.
(2) الأصفهاني، تاريخ سني، ص١٥٧. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٥٧-١٥٨.
(3) الأصفهاني، تاريخ سني، ص١٥٤.
(4) ن.م.، ص١٥٤.
(5) ن.م.، ص١٥٥.
(6) ن.م.، ص١٥٩.

الخلافة وعلى رأسهم مؤنس الخادم[١] ونصر الحاجب وشفيع اللؤلؤي[٢]. وقد أيد المقتدر مثل هذه التوجهات[٣].

هذه الأعمال لا بد أنها أثارت حفيظة الجيش والحاشية فاستغلوا تضعضع وزارة ابن الفرات الثالثة بسبب السياسة القاسية التي اتبعها المحسن بن علي بن الفرات مع خصومه، والمبالغة في إيذائهم، بالإضافة إلى مهاجمة القرامطة لقوافل الحجاج سنة (٣١٢هـ/٩٢٤م) فـ "انقلبت بغداد وطرقها في الجانبين، وخرجت النساء حفاة منشّرات الشعور مسودات الوجوه يلطمن، ويصرخن في الشوارع، وانضاف إليهن حرم المنكوبين الذين نكبهم ابن الفرات"[٤]، مما أربك العاصمة وظهر عجز الوزير عن السيطرة على الأوضاع، واستغل نصر الحاجب الوضع وتطاول على الوزير أمام الخليفة. فاستدعى الموقف استقدام مؤنس من الرقة، وأظهر ابن الفرات التذلل والخضوع أمامه، مما شجع الحاشية والجند على المطالبة بقتل ابن الفرات وابنه سنة (٣١٢هـ/٩٢٤م) فقبض عليهما وسجنا ثم قتلا[٥].

يظهر أن مؤنس ارتفع شأنه من جديد عندما أشار على المقتدر باستيزار أبي القاسم الخاقاني. ورغم معارضة الخليفة فقد تم الأمر بمساعدة نصر الحاجب وهارون بن غريب[١].

وكان الوزير الجديد وبالاً على الخلافة والوزارة معاً، فمن خلال سياسته وتدابيره زاد من إرباك الدولة[٢]. وبحرصه على منصبه زعزع هيبة الوزراة حيث أشار على مؤنس الخادم

---

(1) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١١١-١١٢. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١١٥-١١٦. الصابي، الوزراء، ص٥٢-٥٣. الهمذاني، التكملة، ج١ص٤٢.

(2) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١١٣. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١١٧. الصابي، الوزراء، ص٥٤-٥٦.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٣٥.

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٢١.

(٢) الصولي، أخبار المقتدر، ص٢٠٠. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٢٦-١٢٧. الصابي، الوزراء، ص٦٨. وانظر Bowen, Ali b. Isa, P. 239-240.

ونصر الحاجب باستخدام الجيش في القضاء على خصمهم المشترك ابن الفرات وابنه[٣]. وهكذا ساهم الوزير بدافع خبثه، وقصر نظره، وجهله، بإضعاف دور الوزارة، وأفسح المجال لتدخل الجيش في إدارة الدولة، وتحكمه في الوزارة[٤].

ساهم تحاسد الوزراء وسعيهم ضد بعضهم في إفشال مساعي الخليفة للتخلص من سيطرة مؤنس الخادم. وأيقن أنه لا يستطيع الإعتماد على المؤسسة الإدارية في تحقيق مساعيه، خاصة وأن مؤنس الخادم –بعد مقتل ابن الفرات– ازداد نفوذاً، واستطاع أن يدعم سلطته بواسطة الجيش، الذي أصبح يأتمر إلى حد كبير بأوامر قادته من الأتراك وغيرهم[٥] ويبدو أن المقتدر ضاق ذرعاً لهذا الوضع ففي سنة (٣١٥هـ/٩٢٧م) وردت الأنباء على مؤنس الخادم بمحاولة المقتدر التخلص منه أثناء خروجه إلى الثغر[٦].

يبدو أن المقتدر حاول أن يتقوى ببعض فرق الجيش، كما حاول إيجاد شخصية بديلة لمؤنس على قيادة الجيش[٧]، تمثلت بهارون بن غريب الخال. ربما كان لعلاقة القرابة دور في اختياره[٨]، بالإضافة إلى سوء علاقته بمؤنس الخادم[٩]، وبالتالي فربما كان لما أشيع عن رغبة

---

(٣) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٢٧. الهمذاني، التكملة، ج١ص٤٤. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٢٢٥-٢٢٦. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص١٩.

(٤) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٢٧. الصابي، الوزراء، ص١٣٩-١٤٠.

(٥) الصولي، أخبار المقتدر، ص٢٠٠-٢٠١. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٣٦-١٣٨. الصابي، الوزراء، ص٦٨-٦٩.

(٦) السامرائي، المؤسسات الإدارية، ص١٥٩.

(١) Muir, The Caliphate, p 568.

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٦٠. الهمذاني، التكملة، ج١ص٥١. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣، ٢٦١-٢٦٢.

(٣) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٣٧-١٣٨.

(٤) الصولي، أخبار المقتدر، ص٧٠. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٤٢.

(٥) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٢٩. الهمذاني، التكملة،ج١ص١٩. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٢٤١.

الخليفة تقليد هارون إمرة الأمراء ما يبرره[١]. لكن مكانة مؤنس الخادم كانت قد تأكدت في الدولة، وأظهرت الأحداث التالية مدى قوته، إذ تركت الشائعات حول إمرة الأمراء الأثر السيئ

لدى مؤنس الخادم وأتباعه فسار إلى باب الشماسية، فأرسل إليه المقتدر وزيره ابن مقلة وابنه أبا العباس لتسكينه. ويبدو أن أطرافاً متعددة كان لها مصالح في إثارة الوضع الذي تأزم بانضمام نازوك وعبدالله بن حمدان لمؤنس الخادم[٢]. فشحن المقتدر دار الخلافة بهارون بن غريب، وأحمد بن كيغلغ، والحجرية وهم مماليك المعتضد المقيمين في حجرات القصر[٣]، وبالرجالة المصافية. إلا أن أكثر من في الدار تبع مؤنساً الخادم سنة (٣١٧هـ/٩٢٩م)[٤]. ثم دارت المراسلات بين الخليفة ومؤنس الخادم في محاولة للوصول إلى حل وسط بدل الصدام الذي كانت تقود إليه أطراف عدة مدفوعة بمصالح شخصية.

ورفع المتذمرون مطاليبهم للمقتدر منكرين عليه تدخل الحرم والخدم في الرأي والتدبير ووجوب طرد السيدة وأختها والحرم من البلاط. وطلبوا منه التقليل من النفقات[٥]، بالإضافة إلى إبعاد هارون بن غريب عن العاصمة[٦]. فسلم المقتدر بمطاليبهم. وبعث برسالة إلى مؤنس

---

(٦) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٣٩. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٨٧. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٢٤١-٢٤٢.

(٧) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٤٠. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٨٨-١٨٩. الهمذاني، التكملة، ج١ص٥٧. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٢٤٢.

(٨) الصابي، الوزراء، ص١٧.

(4) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٤٠. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٨٩. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٢٤٢.

(5) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٤٠-١٤١. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٩٠-١٩٢. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٢٧٩. الذهبي، دول الإسلام، ج١ص١٤٠.

(6) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٩٢.

الخادم مبينا فيها أهميته ومكانته في نفسه وفي الدولة، ومظهراً صفاء نيته[١]. ورغم أن الرسالة تظهر ضعف المقتدر أمام مؤنس الخادم إلا أنها أظهرت إطلاع المقتدر على الوضع بصورة واضحة، وإدراكه للمطامع الشخصية حين قال: "ونازوك فلست أدري من أي شيء عتب، ولا لأية حالةٍ استوحش واضطرب؛ لأني لم ألمه على محاربة هارون بن غريب الخال، ولم أمنعه من الإنتصار منه، والأخذ بثأره عنده، ولا أمرت بمعاونة هارون عليه، ولا قبضت يده عما كانت طويلة إليه، منبسطة فيه، متمكنه منه ولا غيرت له حالاً، ولا حُزت له مالاً، ولا سمع مني ولا بلغه عني ما يسوء موقعه، وينفر منه .... وعبد الله بن حمدان فالذي أحفظه صرفه عن الدينور". وأدرك المقتدر أن الأمور تسير ضده، إذ أكد في رسالته على أن له بيعة في أعناقهم، وإن هم استمروا على ما هم عليه فإنه سيلتزم موقف عثمان بن عفان[٢]. ولما وصلت الرسالة دخل مؤنس بجنده بغداد في أوائل محرم سنة (٣١٧هــ/٩٢٩م) وبعد يومين من دخوله العاصمة خرج مرة أخرى إلى باب الشماسية ومعه عبد الله بن حمدان ونازوك وجميع القواد وقد اتفقوا على خلع المقتدر، وزحفوا إلى دار الخلافة[٣]، فاختفى المقتدر في القصر وتمكن مؤنس من إخراجه مع سائر حرمه إلى داره[٤]، مما يدعو إلى التساؤل عن موقف مؤنس.

أعمل الجند في دار الخلافة سلباً ونهباً، إذ يقول عريب بن سعيد: "ونهب الجند الدار، ومحوا رسوم الخلافة، وهتكوا الحرمة، وصاروا من أخذ الجوهر والثياب والفرش والطيب إلى ما لا قدر"[٥]. كما شمل النهب بيوت العامة في بغداد ودارا هارون بن غريب الخال، وفتحت

---

(1) ن.م.، ج١ص١٨٩-١٩٠.

(2) ن.م.، ج١ص١٩١-١٩٢.

(3) مسكويه، تجارب الأمم ، ج١ص١٩٣.

(4) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٤١. المسعودي، التنبيه، ص٣٧٦-٣٧٧. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٩٣-١٩٤. الأربلي، خلاصة الذهب، ص٢٣٩.

(5) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٤١.

السجون. ثم مضى عبد الله بن حمدان إلى دار ابن طاهر وأخرج محمد بن المعتضد لاستخلافه، وتلقب بالقاهر بالله. وبعد هذه الأحداث ظهر مؤنس الخادم بمظهر صاحب السلطة حيث أخرج علي بن عيسى من السجن، واستوزر للقاهر ابن مقلة، وقلد نازوك الحجبة بالإضافة إلى الشرطة، وأضاف إلى أبي الهيجاء من أعمال طريق خراسان حلوان والدينور وغيرها، وخُلع المقتدر وأشهد على نفسه القضاة[١]. ونتيجة لعدم ثقة نازوك بالمصافية قام باستبدالهم بجنده وأمرهم بقلع خيمهم من دار الخلافة مما جعلهم يتفقون مع الحجرية على المطالبة بالزيادة لمدة ثلاثة أيام. فخرج اليهم نازوك –وهو ثمل– لتهدئتهم فلما رأى أسلحتهم هرب منهم فأطمعهم بنفسه وقتلوه، ونادوا بإعادة المقتدر، فهرب كل من في الدار وقتل عبد الله بن حمدان، وفي هذا اليوم لزم مؤنس داره. ثم سار الجند إلى داره وحملوا المقتدر لإعادته للخلافة بتسليم تام من قبل مؤنس الخادم لهم، والمقتدر في خوف شديد أن يكون في الأمر خدعة[٢].

تذكر بعض المصادر أن مشاركة مؤنس في خلع المقتدر كانت على كره منه إذ وافق على هذا الأمر ظاهراً، واتفق مع المصافية والحجرية على إعادة المقتدر[٣]. وأخذ النويري بهذا الموقف حين قال: "ولولا هوى مؤنس مع المقتدر لكان حضر عند القاهر مع الجماعة، ولكان قتل المقتدر لما طلب من داره ليعاد إلى الخلافة"[٤] بل كان من المفروض أن يقتل بعد خلعه مباشرة.

---

(1) ن.م.، ص١٤٢. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٩٣–١٩٤. الهمذاني، التكملة، ج١ص٦٠–٦١. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٢٨٠.

(١) عريب بن سعيد الطبري، ص١٤٢–١٤٤. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٩٥–١٩٩. الهمذاني، التكملة، ج١ص٦٣. Bowen, Ali b. Isa, p. 284-285.

(٢) عريب بن سعيد الطبري، ص١٤١. المسعودي، التنبيه، ص٣٢٧. ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج١ص٢٥١.

(٣) النويري، نهايةالأرب، ج٢٣ص٨٨–٨٩. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣٨١.

ويبدو أن مؤنساً الخادم خشي ارتفاع شأن نازوك، ووجد في هذا الأمر فرصة للتخلص منه فقد وصف بالشجاعة والبأس، والتصرف في الدولة، وبكثرة غلمانه وأتباعه لهذا كان يرى أنه متى وافقه على خلع المقتدر زاد تحكمه، فأجابه ظاهراً[١].

بقي مؤنس صاحب الأمر والتدبير بعد عودة المقتدر للخلافة[٢]. كما أصبح الخليفة يدين للجيش بعودته للخلافة مما جعله لا يتهاون في طلباتهم، وحاول جدياً جمع المال اللازم لهم[٣] فبذل لهم الأموال الموجودة في الخزائن، حتى نفذت، ثم أخذ ببيع أمتعته، والأواني والكسوة، وبيعت كلها بالنزر اليسير[٤]. ولما لم يفِ هذا بالمطلوب أمر المقتدر بارتجاع ما أقطعه للناس من الضياع[٥] وأطلق المقتدر للجند مجدداً مال البيعة بمقدار ست نوب للراجل مع دينار زيادة وللفارس ثلث رزق مع ثلاثة دنانير زيادة[٦]. وقلد المقتدر بناءً على رغبة مؤنس الخادم ابني رائق الشرطة ومظفر بن ياقوت الحجبة[٧].

---

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام (٣١١-٣٢٠هـ)، ص٣٨٦. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣ص٢٥٦. Bowen, Ali b. Isa, P. 569.

(٥) النويري، نهاية الأرب، ج٢٣ص٨٨-٨٩. ابن خلدوان، العبر، ج٣ص٣٨١.

(٦) الدوري، دراسات، ص٢١١.

(٧) التنوخي، النشوار، ج١ص٢٨٤-٢٨٥. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٤٤-١٤٥. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٩٩-٢٠٠. النويري، نهاية الأرب، ج٢٣ص٨٧-٨٨.

(5) التنوخي، النشوار، ج١ص٢٨٤. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٤٥. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٠٠.

(6) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٤٥. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٩٩.

(7) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٠٢. الهمذاني، التكملة، ج١ص٦٢. الذهبي، تاريخ الإسلام (٣١١-٣٢٠هـ)، ص٣٧٩-٣٨٠.

ومع ذلك استمر شغب الجند ففي سنة (٣١٧هـ/٩٢٩م) وقعت مناوشات بين الرجالة والفرسان وظفر الرجالة. وتجدد شغب الجند في رمضان لعدة أيام متواصلة تعطل من أجله الناس[١].

وفي سنة (٣١٨هـ/٩٣٠م) شغب الفرسان بخلع الطاعة، وطالبوا بأرزاقهم فخاطب المقتدر قوادهم، ووعدهم بإطلاق أرزاقهم فسكنوا[٢]. ثم ثار المصافية الذين زاد تمردهم خاصة بعد أن شعروا أنهم السبب في إرجاع المقتدر للخلافة، وازداد تطاولهم على الخليفة حتى أصبح لا يقدر أن يحتجب عن أحد منهم في ليل أو نهار، ولا يرد عن حاجة كائناً ما كانت، وأدخلوا في الأرزاق أولادهم وأهليهم ومعارفهم وأثبتوا أسماءهم، وأصبحوا يتدخلون في كافة مؤسسات الدولة، حتى كادت الفوضى تنتشر في كل مكان[٣]. وشعر المقتدر أنه لا بد من مواجهة الموقف بحزم وجاءت الفرصة مواتية حين طالب الفرسان بأرزاقهم، فأوضح المقتدر لهم بأن بيت المال فارغ، وأن الأموال انصرفت للرجالة، في محاولة من المقتدر لتقوية موقفه بضرب عناصر الجيش بعضها ببعض، وإثارة التباغض والأحقاد بينهم، وبالفعل هجم الفرسان على الرجالة المصافية، وتمكنوا بمساعدة العامة من الإنتصار عليهم، وإحراق دورهم[٤].

لم يؤدِ ذلك إلى تهدئة الأوضاع، بل زاد قلق الخليفة من الجند في ظل توتر علاقته بمؤنس الخادم، وبدأ الخليفة بالبحث عن حليف جديد ليستطيع مواجهة مؤنس الخادم فوجده

---

(1) الأصفهاني، تاريخ سني، ص١٥٦.
(2) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٠٢. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص٦٢.
(3) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٤٨-١٤٩.
(4) الأصفهاني، تاريخ سني، ص١٥٧. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٤٨-١٥١. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٠٢-٢٠٣. النويري،نهاية الأرب، ج٢٣ص٨٩-٩٠.

بياقوت وابنه محمد[١] وتمكن المقتدر من تعيين محمد على الشرطة بدلاً من ابني رائق[٢]، ثم أضاف إليه الحسبة[٣]، وقلد ياقوتاً الحجبة[٤]. واتجه المقتدر إلى اتخاذ خطوات لإظهار استقلاله بعيداً عن مؤنس فقبض على الوزير ابن مقلة الذي كان على وفاق مع مؤنس الخادم، واختار الحسين بن القاسم للوزارة مستغلاً خروج مؤنس إلى أوانا متنزهاً، ولما علم مؤنس بذلك استاء لانفراد الخليفة بهذا التدبير، وسأله رد ابن مقلة، إلا أن المقتدر اغتاظ من ذلك ورأى في إرجاعه إهانة له فهمّ بقتل ابن مقلة لولا تدخل علي بن عيسى. وكحل وسط اقترح علي بن عيسى للوزارة أخاه عبد الرحمن أو سليمان بن الحسن فاختار الخليفة الأخير لما ظهر من عداوته لابن مقلة وذلك سنة (٣١٨هـ/٩٣٠م)[٥]. والظاهر أن الوزير الجديد لم يكن كفؤاً للقيام بأعباء الوزارة في ظل الظروف الصعبة التي تمر بها الدولة. واستمر شغب الجند في وزارته، وطالب الفرسان بعزل ابن ياقوت عن الشرطة، وياقوت عن الحجبة[٦]، ودام شغبهم عشرة أيام متواصلة، وانضم إليهم جماعة من العامة، فأحرقوا وفتحوا السجون، ثم هجموا على دار الخلافة، ونقبوا سورها سنة (٣١٩هـ/٩٣١م) في بادرة خطيرة [١].

وفي جمادى الآخرة من نفس السنة توالى الحريق في أسواق بغداد، وتفاقم الشغب ابتداءاً من الثاني من ذي الحجة إلى الثالث عشر من الشهر. وفي شعبان ورد خبر هزيمة هارون ابن

---

(1) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٣٣. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٥٧. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣٨٠.

(2) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٤٧. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٠٢. الهمذاني، التكملة، ج١ص٦٢. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص٥٧.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٠٩.

(4) ن.م.، ج١ص٢١٠.

(5) ن.م.، ج١ص٢٠٤. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٢٥١. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص٦٠.

(١) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٥٠. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٠٤–٢٠٥. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٢٥١. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص٦٠.

غريب أمام الديلم فاضطرب الناس، وماجوا خاصة بعد وصول الكثير من اللاجئين والهاربين من الديلم إلى بغداد، وانضمت العامة إليهم، وهجموا على دار الوزير. وفي يوم النحر عندما بلغ الخطيب موضع الدعاء للسلطان وثب عليه العامة وقطعوا الخطبة، وزادت الأوضاع سوءاً بنزول القرامطة في الكوفة فجلا الناس إلى بغداد، واستغل الأعراب اضطراب الأوضاع فعاثوا في السواد[٢].

ولم يستطع ابن ياقوت تحقيق الأمن، وضبط العاصمة إلا بالشدة وسفك الدماء، حتى ارتدع الناس[٣]. وأمام الإضطرابات والفوضى اللذين سادا العاصمة طلب مؤنس الخادم صرف ياقوت وابنه فسلم المقتدر بطلبه على مضض. ثم وصل إلى سمع مؤنس أن ياقوتاً وابنه يدبران لقتله فطلب من الخليفة نفيهما، فرفض المقتدر ذلك وأخبر مؤنساً أن باستطاعته ترك بغداد إن لم يرق له الوضع[٤]. فخرج مؤنس مغاضباً إلى باب الشماسية وانضم إليه ستة آلاف فارس، وسبعة آلاف راجل، وابتاع لهم السلاح. فركب سليمان بن الحسن وعلي بن عيسى في الصلح فحجزتهما حاشية مؤنس، ولما بلغ الامر للمقتدر قلق ورأى أنه لا بد من إخراج ياقوت و ابنه فقلد ياقوتاً أعمال الخراج والمعاون بفارس وكرمان، وقلد ابنه أصبهان، فخُلي سبيل الوزير وعلي بن عيسى، وأحرقت دور ياقوت وابنه[٥].

هدأت الأوضاع مؤقتاً بالتدابير التي تدارك بها المقتدر الموقف، إلا أن مؤنساً رجع إلى ما كان عليه من التحكم، فأسند الحجبة إلى ابني رائق وهما من أضعف أتباعه جانباً، وكان واثقاً

---

(٢) الأصفهاني، تاريخ سني، ص١٥٨.

(٣) ن.م.، ص١٥٧-١٥٨. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٥٧-١٥٨.

(٤) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٥٨.

(٥) Bowen, Ali b. Isa, P. 297-298.

(5) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٥٩-١٦٠. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢١٠-٢١١. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٢٥٢-٢٥٤. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص٦٤.

من طاعتهما، وقلة مخالفتها له[1]. غير أن المقتدر حاول أن يظهر سلطته فصرف سليمان ابن الحسن عن وزارته في (رجب ٣١٩هـ/آب٩٣١م)[2]، وأراد استيزار الحسين بن القاسم فألح مؤنس في تعيين الكلوذاني، فاضطر المقتدر إلى استيزاره ومعه علي بن عيسى مشرفاً على الدواوين[3].

لم يستطع الكلوذاني الإستمرار في وزارته سوى شهرين لاضطراب الأحوال المالية، وشغب الجند فاستقال في آخر رمضان لسنة (٣١٩هـ/٩٣١م)[4].

واستوزر المقتدر –أخيراً– الحسين بن القاسم –وبدون اعتراض من مؤنس– سنة (٣١٩هـ/٩٣١م)[5] واتجه الوزير الجديد إلى تقوية مركزه برفضه مشاركة علي بن عيسى له بالنظر في الأعمال. ويبدو أنه لم يرتح لوجوده في العاصمة فطالب بنفيه إلى مصر أو سوريا فنفي إلى الصافية على نهر دجلة[6] رغم تدخل مؤنس الخادم[7].

قوّى استيزار الحسين بن القاسم من مركز الخليفة خاصةً وأن الوزير استطاع كسب الرجالة إلى جانبه بعد صرفه لرواتبهم، وتمكن من إثارتهم على يلبق –نائب مؤنس على قيادة الجيش، والإقامة في دار الخلافة وكان صاحب الأمر والنهي بعد مؤنس[8]– وعزله[1]. ويبدو أن مؤنساً شعر بالخطر يهدد مكانته وسلطته، فراسل الخليفة طالباً صرف الحسين بن القاسم عن

---

(1) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٦٥. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢١١.

(2) عريب بن سعيد، صلة الطبري ، ص١٦١. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢١١. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص٦٤. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣٧٥.

(3) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ج١ص٢١٢. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص٦٤. النويري،نهاية الأرب، ج٢٣ص٩٣.

(4) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٦٤. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢١٩. الهمذاني، التكملة، ج١ص٦٤. النويري، نهاية الأرب، ج٢٣ص٩٥.

(5) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٦٤. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢١١.

(6) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣ص٣٨٩.

(7) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢١٩-٢٢١.

(8) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٦٦.

الوزارة ونفيه، فأجاب الخليفة إلى صرفه، ولم يجب إلى نفيه. عندئذ أوقع الوزير في نفس المقتدر سعي مؤنس لنقل الخلافة إلى ولده أبي العباس، والخروج معه إلى مصر والشام. ثم استدعى الوزير هارون بن غريب الخال ومحمد ابن ياقوت إلى العاصمة، بالإضافة إلى بعض القوات من الثغور[٢]، ليقوى أمر المقتدر. كما أعلن الخليفة الرضا عن الرجالة الذين غضب عليهم ووعد بزيادة رزقهم ورزق الفرسان[٣].

أمام هذه التطورات خرج مؤنس الخادم إلى الشماسية بثمانمائة من جنده وأتباعه[٤] وخروجه بهذا الشكل كان ينبئ عن ضعف موقفه ويبدو أن مؤنساً شعر بذلك في البداية فراسل الخليفة في الصلح غير أن رسوله أهين وصودر بأمر من الحسين بن القاسم، وقبض على أملاك مؤنس وضياعه وضياع أتباعه. وقد لقيت إجراءات الوزير ارتياحاً لدى المقتدر فلقبه بعميد الدولة، وضرب لقبه على السكة[٥]. فخرج مؤنس من بغداد يريد الموصل سنة (٣٢٠هـ/٩٣٢م) ظناً منه أنها أنسب مكان له، لثقته ببني حمدان. إلا أن بني حمدان رفضوا عصيان الخليفة، وطالبوا مؤنساً بالعدول عنهم، فلم يأبه بهم، وقاتلهم وتمكن من هزيمتهم وهم في ثلاثين ألف مقاتل[٦].

بعد هزيمة بني حمدان تمكن مؤنس ببراعة من تحسين وضعه. فبعد سيطرته على الموصل، أخذ يتصرف كصاحب سلطة حين قلد يلبق نصيبين، ويانس المؤنسي جزيرة ابن عمر

---

(1) ن.م.، ص١٦٥-١٦٦. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص٧١-٧٢.
(2) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٦٦-١٦٧.
(3) ن.م.، ص١٦٦.
(4) ن.م.، ص١٦٨. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٣٣.
(5) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٦٨. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٢٣. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص٦٨-٦٩. ابن العبري، تاريخ الدول، ص١٥٧.
(6) عريب بن سعيد، صلة الطبري ، ص١٧٤. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٣٣-٢٣٤.

وأبا عبيد الله بن خفيف الحديثة فلفت إليه أنظار الجند في بغداد فأخذوا بالقدوم عليه(١). كما قدم عليه من أرزن بدر الخرشني بثلاثمائة جندي، والسبكري من حلب بأربعمائة فارس(٢).

وساهم مؤنس في اضطراب الأوضاع في بغداد بعد أن قطع وصول المؤن إليها(٣) مما أدى إلى أعمال شغب، وعجز الوزير الحسين بن القاسم عن تدبير الناحية المالية فأمر الخليفة بالقبض عليه في ربيع الآخر لسنة (٣٢٠هـ/٩٣٢م) وعين مكانه الفضل بن جعفر(٤).

حاول الوزير الجديد احتواء الوضع بمراسلة مؤنس الخادم بالقدوم إلى بغداد، ورغّبه في الصلح. ومال مؤنس إلى هذا التوجه، وراسل المقتدر بقوله: "لست بعاص لأمير المؤمنين. ولا شققت عصاه، وإنما تنحيت عنه لمطالبة أعدائي لي عنده، وقد جئت إلى بابه برجاله، وليس مذهبي الفتن، ولا إراقة الدماء"(٥). وسر المقتدر بذلك، ورغب في الصلح إلا أن حاشيته وعلى رأسها محمد بن ياقوت وابني رائق ومفلح الأسود ممن كان يكره مؤنساً ودفعوا الخليفة للحرب، وأشاروا عليه لكسب الجند أن يوزع المال عليهم(٦).

فقدت توجهات الفضل بن جعفر تأثيرها تماماً على الخليفة أمام ضغط الحاشية التي كانت في الواقع ترغب في الحفاظ على مصالحها، وتخشى من عودة مؤنس الخادم وخرج المقتدر للحرب مكرهاً. وبدا الجيش هو المسيطر على الوضع فلم يستطع المقتدر وفي أحرج الأوقات أن يخالف رغباته إذ أجبروه على النزول إلى أرض المعركة لتقوية قلوب الجند. وقيل

---

(1) عريب بن سعيد، صلة الطبري ، ص١٧٤. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٣٣-٢٣٤.

(2) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص ١٧١-١٧٢ و١٧٥.

(3) ن.م.، ص ١٧٣. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٢٦-٢٢٨

(4) عريب بن سعيد، صلة الطبري ، ص١٧٣. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٢٨.

(5) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص ١٧٤-١٧٥.

(6) ن.م.، ص١٧٥.

أن فلول الجند وصلت الخليفة قبل أن يصل إلى أرض المعركة ثم قتل المقتدر[١]، وطاف الجند برأسه وهم يهللون ويكبرون وتركت جثته بالعراء مجردة[٢]. ويشير المسعودي إلى أن المقتدر هو الوحيد الذي قتل من بين سائر من كان معه[٣]، بل توحي بعض الروايات بأن رأس المقتدر هو المطلوب[٤]. ويبدو أن الجند أسلموا المقتدر للقتل.

بعد مقتل المقتدر ظهر مؤنس صاحب السلطة فقد اختار القاهر الخليفة الجديد[٥]، وأحاطه بالمقربين منه فعلى الوزارة ابن مقلة، وعلى الحجبة علي بن يلبق[٦]. كما انحلت مؤسسات الدولة أمام قوة وضغط الجيش وانخرقت هيبة الخلافة مما أطمع المتغلبة بالحضرة[٧]، وفقد الخليفة مع الزمن سلطاته السياسية لأمراء الجيش، ولم يعد يتعدى كونه رمزاً دينياً[٨].

---

(1) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٣٥. الهمذاني، التكملة، ج١ص٦٩. ابن كثير، البداية، ج١١ص١٨٠-١٨١.

(2) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص ١٧٩-١٨٠. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٣٧. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٣٠٨-٣٠٩. ابن العبري، تاريخ الدول، ص١٥٧.

(3) المسعودي، التنبيه، ص٣٢٨. وانظر عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص ١٧٨.

(4) المسعودي، مروج الذهب، ج٤ص٣٢٤. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٣٧. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٣٠٨.

(5) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص ١٨٠-١٨١. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٤١-٢٤٢. الهمذاني، التكملة، ج١ص٧٠-٧١. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٣٠٩.

(6) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص ١٨٣. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٤٢

(7) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٣٧. الهمذاني، التكملة، ج١ص٧٠.

(8) ابن العماد، شذرات الذهب، ج٢ص٤٨٤.

الفصل الثالث

الوزارة

- اختيار الوزراء ومؤهلاتهم
- مسؤوليات الوزير
- تراجع الوزارة

اختيار الوزراء ومؤهلاتهم:

كان اختيار الوزراء يقع على عاتق الخليفة. وقد مارس المقتدر هذا الحق إلا أن اختياره تأثر نسبياً بالاوضاع السياسية والمالية، وبتدخلات الحرم والحاشية، بالإضافة إلى ضغط الجند.

كان اختيار ابن الفرات للوزارة سنة (٢٩٦هـ/٩٠٨م)[١] أمراً طبيعياً ليس لكفاءته فحسب، بل لأنه الوحيد من الكُتاب الكبار الذي لم يشارك في فتنة ابن المعتز[٢]. إلا أن بوادر الأزمة المالية التي بدأت بالظهور في نهاية وزارته وما رافقها من قصور المواد، وشغب الجند أدت إلى عزلــه سنة (٢٩٩هـ/٩١١م)، وإلى اختيار أبي علي محمد بن عبيدالله الخاقاني للوزارة[٣] بعناية دستنبويه أم ولد للمعتضد[٤].

كان لأبي علي الخاقاني خبرة في أعمال الدواوين إذ تقلد ديوان الخراج والضياع في وزارة الحسن بن مخلد سنة (٢٦٣هـ/٨٧٧م)، ثم تقلد نفقات أبنية المعتمد (٢٥٦-٢٧٩هـ/٨٧٠-٨٩٢م)، وفي وزارة عبيد الله بن سليمان (٢٧٧-٢٨٨هـ/٨٨٠-٨٩٠م) تولى البريد، ثم ضمه الوزير إلى محمد بن داود الذي قلده الإنشاء، ولما تقلد محمد بن داود ديوان الجيش نقله إليه[٥]. هذه الخبرة الطويلة لأبي علي الخاقاني في الدواوين لا تتوافق مع ما ظهر من فساده وجهله عند تولي الوزارة، وإضعافه لهيبة الوزراء بتقربه للعامة[٦]، وضعف لغته

---

(١) الصولي، أخبار المقتدر، ص٧٤.

(٢) Bowen, Ali b. Isa, p101.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٧٥. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٣٦. مسكويه، تجارب الامم، ج١ص٢٠. الصابي، الوزراء، ص٣٣-٣٤.

(٤) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٥١. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٣٧. الصابي، الوزراء، ص٢٨٧-٢٨٨.

(٥) الصابي، الوزراء، ص٢٨٤. الهمذاني، التكملة، ج١ص١١.

(٦) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٥٥-١٥٦. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٤. الصابي، الوزراء، ص٣٠٠. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٥٨.

بتقصده السجع المتكلف الذي لا معنى لـــه[١]. وعندما وصل إليه كتاب تكين والي مصر سأل الحاضرين مَن تكير عبد أمير المؤمنين، فقيل لـــه : تكين والي مصر، فقال: قصر الكاتب النون. مثل هذه المواقف جعلته مادة للتندر، كما هجاه الشعراء[٢]. في المقابل كان الصولي يرى أنه داهية خبيثاً[٣]. وظهر دهاؤه عندما استطاع صرف ابن أبي البغل عن الوزارة[٤]، وحين استطاع تخليص نفسه من التزويرات التي نسبت إليه بعد عزله[٥].

إن الفساد الذي ظهر في وزارة أبي علي الخاقاني دفع المقتدر إلى استشارة ابن الفرات في شؤون الدولة حتى أشيع بأن المقتدر سيستوزره، مما دفع مؤنس الخادم إلى ترشيح علي بن عيسى مذكراً بكفايته وديانته وأمانته فقدم من منفاه في مكة إلى بغداد وزيراً سنة (٣٠١هـ/ ٩١٣م)[٦].

حاول علي بن عيسى إصلاح ما أفسده سلفه بتقليل النفقات، وإسقاط الزيادات، فأوحش بذلك خواص المقتدر وشرع بالإستعفاء من الوزارة خاصةً بعد توتر علاقته مع أم موسى القهرمانة[٧]. واستغل خواص ابن الفرات تضعضع وزارة علي بن عيسى فسعوا لـــه بالوزارة متخذين تدهور الأوضاع المالية ذريعةً، إذ تكفل ابن الفرات بكافة النفقات بالإضافة إلى ألف

---

(١) الصابي، الوزراء، ص٣٠١. الهمذاني، التكملة، ج١ص١٢.

(٢) مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٧٠.

(٣) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٦٣. وانظر عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٣١. الصابي، الوزراء، ص٣٠٤.

(٤) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٤٠. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢١. الصابي، الوزراء، ص٢٩٤-٢٩٤. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٥٨.

(٥) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٦٢. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٣١-٣٢. الصابي، الوزراء، ص٣٠٢-٣٠٤. الهمذاني، التكملة، ج١ص١٣.

(٦) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٥٩. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٥-٢٦. الصابي، الوزراء، ص٣٠٥.

(٧) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٨-٢٩. الصابي، الوزراء، ص٣٠٧-٣١٠. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص١٦٦.

وخمسمائة دينار يومياً للمقتدر والسيدة والأمراء. وتزامن هذا مع خروج مؤنس الخادم إلى مصر، وقيام غريب الخال ونصر الحاجب بأمر ابن الفرات، فتم عزل علي بن عيسى سنة (٣٠٤هـ/٩١٦م) وتولى ابن الفرات الوزارة للمرة الثانية(١).

أصبحت الوزارة في زمن المقتدر تتداول في الغالب بين هاتين الشخصيتين اللتين تمثلان تيارين متنافسين، وقد كانت المنافسة بينهما واضحة فابن الفرات معروف بكفايته بأعمال الخراج والحساب، وجباية المال، وببلاغته(٢). وكان علي بن عيسى يجمع إلى كفايته، الزهد، والديانة، وعفة اليد، ويمتاز ببلاغته وحسن خطه اللتين تفوق بهما على ابن الفرات(٣).

عجز ابن الفرات عن الوفاء بما تعهد به، بالإضافة إلى عجزه عن تأمين أرزاق الجند. فأشار كاتبه ابن جبير بالإستعانة بحامد بن العباس لغناه، وكثرة أمواله لكونه من كبار الضُّمان، فقبل ابن الفرات كارهاً. إلا أن حامداً خشي على نفسه فسعى بطلب الوزارة بدعم من نصر الحاجب الذي أطمع المقتدر بما لديه من مال(٤).

ومنذ اشتداد المطالبات على ابن الفرات، وعجزه عن القيام بها أخذ المقتدر بمراسلة علي بن عيسى وهو في الحبس لتولي الوزارة. ولما رفض طلب منه ترشيح من يصلح لها فقال: "الوزارة محتاجة إلى كاتب مُمشٍ للأمور، عارف بسياسة الجند... وما أعرف من أذكره

---

(١) الصابي، الوزراء، ص٣٥-٣٦. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٨٢-١٨٣. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤٩٢. النويري، نهاية الأرب، ج٢٣ص٤٤.

(٢) الصابي، الوزراء، ص٩٨. ابن كثير، البداية، ج١١ص١٦٢. الجاجرمي، نكت الوزراء، ص٧٢.

(٣) ابن النديم، الفهرست، ص١٦١. الصابي، الوزراء، ٩٨. ابن الأبار، إعتاب الكتاب، ص١٨٦. الجاجرمي، نكت الوزراء، ص٧٦-٧٧.

(٤) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٥٦-٥٨. الصابي، الوزراء، ص٣٧-٣٩. الهمذاني، التكملة، ج١ص١٩-٢٠. ابن الاثير، الكامل، ج٦ص٤٩٩.

اقتضاباً من غير رَوِيّة ولكن أنظِروني"[١]. إلا أن المقتدر عرض عليه ثمانية مرشحين ليقول رأيه فيهم، وتحديداً حامد بن العباس المرشح بقوة لهذا المنصب. فقال علي بن عيسى عنه: "عاملٌ يصلح لعمارةٍ، وحفظِ إرتفاع، وما الوزارة من عمله، ولا سياسة المُلك والرجال، وتدبير الأمور مما يعرفه"[٢].

يعتبر حامد بن العباس من كبار الضُّمان وأقدمهم في الدولة، وبرز على يد صاعد بن مخلد الذي قدمه للموفق[٣] (توفي سنة ٢٧٩هـ/٨٩٢م)، وبقي يتضمن الأراضي في السواد والبصرة وكور دجلة[٤] وفارس[٥] منذ تلك الفترة حتى خلافة المقتدر[٦]. وعندما تولى الوزارة سنة (٣٠٦هـ/٩١٨م) ظهر جهله بأمور الوزارة وقلة خبرته فكان يتحدث إلى الناس ويضاحكهم ويقوم لهم، مما دفع بحاجبه إلى نصحه بضرورة الإلتزام بهيبة ووقار الوزراء. فأجابه حامد: "تعني أن الوزير يلبس ويقوم ويقعد، ولا يقوم لأحد ولا يضحك في وجه أحد. فأجابه: نعم فقال حامد: "إن الله أعطاني وجهاً طلقاً، وخلقاً حسناً، وما كنت بالذي أُعبس وجهي، وأقبح خلقي لأجل الوزارة"[٧]. وجمع حامد إلى هذا سفاهة اللسان وحدة الطبع مما يترفع عنه العوام[٨]. وكان يهمل كتب الخليفة وأوامره المستعجلة إليه إلى أن ينهي ما بدأه من حديث والكتاب يتعجبون منه[٩]. أين هذا من الهيبة التي كان يضفيها ابن الفرات وعلي بن عيسى على الخلافة والوزارة

---

(١) مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٩٣-١٩٤. وانظر الصابي، الوزراء، ص٣٧٤-٣٧٥. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص١٨٠. ابن الأبار، إعتاب الكتاب، ص١٨٨.

(٢) الصابي، الوزراء، ص٣٧٤-٣٧٥. مجهول، العيون، ج٤ص١٩٣-١٩٤.

(٣) التنوخي، النشوار، ج٨ص١٠٤.

(٤) الصفدي، الوافي، ج١١ص٢٧٤-٢٧٥.

(٥) التنوخي، النشوار، ج٨ص١١٤. الصابي، الوزراء، ص٩٥.

(٦) التنوخي، النشوار، ج٨ص٦٣-٦٤.

(٧) النويري، نهاية الأرب، ج٢٣ص٥٣.

(٨) التنوخي، النشوار، ج٨ص٨٥-٨٨.

(٩) الهمذاني، التكملة، ج١ص٢٠.

فما إن يرى ابن الفرات خاتم الخلافة حتى يقف لـــه إجلالاً[١]. وما رؤي علي بن عيسى إلا بكامل لباس الوزارة متسماً بالجد والوقار في كل أحواله[٢].

لما ظهر من حامد بن العباس عجزه وجهله ضم المقتدر إليه علي بن عيسى لمساندته لتكون له الوزارة فعلاً ولحامد اسماً[٣]، فاستقل علي بن عيسى بالتدبير والأمر والنهي وعاد إلى سياسته في تقليص النفقات، وإسقاط الزيادات مما أدى إلى تحريك الخاصة والعامة عليه[٤]. وسعى المحسن بن علي بن الفرات لأبيه بالوزارة[٥]، وتضمن ابن الفرات أن يدفع خمسة أضعاف ما دفعه حامد، وندد بجهله وأنه لو اجتمع معه سائر من شهر بالكفاية لما كان موضعاً لتدبير المملكة، ولا لضبط الأعمال[٦]. فقبض عليه وعلى علي بن عيسى سنة (٣١١هـ/٩٢٣م) وتولى ابن الفرات الوزارة، وأطلق يد ابنه المحسن في الأمر والنهي فأسرف في الإعتقالات والمصادرات والتعذيب[٧] لدرجة أنه لقب بالوزير الصغير[٨]. كما حاول ابن الفرات التخلص من كبار رجال الدولة[٩] فاستجلب عداء الخاصة والعامة. وانضاف إلى هذا إيقاع القرامطة

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢ص٢٠١.

(٢) التنوخي، النشوار، ج١ص٤١.

(٣) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٧٣. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٦٨. الصابي، الوزراء، ص٣٧٥. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص١٨٠.

(٤) الصولي، أخبار المقتدر، ص٢١٦. الصابي، الوزراء، ص٣٢٣.

(٥) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٨٧. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص١٢. النويري، نهاية الأرب، ج٢٣ص٦٢-٦٣.

(٦) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٨٥-٨٦.

(٧) الصولي، أخبار المقتدر، ص٢٣٤-٢٣٥. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١١٣-١١٥. الصابي، الوزراء، ص٤٧-٥٥.

(٨) الصولي، أخبار المقتدر، ص٢٤٠.

(٩) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١١١-١١٣. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١١٥-١١٦. الصابي، الوزراء، ص٥٢-٥٣. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص١٤-١٥.

بالحجاج[١] مما وضع النهاية لوزارة ابن الفرات الثالثة بسجنه وابنه المحسن ثم قتلهما سنة (٣١٢هـ/٩٢٤)[٢].

اختير أبو القاسم عبيد الله بن محمد الخاقاني للوزارة بدعمٍ من مؤنس الخادم ونصر الحاجب وثمل القهرمانة[٣]، وقد كان المقتدر على علم بعدم أهليته للوزارة لكنه خضع لرأي الحاشية[٤]. وقد عبر ابن الفرات عن الوضع عندما علم باستيزاره بقوله: "نُكب السلطان لا أنا"[٥]. إلا أن الأزمة المالية، وشغب الجند، ثم مرضه وعجزه عن متابعة الأمور أنهت وزارته[٦]. وولي أبو العباس أحمد الخصيبي الوزارة سنة (٣١٣هـ/٩٢٥م) بدعم السيدة[٧] والحاشية وعلى رأسهم ثمل القهرمانة[٨].

وصف الخصيبي بالعقل، والأدب، وحسن الخط، وببلاغته ونظافة يده[٩]. وجعل الخصيبي همه في جمع الأموال وأهمل الأعمال[١٠] خاصةً وأنه جوبه في بداية وزارته بشغب الجند مما جعله يشعر بالندم لقبوله منصب الوزارة[١١]. ثم أشار مؤنس الخادم بعزله وتولية علي

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٢٠-١٢١. الصابي، الوزراء، ص٥٧-٥٨. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٢٣٩. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٢٢٤.

(٢) الصولي، أخبار المقتدر، ص٢٥١ و٢٦٧. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٣٧-١٣٨. الصابي، الوزراء، ص٧١. الهمذاني، التكملة، ج١ص٤٤-٤٦.

(٣) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٢٧. الهمذاني، التكملة، ج١ص٤٤. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٢٢٥-٢٢٦. اليوزبكي، الوزارة، ص١٩٢.

(٤) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٢٧.

(٥) الصابي، الوزراء، ص١٣٩-١٤٠.

(٦) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٤٢.

(٧) ابن الطقطقي، الفخري، ص٢٦٤. إسترابادي، دستور الوزراء، ص١٩١.

(٨) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٢٦. ابن الطقطقي، الفخري، ص٢٦٣.

(٩) الصفدي، الوافي، ج٧ص١٦٨-١٦٩. وأنظر ابن الطقطقي، الفخري، ص٢٦٣-٢٦٤.

(١٠) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٢٧-١٢٨. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٤٤-١٤٥. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٢٤٩.

(١١) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٢٧.

بن عيسى وذلك سنة (٣١٤هـ/٩٢٦م)[١]. لكن علي بن عيسى تحت ضغط الأزمة المالية والحاشية أخذ بالإستعفاء من الوزارة. فشاور الخليفة مؤنساً الخادم ونصراً الحاجب فيمن يصلح للوزارة[٢] فرشحت ثلاث شخصيات هي، محمد بن خلف النيرماني لكن المقتدر كرهه لأنه جاهل ومتهور، والفضل بن جعفر وهو غير مذموم بكفايته وصناعته إلا أن عمه ابن الفرات قُتل بالأمس، وابن مقلة وهو حدث لا هيبة له[٣]. إلا أن نصراً الحاجب قام بأمر ابن مقلة وقربه إلى الخليفة فاستوزره سنة (٣١٦هـ/٩٢٨)[٤].

ولد أبو علي محمد بن علي بن الحسن بن مقلة في شوال سنة (٢٧٧هـ/٨٨٧م)، وتوفي سنة (٣٢٨هـ/٩٤٠م)[٥]. وكان في بداية حياته ضعيف الحال قليل المال، عمل كاتباً لابن الفرات بجاري عشرة دنانير شهرياً ثم زاده إلى ثلاثين ديناراً[٦]. وعندما تولى ابن الفرات الوزارة سنة (٢٩٦هـ/٩٠٨م) استدعاه ليختار ما يشاء من الأعمال فاختار ديواني الفض والخاتم وجاريهما أربعمائة دينار شهرياً[٧]. وعمل كاتباً لنصر الحاجب سنة (٣٠٤هـ/ ٩١٦م)[٨]، وتقلد الإنشاء للسيدة والأمراء أولاد المقتدر[٩]. وهو صاحب الخط المشهور الذي تضرب بحسنه الامثال، ولـــه اليد الطولى في الكتابة والإنشاء[١٠]. قال عنه علي بن عيسى

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٤٩. الصابي، الوزراء، ص٣٣٥-٣٣٦. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٢٣١. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص٢٨.

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٨٤. الصابي، الوزراء، ص٣٤٠.

(٣) ن.م.، ج١ص١٨٤. ن.م.، ص٣٤١-٣٤٢.

(٤) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٨٥. الصابي، الوزراء، ص٣٤٢-٣٤٣. الهمذاني، التكملة، ج١ص٥٦-٥٧.

(٥) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢ص١٦٢ وج٣ص٥٨. دائرة المعارف، الطبعة الجديدة، مادة (ابن مقلة).

(٦) الصابي، الوزراء، ص١٣٥.

(٧) التنوخي، النشوار، ج٢ص١٢٠. الصابي، الوزراء، ص١٩٧-١٩٨.

(٨) الهمذاني، التكنلة، ج١ص١٩.

(٩) ن.م.، ج١ص١٨.

(١٠) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢ص١٦٢. ابن الطقطقي، الفخري، ص١٦٤-١٦٥. الصفدي، الوافي، ج٤ص١٠٩.

حدث، يحب الرئاسة، ويراعي يومه دون غده[١].

وفي وزارة ابن مقلة خلع المقتدر سنة (٣١٧هـ/٩٢٩م) فاستبقاه القاهر في الوزارة. ولما عاد المقتدر للخلافة لم يعزله[٢]، إلا أن توتر العلاقة بين المقتدر ومؤنس، ولكون ابن مقلة على علاقة ودية معه، قام الخليفة بالقبض على ابن مقلة، وأظهر رغبته باستيزار الحسين بن القاسم[٣] في محاولة للتخلص من مظهر من مظاهر سيطرة مؤنس الخادم. ولما علم مؤنس بالخبر غضب لتفرد الخليفة بهذا التدبير، وطلب إعادة ابن مقلة للوزارة، إلا أن الخليفة تمسك برغبته في استيزار الحسين بن القاسم وهم المقتدر بقتل ابن مقلة لولا تدخل علي بن عيسى الذي أشار على الخليفة باستيزار أخيه عبد الرحمن أو سليمان بن الحسن فاختار الأخير سنة (٣١٨هـ/٩٣٠م)[٤]. كان سليمان بن الحسن قائماً على ديوان الإنشاء سنة (٣٠١هـ/٩١٣م)[٥]. ويوصف بأنه كاتبٌ سديد خبير بأحوال الدواوين، وقوانين السياسة[٦]. إلا أن ابن الطقطقي يذكر بأنه "لم تكن له سيرة تؤثر وتروى ولم يكن من ذوي اللب، وإنما نال ما نال بالجد والبخت[٧]".

وفي سنة (٣١٩هـ/٩٣١م) أظهر المقتدر رغبته مرةً أخرى في استيزار الحسين بن القاسم إلا أنه اصطدم بمعارضة مؤنس الخادم، وأشار عليه باستيزار أبي القاسم عبيد الله بن محمد الكلوذاني[٨]. وهو من كَلْوَاذى من نواحي بغداد[٩]، من أصلٍ فارسي[١٠]. وهو من كبار

---

(١) الصابي، الوزراء، ص٣٨٧.
(٢) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٩٤-١٩٩.
(٣) ن.م.،ج١ص٢٠٤.
(٤) ن.م.، ج١ص٢٠٤-٢٠٥. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٢٥١. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣٧٥.
(٥) دائرة المعارف، مادة (سليمان بن الحسن).
(٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٢ص٢٢.
(٧) ابن الطقطقي، الفخري، ص٢٦٧.
(٨) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢١٢. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص٦٤. النويري، نهاية الأرب، ج٢٣ص٩٣.
(٩) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤ص٤٧٧.
(١٠) ابن النديم، الفهرست، ص١٦٣. ابن حزم، جمهرة، ص٥١٢.

الكُتاب كفاية ومقدرة وحسن تدبير، نشأ في ديوان أبي الحسن ابن الفرات[١]، ويعتبر من كبار كتابه[٢]، صنف كتاباً في الخراج[٣].

ظهرت كفاية الكلوذاني في كثير من الوزارات زمن المقتدر، فقد اعتمد عليه حامد ابن العباس في وزارته سنة (٣٠٦-٣١١هـ/٩١٨-٩٢٣م) لتنظيم الأعمال التي يخرجها كتابه بعد ضمانه لمناطق متعددة، وكان ينوب عنه في دار السلطان[٤]. وفي وزارة أبي القاسم الخاقاني سنة (٣١٢-٣١٣هـ/٩٢٤-٩٢٥م) تقلد ديوان السواد وقام بأعباء الوزارة أثناء مرض الوزير[٥]. ثم أقره الخصيبي في وزارته سنة (٣١٣-٣١٤هـ/٩٢٥-٩٢٦م) على ديوان السواد وفارس والأهواز[٦]. ولما تدهور الوضع في وزارة الخصيبي لإهماله النظر فيما يرد عليه من كتب، كتب الكلوذاني للعمال بأن ينفذوا إليه نسخةً عما يكتبونه للوزير فيوقع على ظهرها بما يجب[٧]. كما قام بأعباء الوزارة حتى مقدم علي بن عيسى إلى بغداد سنة (٣١٤هـ/٩٢٦م) فقلده ديوان السواد ثقة بكفاءته[٨].

لم يستمر الكلوذاني في الوزارة سوى شهرين بسبب اشتداد الأزمة المالية، واتصال شغب الجند[٩]. فاستوزر المقتدر أخيراً الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب وبدون اعتراضٍ من مؤنس الخادم. وقد سعى الحسين في طلب الوزارة بالتقرب للحاشية

---

(١) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٦٤. وانظر ابن النديم، الفهرست، ص١٦٣.

(٢) انظر مثلاً، عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٣٦. مسكويه، تجارب الامم، ج١ص٢٠-٢١. الصابي، الوزراء، ص٢٤ و١٨٧. الهمذاني، التكملة، ج١ص١١.

(٣) ابن النديم، الفهرست، ص١٦٣.

(٤) الصولي، أخبار المقتدر، ص٢٢٧. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٧١-٧٢.

(٥) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٢٥.

(٦) ن.م.، ص١٢٧.

(٧) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٤٩.

(٨) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٢٩. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٤٩-١٥١. الصابي، الوزراء، ص٣٣٥-٣٣٦. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص٢٨.

(٩) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٦٤. مسكويه، تجارب الأمم، ج١، ص٢١٩. الهمذاني، التكملة، ج١ص٦٤. النويري، نهاية الأرب، ج٢٣ص٩٥.

والكتاب[١]، وبذل أموالاً جليلة ليلبق ليستميل قلب مؤنس ففعل[٢]. وقيل عنه أنه أعرق الناس في الوزارة فقد وزر للمقتدر، ووزر أبوه للمعتضد والمكتفي، ووزر جده للمعتضد، وزر جد أبيه سليمان للمهتدي[٣].

والظاهر أنه لم يكن صاحب تدبيرٍ وسياسة إذ لم يكن بارعاً في صناعته، ولا حمدت سيرته في وزارته[٤]. وعندما سعى مؤنس الخادم لصرفه عن الوزارة مبيناً عدم أهليته بقوله: "كيف يكون إليه مال الدنيا وتدبيرها، وسياسة العالم، وهو عجز عن تدبير داره ونفقته حتى حجر عليه القضاة لسفهه"[٥]، وقتل الحسين بن القاسم سنة (٣٢٢هـ/٩٣٤م) بتهمة الرفض[٦].

طالب مؤنس الخادم –وبقوة– بعزله ومصادرته فوافق المقتدر على عزله دون المصادرة ولما رفض مؤنس الخادم ذلك أبقاه المقتدر في الوزارة. إلا أن شغب الجند اتصل، وعجز الحسين عن حل الأزمة المالية فأهين من قبل الحاشية، ثم أمر المقتدر بالقبض عليه سنة (٣٢٠هـ/٩٣٢م)، وعين محله الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات[٧]، المعروف بابن حنزابة نسبةً لأمه وهي أم ولدٍ رومية. ولد الفضل سنة (٢٧٩-٣٢٧هـ/٨٩٢-٩٣٩م) [٨]، ويعتبر من خيار آل الفرات علماً، وكتابةً، وجداً ووقاراً[٩]، وبقي في الوزراة إلى مقتل المقتدر.

---

(١) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٦٤.
(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٧ص٦٧.
(٣) ابن الطقطقي، الفخري، ص٢٦٨. دائرة المعارف، مادة (الحسين بن القاسم).
(٤) ابن الطقطقي، الفخري، ص٢٦٨.
(٥) التنوخي، النشوار، ج١ص٢٦١.
(٦) الهمذاني، التكملة، ج١ص٦٥-٦٦. الصفدي، الوافي، ج٣ص٢٩.
(٧) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٧٣. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٢٦-٢٢٧. الهمذاني، التكملة، ج١ص٦٧. اليوزبكي، الوزارة، ص١٩٦.
(٨) الذهبي، سير أعلام، ج١١ص٤٣٢. دائرة المعارف، مادة (الفضل بن جعفر).
(٩) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٧٣. الذهبي، سير أعلام، ج١١ص٤٣٢.

حصل الوزراء على مكانةٍ كبيرة في الدولة، وكانت الوزارة زمن المقتدر على درجة من القوة والسلطة هي في الواقع امتداد للإزدهار الذي شهدته في الفترة السابقة. فعند تعيين الوزير يسير بين يديه كبار القواد والحجاب والأمراء والغلمان من داره إلى دار الخلافة[١]، ويقبلون يده[٢]. بل أن الكثيرين من رجال الدولة يشعرون بالرضى بمجرد سماعهم كلمة مديح من الوزير[٣]. كما كان القواد ممَّنْ يُنعم عليهم بالألقاب والكنى يتكنون بها على جميع رجال الدولة باستثناء الوزير ومؤنس الخادم[٤].

وخصصت للوزراء دار سليمان بن وهب بباب المخرم على دجلة وما يجاورها من الدور وبلغت مساحة تلك الدور ألفاً وثلاثمائة وستة وأربعين ذراعاً[٥]. كما أقطعوا ضياعاً بلغ ارتفاعها ٥٠،٠٠٠ دينار سنوياً[٦]. بالإضافة إلى راتبٍ شهري بلغ خمسة آلاف دينار، ثم أصبح سبعة آلاف دينار[٧]. فقد بلغ راتب كل من ابن الفرات في وزارته الأولى[٨] وأبي علي الخاقاني ٦٠،٠٠٠ دينار سنوياً[٩]، مقابل ٨٤،٠٠٠ دينار سنوياً راتب علي بن عيسى سنة (٣١٥هـ/٩٢٧م)[١٠]. كما حصل أبناء الوزراء على رواتب خاصة، فقد أجرى المقتدر على أولاد ابن الفرات الفضل وجعفر والمحسن ألفاً وخمسمائة دينار أثلاثاً بينهم[١١]. ويبدو أن هذا

---

(١) الصابي، الوزراء، ص٢٨ و٣٦ و٢٨٤. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٨٢. اليوزبكي، الوزارة، ص٤١.
(٢) الصابي، رسوم دار الخلافة، ص١٠.
(٣) ن.م.، ص١١.
(٤) الهمداني، التكملة، ج١ص٤٩.
(٥) الصابي، الوزراء، ص٢٨.
(٦) ن.م.، ص٢٨.
(٧) ن.م.، ص٢٨٥ و٣٧٨.
(٨) ن.م.، ص٢٣.
(٩) ن.م.، ص٢٨٥.
(١٠) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٥٩.
(١١) الصابي، الوزراء، ص٢٩ و٢٨٥.

الراتب يصرف لأبناء الوزراء من إداريين وموظفين في الدولة. فقد اعترض علي بن عيسى على الراتب الذي كان يدفع لابن الخصيبي، ولما أجابه أن ذلك أسوةً بالمحسن ابن الفرات وعبد الله ابن الخاقاني، رد عليه علي بن عيسى: "المحسن رُبي في الدواوين ودبر الأمور وكان مع شره كاتباً ، وابن الخاقاني كان ينوب عن أبيه ويأمر وينهى ويخدم وهو فَهِم وابنك لا يجري مجرى واحد منهما"[١].

وجرت العادة أن يتقبل الوزير الجديد التهاني من الناس في دار الوزارة، ثم تأتيه خلع الخليفة وهداياه، فقد أرسل المقتدر لابن الفرات عندما استوزره للمرة الثانية مالاً جزيلاً وتخوتاً وثياباً وطيباً وطعاماً وأشربةً وثلجاً فقيل أن مبلغ ما حمل إليه من دار الخلافة ٣٠٠،٠٠٠ درهم، وعشرون خادماً وثلاثون دابةً لرحله وخمسون لغلمانه وخمسون لثقله وبغلان للعمارية بقبابها وثلاثون جملاً وعشرة تخوت وثياب، وأمر المقتدر برد ضياعه إليه سوى الإقطاعات، كما أرسلت إليه السيدة بدواب وغلمان وخلعتين وصينية فيها طيب وشراب، وعشرة آلاف دينار، وسفط فيه كافور وعنبر ومسك وصينيتين ذهب فيهما بغلين من ذهب[٢].

ولما خلع على أبي علي الخاقاني حمل على فرس بمركب ذهب[٣]. وأرسل المقتدر يلبق بثلاثمائة غلام لإحضار علي بن عيسى من مكة عند استيزاره سنة (٣٠١هـ/٩١٢م)[٤]. ولما وزر علي بن عيسى للمرة الثانية خرج الناس لاستقباله فمنهم من وصل إلى الرقة[٥]. وأرسل إليه المقتدر الثياب الفاخرة، والفرش الجليل والمال ما قيل أن ثمنه عشرون ألف دينار[٦]. ويقف

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٥٤.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص١٦٦. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٨٢-١٨٤. ابن كثير، البداية، ج١١ص١٣٤.

(٣) الصابي، الوزراء، ص٢٨٥.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣ص٢٠٢.

(٥) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٥٠.

(٦) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٥١. الصابي، الوزراء، ص١٣٧.

على باب الوزير الحجاب للإستئذان عليه[١]، ويلازمه ويقوم على أمره عدد كبير من الغلمان بمثابة الحرس الخاص[٢]. وكان للوزراء مجموعة من الرسوم الخاصة منها أن يحمل إليهم الطعام إذا قلدوا[٣]، وأن يلبسوا دراعة وقميصاً ومبَطّنة وخفاً[٤]. ويعتبر السواد اللباس الرسمي[٥]، في حين يرتدي الوزير في أيام الإحتفالات قباءً[٦] وسيفاً ومنطقة[٧] مع عمامة سوداء[٨]. فعندما رأى الناس الحسين بن القاسم وعليه شاشية[٩] بحمائل عجب الناس منه[١٠]. وأصبح الوزير في أوائل القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي لا يذهب إلى دار الخلافة إلا في أيام المواكب وذلك يومي الإثنين والخميس[١١]. وإذا أراد الوزير أن يكتب شيئاً في حضرة الخليفة فقد كان الرسم أن تُحضر دواة لطيفة بسلسلة ويمسكها بيده اليسرى ويكتب بيده اليمنى. ولما رأى المقتدر مشقة ذلك على وزيره علي بن عيسى أمر بأن يمسك بعض الخدم الدواة إلى أن يفرغ من الكتابة. وكان علي بن عيسى أول من أكرم بهذا ثم صار رسماً للوزراء بعده[١٢].

وفي سنة (٣١٠هـ/٩٢٢م) مرض علي بن عيسى فركب لعيادته هارون بن المقتدر ومؤنس الخادم ونصر الحاجب ووجوه الغلمان، فاستقبلهم علي بن عيسى، وبلّغه هارون ابن

---

(١) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٥١. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٥٥. الصابي، الوزراء، ص١٣٧.
(٢) الصابي، الوزراء، ص١٦١. وأنظر، الثعالبي، ثمار القلوب، ص١٦٨.
(٣) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٨٦. اليوزبكي، الوزارة، ص٤٣.
(٤) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٦٦. الصابي، الوزراء، ص٣٢٥.
(٥) الصولي، أخبار المقتدر، ص٢٢٤. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٨٥. التنوخي، النشوار، ج٨ص١٥٧. ابن الطقطقي، الفخري، ص٢٦١.
(٦) القباء: نوع من الثياب مجموع الأطراف، ابن منظور، لسان العرب، ج١٥ص١٦٨.
(٧) المِنْطَقة: ما يُشدّ به وسط المرء، ابن منظور، لسان العرب، ج١٠ص٣٥٤.
(٨) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٦٦.
(٩) الشاشية: الفراء، ابن منظور، لسان العرب، ج٦ص٣١١.
(١٠) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٦٥.
(١١) الصابي، الوزراء، ص٢٦٢.
(١٢) ن.م.، ص٣٤٢.

المقتدر رسالة الخليفة، وعزمه الركوب إليه. فلما صح قليلاً ركب على ضعف شديد ليفسخ ما وقع العزم عليه[١].

وهنالك رسم خاص للقبض على الوزراء عند عزلهم، فلا يقبض على الوزير في اليوم الذي خدم فيه الخليفة وإنما يقبض عليه في بعض الممرات قبل أن تقع عين الخليفة عليه[٢].

عاش الوزراء عيشة بذخ تدل على مدى ثرائهم فقد تراوح دخل ابن الفرات من ضياعه الخاصة بين ١،٠٠٠،٠٠٠[٣] و ٢،٠٠٠،٠٠٠ دينار سنوياً[٤] ، و ٨٠٠،٠٠٠ دينار عند عطلته[٥]. وبلغ مقدار ما يملكه عشرة ملايين دينار إذ قال الصولي: "ولا نعرف وزيراً جلس في الوزارة، وملكه من العين والورق والضياع والأثاث يحيط بعشرة آلاف ألف دينار غير ابن الفرات...، ولم ير مع ذلك وزيراً أودع من الأموال وجوه الناس جميعاً ما أودع سواه، فإنه لم يكن ببغداد في ذلك الوقت قاض، ولا عدل، ولا تاجر مستور إلا ولابن الفرات عنده وديعة "[٦].

وكان ابن الفرات معروفاً بمطابخه الخاصة والعامة، التي يستعمل فيها الغنم والدجاج والخبز والحلوى والشراب المختلف والماء المثلج[٧]. كما أنشأ مطبخاً لأرباب الحوائج[٨]. ومن المعتاد ارتفاع أسعار الشمع والثلج والورق عند مجيئه للوزارة لكثرة استخدامه لها[٩]. وكان

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٢٠٩.

(٢) الصابي، الوزراء، ص٢٩١.

(٣) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٤٦. الصابي، الوزراء، ٣٤٩. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٢٤١.

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢ص٢٠١. النويري، نهاية الأرب، ج٢٣ص٧٢.

(٥) التنوخي، النشوار، ج٥ص٧٨-٧٩. الصابي، الوزراء، ص٣٤٩.

(٦) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٤٦. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٢٤١. ابن تغري، النجوم الزاهرة، ج٣ص٢٣٨.

(٧) الصابي، الوزراء، ص٢١٦.

(٨) التنوخي، النشوار، ج٧ص٢٦١.

(٩) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٦١. الصابي، الوزراء، ٧٣. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص١٦٦-١٦٧. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص٢٢.

رسمه لكل من يخرج من داره ساعة الغروب أن تدفع إليه شمعة لا ترد[١]. وأجرى ابن الفرات عشرين ألف درهم على الكُتاب ومثلها لكل من الشعراء والفقراء ولأهل الحديث وطلاب العلم[٢].

وبلغ دخل علي بن عيسى حوالى ٨٨،٠٠٠ دينار سنوياً ينفق منها ٤٨،٠٠٠ دينار في أعمال البر والتقوى، والباقي لنفقته الخاصة[٣]. وكان يجري على ٤٥،٠٠٠ نفس[٤]، وأنشأ بيمارستاناً بالحربية على نفقته الخاصة[٥].

ووصف حامد بن العباس بالكرم والسخاء إذ كان ينصب أربعين مائدةً يومياً في داره لكل من يدخلها[٦]. وقصدته إمرأة فأمر لها بمائتي درهم وكتب خطأ مائتي دينار فأمضى ما كتب[٧]. وفي مرة طلب أحد خواص المقتدر شعيراً لدوابه فوقع لــه بمائة كر، فطلب آخر فوقع بمثل ذلك وما زال يوقع حتى فرق في ساعة واحدة ألف كر[٨]. وكان يجري الجرايات على الضعفاء والفقراء في مناطق ضمانه، ولا يأخذون الصدقة إلا منه[٩].

وسجل مسكويه نفقات الخصيبي خلال وزارته (٣١٣-٣١٤هـ/٩٢٥-٩٢٦م) كالآتي: أنفق في كل شهر من النفقات الراتبة ٢،٥٠٠ دينار تكون في مدة وزارته ٣٥،٠٠٠ دينار،

---

(١) الصابي، الوزراء، ص١٦١. وأنظر، الثعالبي، ثمار القلوب، ص١٦٨.

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١١٩. الثعالبي، ثمار القلوب، ص١٦٨-١٦٩. الصابي، الوزراء، ص٢٢٣-٢٢٤.

(٣) التنوخي، الوزراء، ج٥ص٧٩. الصابي، الوزراء، ص٣٤٩. الجاجرمي، نكت الوزراء، ص٧٧.

(٤) ياقوت الحموي، إرشاد الأريب، ج٥ص٢١٧. النويري، نهاية الأرب، ج٢٣ص١٠٣. الصفدي، الوافي، ج٢١ص٣٦٩.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص١٥١. الذهبي، تاريخ الإسلام (٣٠١-٣١٠هـ)، ص١٦. ابن كثير، البداية، ج١١ص١٣٠.

(٦) التنوخي، النشوار، ج١ص٢٢-٢٣ وج٤، ص١٦٣.

(٧) ن.م.، ج١ص٤١.

(٨) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٧٩. ابن الطقطقي، الفخري، ص٢٦٢.

(٩) الصفدي، الوافي، ج١١ص٢٧٤-٢٧٥.

النفقات الحادثة، والصلات، والمؤونة مع ثمن الطيب والكسوة، وثمن عقارات أضافها إلى داره مع ما أنفقه على البناء ٤٠،٠٠٠ دينار، ثمن الهدايا المقدمة للسيدة، والخليفة، وابنيه هارون وأبي العباس، والخالة وزيدان ومفلح في النوروز والمهرجان ٣٥،٠٠٠ دينار ، وثمن بغال ودواب وجمال وخدم وغلمان ١٠،٠٠٠ دينار، ولمن برسم دار الوزارة من خلفاء الحجاب، والبوابين، وأصحاب الرسائل، وأنزال الفرسان والرجالة ٢٠،٠٠٠ دينار. هذه النفقات هي نفقاته الرسمية المسجلة فقد كان ينفق نفقات يسترها عن كاتبه[١].

واعتاد ابن مقلة أن ينفق سنة (٣١٧هـ/٩٢٩م) على الفاكهة وحدها خمسمائة دينار في الأسبوع، وكان مولعاً بجمع الطيور والحيوانات من مختلف الأنواع[٢].

مسؤوليات الوزير:

يقع على الوزير العبء الأكبر في تنظيم الناحية المالية للدولة، وتأمين نفقات دار الخلافة والمرتبطين بها من الجند والموظفين والخدم والحرم والحشم وغيرهم.

وقد تولى المقتدر الخلافة وهو في سن صغيرة، وبيوت المال عامرة، فافتتح عهده بإعادة رسوم دار الخلافة إلى ما كانت عليه من التوسع في النفقات، وتوزيع الأضاحي على القواد والعمال والقضاة وأصحاب الدواوين وغيرهم[٣]. وقام بزيادة جاري بني هاشم[٤] وفرق بينهم خمس عشرة ألف دينار وتصدق بمثلها على الناس[٥]. وبلغ مال البيعة ثلاثة ملايين دينار[٦]. ثم

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٥٥-١٥٦.

(٢) ن.م.، ج١ص٢٠٣..

(٣) الصولي، أخبار المقتدر، ص٤٣. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٢٦٢. الدياربكري، تاريخ خميس، ج٢ص٣٥٠.

(٤) محمد بن إبراهيم، الاكتفاء، ورقة ٣١٩-ب.

(٥) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٢٣.

(٦) الصابي، الوزراء، ص٣١٧.

كانت محاولة خلعه سنة (٢٩٦هـ/٩٠٨م) التي استنزفت أموالاً كثيرة سواءً في محاولة تثبيته[١]، أو إعادة مبايعته مما كلف خزينة الدولة أموالاً طائلة خلال أقل من أربعة أشهر.

اعتمد المقتدر بعد الفتنة على وزيره الجديد ابن الفرات الذي أظهر حكمة في التعامل مع المشاركين في الفتنة[٢]، وحرص على توفير الأمن في العاصمة حين أمر جماعة من القواد بطواف البلد ليلاً، والايقاع بإهل الدعارة ومن يتعرض لنهب دار وأخذ مال من أصاغر الجند والعوام[٣]. ثم أصدر في مرسوماً للعمال أمر فيه "بإفاضة العدل في الرعية، وإزالة الرسوم الجائرة عنهم"[٤].

بدأ ابن الفرات بتوزيع المهام الإدارية على كتاب الدواوين الذين يأتون مع الوزير ويذهبون بعزلـــه في الغالب. وعلى رأس كتابه ابن مقلة والكلوذاني وأبو عبد الله زنجي وابني جبير وولداه الفضل والمحسن[٥]. وكان ابن الفرات شديد العناية بكتابه والإهتمام بأرزاقهم[٦] فقد زاد رواتب المقربين منهم أضعافاً، إذ رفع راتب عبد الله بن جبير من خمسةٍ وعشرين دينار إلى مائة دينار، ويعقوب بن إصطفن من عشرة دنانير إلى أربعين ديناراً[٧] وابن مقلة الذي كان رزقه عشرة دنانير بلغ خمسمائة دينار[٨]. واعتمد على يوسف بن فنحاس جهبذ الأهواز للتعجيل

---

(١) الصولي، أخبار المقتدر، ص٦٧.

(٢) ن.م.، ص٩٨. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٢٩. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٣-١٤. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٣٦.

(٣) الصابي، الوزراء، ص٢٨.

(٤) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٨. الهمذاني، التكملة، ج١ص١٢.

(٥) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٢٩. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢١٠. الصابي، الوزراء، ص١٩٧-١٩٨ و١٨٧ و٢٥٩.

(٦) الصابي، الوزراء، ص١٦٤ و٢٢٢-٢٢٣. النويري، نهاية الأرب، ج٢٣ص٧٢.

(٧) الصابي، الوزراء، ص١٥٨.

(٨) التنوخي، النشوار، ص٧٣. الصابي، الوزراء، ص١٣٥.

براتب شهرين يدفع لكتابه[١]، ولشدة عنايته بهم اتهم ابن الفرات بأنه أطلق أيديهم يفعلون ما يريدون ويظلمون فلا يمنعون[٢].

رغم أن ابن الفرات حقق الأمن والاستقرار في الدولة بعد الفتنة التي عصفت بها إلا أنه اتهم بالسعي لجمع الأموال لنفسه، فقد حصل لنفسه من مال البيعة بعد فتنة ابن المعتزسنة (٢٩٦هـ/٩٠٨م) سبعمائة ألف دينار[٣].

ولما علم ابن الفرات أن كاتبه على ديوان بيت المال عرف أنه اقتطع مليون دينار لنفسه اشترى سكوته بمائة ألف دينار[٤].

وبعد عزله عن الوزارة سنة (٢٩٩هـ/٩١١م) وجدت لـه ودائع بحوالي ثلاثة ملايين دينار أكثرها محمول من بيت مال الخاصة، وكان يحتال باستخراج هذه الأموال بتوقيعاتٍ مزورة عن المقتدر والقهرمانات[٥].

ومما مكن ابن الفرات من استخراج هذه الأموال لنفسه أنه أسند حفظ الأموال المصادرة من أنصار ابن المعتز للجهبذين يوسف بن فنحاس وهارون بن عمران دون صاحبي بيت المال العام وبيت مال الخاصة، وكان كاتبه ابن فرجويه يقوم بمحاسبتهما والاستيفاء عليهما، ولا يرفع إلى الدواوين شيئاً من حسابهما. ولم يعترف ابن الفرات بعد عزله إلا بـ ١,٠٤٧٠,٥٤٦ درهماً أبقاها لدى الجهبذين وفاز ابن الفرات بالباقي ولم تقم عليه حجة بالمبلغ[٦].

لابد أن أموال المصادرات التي حُصلت من قبل أنصار ابن المعتز كانت ضخمة لكثـرة

---

(١) الصابي، الوزراء، ص١٧٨.

(٢) النويري، نهاية الأرب، ج٢٣ص٧٣.

(٣) التنوخي، النشوار، ج٥ص٧٥-٧٦. الصابي، الوزراء، ص١٣٣.

(٤) الصابي، الوزراء، ص١٥٨-١٥٩.

(٥) ن.م.، ص١٥٧-١٥٨.

(٦) التنوخي، النشوار، ج٨ص٣٨-٣٩. الصابي، الوزراء، ص٨٩-٩١.

المشاركين بالفتنة، كما أن المبالغ التي صودر عليها البعض كانت كبيرة فابن الجصاص-كما قيل- صودر على ستة ملايين دينار، لم يصل منها لبيت المال إلا القليل[١].

وفي سنة (٢٩٨هـ/٩١٠م) اتهم كبار موظفي ابن الفرات بمد أيديهم إلى أموال الدولة[٢]. وفي سنة (٢٩٩هـ/٩١١م) ظهرت بوادر للغلاء أدت إلى أعمال شغب من قبل العامة[٣]. وعجز ابن الفرات عن القيام بالنفقات، وطلب المساعدة من بيت مال الخاصة فرفض المقتدر[٤].

إن السياسة المالية التي اتبعها ابن الفرات في التوسع في النفقات، وحيازة المال لنفسه تركت آثارها السلبية على مالية الدولة. وقد اتهم ابن الفرات صراحةً بإتلافه أموال بيت مال الخاصة نتيجة تبذيره المفرط[٥]. فكانت الأزمة المالية السبب المباشر لانهيار وزارته، بالإضافة إلى سعي أبي علي الخاقاني للوزارة بالدس عليه، فقُبض عليه ونهبت دوره ودور كتابه وأسبابه سنة (٢٩٩هـ/٩١١م)، ولقي الناس في بغداد شدة شديدة طيلة ثلاثة أيام بلياليها[٦].

أول عمل قام به أبو علي الخاقاني عند توليه الوزارة، القبض على ما كان لابن الفرات من الضياع والإقطاع والعقار فصح عنده ما مقداره مليون دينار عيناً وستمائة ألف دينار سوى الاثاث والكراع والجمال[٧]. "كما وجد لـــه ألف ومائة طيلسان[٨] وألف كساء وألف سروال

---

(١) التنوخي، النشوار، ج١ص٢٥. الصابي، الوزراء، ص١٩٨.
(٢) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٢٨. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٣٥..
(٣) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٤٨ و١٦٠.
(٤) الصابي، الوزراء، ص٣٣.
(٥) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٣.
(٦) الطبري، تاريخ، ج٥ص٦٧٥. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٣٦. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٠-٢١. الصابي، الوزراء، ص٣٤-٣٥.
(٧) الصابي، الوزراء، ص٣٤-٣٥.
(٨) الطيلسان: نوع من الثياب، ابن منظور، لسان العرب، ج٦ص١٢٥.

وألف منديل، وغير ذلك من أصناف الكسي والفرش. وكانت ثيابه دبيقية[١]... كل ثوب بسبعين ديناراً...وكان يستعمل كل يوم أكثر من عشرة مناديل". غير ما وجد عنده من الكافور والمسك والعنبر[٢]. وعلق الصابي على مقدار ما أخذ من ابن الفرات بأنه: "لم يؤخذ من أحد من الوزراء قبله، ولا بعده مثل ذلك"[٣].

واعتمد أبو علي الخاقاني على أسبابه، وكتابه في الأعمال والدواوين، واستتر أصحاب الوزير المعزول[٤].

لم يكن الوزير الجديد أهلاً لمنصبه إذ انتشرت الرشوة للحصول على المناصب. فكان يولي العمل الواحد جماعة، أو يولي في الأيام القليلة عدة عمال، إذ ولّى ماه الكوفة في مدة عشرة أيام سبعة من العمال[٥]. وانشغل بالشرب عن النظر في شؤون الدولة فكانت الكتب ترد عليه، وتصدر جواباتها عنه من غير أن يقف عليها، وإذا أخرجت إليه جوامع بتلك الكتب تركها أياماً فلم يطالعها، وكانت الكثير من الكتب تبقى في الخزائن فلا تفض[٦]. واعتمد على ابنه عبد الله في الأعمال وتنفيذ الأمور[٧]. ويرى مسكويه أنه كان مثل أبيه متشاغلاً بالشرب عن الإهتمام بشؤون الدولة[٨]. في حين يرى الصولي أنه، كاتب بليغ، حسن الكلام، مليح اللفظ، حسن الخط،

---

(١) دبيقية: ثياب رقيقة من ثياب مصر تنسب إلى دبيق. ابن منظور، لسان العرب، ج١٠ص٩٥.

(٢) ابن الزبير، الذخائر، ص٢٢٩-٢٣٠.

(٣) الصابي، الوزراء، ص٣٥.

(٤) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٣٥. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٠-٢١. الصابي، الوزراء، ص٢٨٥. الهمذاني، التكملة، ج١ص١١.

(٥) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٥٥-١٥٦. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٣. الصابي، الوزراء، ص٢٨٥-٢٨٦. الهمذاني، التكملة، ج١ص١٢. اليوزبكي، الوزراة، ص١٦١.

(٦) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٥٥. عريب بن سعيد، صلة الطبري،ص٣٩. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٣. الصابي، الوزراء، ص٢٨٦.

(٧) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٥١. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٣٩. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٣.

(٨) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٣.

جواداً[١]. وقد وصفه علي بن عيسى بأنه ذا فهم ودراية بالأعمال والدواوين[٢].

لقد جعل أبو علي الخاقاني همه في تحقيق مصالحه الخاصة بالتقرب للخاصة والعامة[٣]، والثراء على حساب الدولة بإطلاق أيدي أولاده وكتابه بالأموال وأخذ الرشاوى[٤]. والغريب أن هذا الوزير اعترف للمقتدر صراحةً بأن أولاده وحاشيته أخذوا الرشاوى، وقبلوا هدايا العمال لأنهم "فقراء وعقيب محنةٍ طويلةٍ، وعطلةٍ متصلةٍ... وقد غنينا الآن بما حصل لنا، وبلّ أحوالنا... وسأحلف آنفاً على استئناف الأمانة، واستعمال النزاهة، وضبط أولادي وأصحابي عن أخذ درهمٍ واحد"[٥].

واستمر أبو علي الخاقاني يقدم مصالحه الخاصة على مصالح الدولة حتى آخر لحظة فحين وجد علي بن عيسى–خلفه في الوزارة–تزويرات عليه أرسلها إليه ليميز الصحيح من الخاطيء فكان يصلي فأخذ ابنه يميز الصحيح من الخاطيء، وعندما أنهى صلاته أخذ يتأمل التوقيعات ثم قال لرسولي الوزير: "قولا للوزير –أيده الله– هذه التوقيعات صحيحة... والذي فعلته هو ما رأيته صلاحاً لنفسي، وخدمةً للخليفة في استمالة قلوب الحاشية، ورعيته، واستمالة نيتهم". ثم قال لابنه: "أردت يا بني أن تبغضنا إلى الناس بغير فائدة، ويكون أبو الحسن علي بن عيسى قد لقط الشوك بأيدينا. نحن قد صرفنا لم لا نتحبب إلى الخاصة والعامة بإمضاء ما زوروه علينا، فإن أمضاه كان الحمد لنا والثقل عليه، وإن أبطله كان الحمد لنا والذم عليه"[٦].

---

(١) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٦٣.

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٥٤.

(٣) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٥٥–١٥٦. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٣–٢٤. الصابي، الوزراء، ص٣٠٠.

(٤) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٦٢–١٦٣. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٣–٢٤. الصابي، الوزراء، ص٢٨٦.

(٥) الصابي، الوزراء، ص٢٩٣ و٣٠٣.

(٦) ن.م.، ص٣٠٤. وانظر مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٣١–٣٤. الهمذاني، التكملة، ج١ص١٣. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤٧٣–٤٧٤.

وقد بلغ بأبي علي الخاقاني الأمر أنه كان يوقع بياضاً ثم يكتب السائل المتن كما يريد[١]. كما سعى إلى إرضاء الجند، وتوفير نفقاتهم وأرزاقهم[٢]، وزيادتها[٣]، لكن هذا لم يمنع شغبهم المتواصل حتى اضطر إلى أخذ مليون وستمائة ألف دينار من بيت مال الخاصة لتمشية أموره، ولم يؤدِ منها سوى أربعين ألف دينار[٤]، ومع الزمن عجز عن تدبير مائة ألف دينار. ومع تواصل شغب الجند اضطر المقتدر إلى إخراج خمسمائة ألف دينار من بيت مال الخاصة لتفرق على الجند، واعتمد في توزيعها على شفيع اللؤلؤي دون الوزير[٥]. فكان من نتائج إدارته الفاسدة أن زادت نفقات الدولة مليون دينار في السنة[٦]. لهذا يرى الصولي أن استيزار أبي علي الخاقاني كان بداية الخلل في دولة المقتدر[٧].

فقد أبو علي الخاقاني ثقة الخليفة الذي أخذ باشتشارة اين الفرات–وهو في حبسه– بشؤون الدولة[٨]، وأظهر رغبته باستيزاره، إلا أن مؤنساً الخادم ثناه عن عزمه، وأشار عليه

بعلي بن عيسى الذي تولى مهام منصبه الجديد في محرم سنة (٣٠١هـ/٩١٣م) [٩].

ابتدأ علي بن عيسى وزارته بإرسال منشور إلى العمال يأمرهم فيه بالحفاظ على حقوق السلطان، مع الرفق بالرعية، ومعاملتهم بالعدل[١٠]. وقام بعزل العمال الذين امتدت أيديهم إلى

---

(١) الصابي، الوزراء، ص٣٠٠.
(٢) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٣.
(٣) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٥٦.
(٤) الصابي، الوزراء، ص٢٨٥-٢٨٦.
(٥) ن.م.، ص٦٦.
(٦) ن.م.، ص٣٧٧.
(٧) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٤٨.
(٨) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢١. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣٦٦.
(٩) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٥-٢٦. الهمذاني، التكملة، ج١ص١٢. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٦٠. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤٧٣.
(١٠) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٧-٢٨.

الأموال العامة، أو قصروا في عمارة نواحيهم[١]، واستعاض عنهم بالكفاة[٢]. ثم وجه جهوده إلى الناحية المالية، والظاهر أن علي بن عيسى لم يرضَ بما صودر عليه ابن الفرات، فأمر بإحضار الجهبذين يوسف بن فنحاس وهارون بن عمران وطالبهما بما أودع ابن الفرات لديهما، فلم يعترفا إلا بمائة ألف درهم إلا أنه ألزمهما بمائتي ألف درهم[٣].

ولما وجد علي بن عيسى الخلل في مالية الدولة أخذ بمتابعة الأمور بنفسه فكان يصل دار الوزارة فجراً ويبقى فيها حتى صلاة العشاء يومياً[٤]. ولتحقيق التوازن بين الدخل والخرج اتبع سياسة تقليل النفقات، وتأخيرها، واقتصر للحرم والولد على جاري ثمانية أشهر في السنة، وللخدم والحشم على جاري ستة أشهر، واقتصر بالفرسان على خمسين ألف دينار بالشهر بعد أن كان يدفع لهم شهرياً مائة وخمسين ألف دينار[٥]. ولضمان توفير السيولة في ميزانية الدولة قام بإنشاء مصرف رسمي على يد الجهبذين يوسف بن فنحاس وهارون بن عمران اللذين يسلفانه أول كل شهر مائة وخمسين ألف درهم على أن يرتجعانها من مال الأهواز[٦].

ولكنه أسقط الضرائب الجائرة مثل المكس والتكملة والخمور وكان الوارد السنوي منها خمسمائة ألف دينار[٧]. وقد استعظم ابن الفرات مثل هذه الإسقاطات فأجابه علي بن عيسى: "انظر مما حططت وأبطلت إلى ارتفاعي وارتفاعك ونفقاتي ونفقاتك"[٨]. وكان ابن الفرات يأخذ

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٨.

(٢) ن.م.، ج١ص٢٨.

(٣) الصابي، الوزراء، ص٩١-٩٣.

(٤) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٧. الصابي، الوزراء، ص٢٨٦-٢٨٧.

(٥) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٤٣-٤٤. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤٩١-٤٩٢.

(٦) التنوخي، النشوار،ج٨ص٤١-٤٢. الصابي، الوزراء، ص٩٢-٩٣. الدوري، تاريخ العراق، ص١٦١.

(٧) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٩. الصابي، الوزراء، ص٣١٠-٣١١. الهمذاني، التكملة، ج١ص١٣.

(٨) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٩. الصابي، الوزراء، ص٣٤٩. الهمذاني، التكملة، ج١ص١٣.

عليه سياسة الاقتصاد في النفقة ويرى أن إصلاح ببدر واحد أجدى للسلطان من الحط من الأرزاق، والنظر في دقائق الأمور[١].

لقد دافع علي بن عيسى عن سياسته المالية في تقليل النفقات وتأخيرها في رسالة رفعها إلى السيدة يقول فيها:

"وأما الاستحقاقات المتأخرة فلست أعرفها، وبباب أمير المؤمنين الكثير من الغلمان والحاشية والفرسان والرجالة، وما أحسب صنفاً من هذه الأصناف يقدر أن يقول أنه قبض في وقتٍ من الأوقات قبضاً متصلاً، وليس يقول أحد منهم أنه دفع عن استحقاق، ولا تأخر لــه شيء من رزقه ونُزُله". ثم ذكر أنه حاججهم فرأى أنهم يريدون الزيادة، وهذا خارج عن الواجب[٢].

وأظهر علي بن عيسى في وزارته اهتماماً بالحسبة وأداء المحتسبين، وتفقد الأسواق[٣]. واعتنى بأهل الحبوس، وأمر أن يقر لهم أطباء لعلاجهم، كما أمر الأطباء بالتنقل في السواد والقرى ذات الأوباء الكثيرة والأمراض الفاشية لمعالجة أهلها[٤]. واهتم بأوضاع أسرى المسلمين في أراضي الدولة البيزنطية[٥]. وأمر بعمارة المساجد وتبيضها وفرشها بالحصر، وإشعال الأضواء فيها، وأجرى على الأئمة والقراء والمؤذنين الأرزاق، وأمر بإصلاح البيمارستانات وتوفير ما تحتاج إليه من الأدوية والأطباء[٦].

---

(١) الصابي، الوزراء، ص٢٨٣.

(٢) ن.م.، ص٣٠٩.

(٣) ابن بسام، نهاية الرتبة، ص١٥. الجاجرجي، نكت الوزراء، ص٧٦.

(٤) البيهقي، تاريخ حكماء، ص١٩٣-١٩٤.

(٥) التنوخي، النشوار، ج١ص٥٢.

(٦) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٧-٢٨. الصابي، الوزراء، ص٢٨٦-٢٨٧. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤٧٣.

وأشار على المقتدر بوقف مستغلات بغداد وهي بنايات منشأة على أرضٍ حكومية وغلتها ١٣،٠٠٠دينار، والضياع الموروثة بالسواد وارتفاعها ٨٠،٠٠ دينار على الحرمين والثغور، وأفرد لهذه الوقوف ديواناً سماه ديوان البر[١]. ولما وجد الماء شحيحاً في مكة، وأن أصحاب السلطان يسخرون جمال الناس وحميرهم لجلب الماء من جدة، ابتاع عدداً منها، ووقفها على حمل الماء وأقام لها العلوفة، ومنع السخرة. وحفر بئراً سماها الجراحية، وابتاع آخر بألف دينار ووسعه حتى كثر ماؤه[٢].

لقد شرح علي بن عيسى النتائج الإيجابية لسياسته المالية للمقتدر وبين له بأنه وفى بكافة الإلتزامات والنفقات لجميع خدم الدار وحاشيتها، ولمختلف أصناف الجند دون أن يمس بيت مال الخاصة كما فعل سلفاه. ووعد المقتدر بأنه إن بقي بالوزارة لسنةٍ أخرى فإنه سيحمل إلى بيت مال الخاصة مليون دينار[٣].

ومما يجدر ذكره أن الضرائب التي أسقطها علي بن عيسى أوجد لها البديل فبإسقاطه التكملة فرض الخراج على أرباب الشجر[٤]، وبدل ضريبة الخمور رأى الإستفادة من العنب الذي تصنع منه في عمل العصير والزبيب[٥]. غير أن وضعه بدأ بالإضطراب منذ توتر علاقته مع أم موسى القهرمانة فأخذ بالإستعفاء والمقتدر يرفض[٦]. وبدأ ابن الفرات بالسعي للوزارة عن طريق كاتبه ابن فرجويه الذي كان يكاتب المقتدر بمعايب علي بن عيسى، وتأخيره للأرزاق وتقليل النفقات، وأنه متى صرف عن الوزارة وقلد ابن الفرات فإنه سيطلق للحرم والخدم

---

(١) الصابي، الوزراء، ص٣١٠-٣١١. ياقوت الحموي، إرشاد الأريب، ج٥ص٢١٧-٢١٨. النويري، نهاية الأرب، ج٢٣ص١٠٣.

(٢) الصابي، الوزراء، ص٣١١.

(٣) ن.م.، ص٣٧٦-٣٧٧.

(٤) التنوخي، النشوار، ج٨ص١٢٣-١٢٥. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٨. الصابي، الوزراء، ص٣٦٧-٣٧٧.

(٥) العلوجي، الوزرات، المجمع العلمي العراقي، بغداد، مج١٩، ص١٥٤، ١٩٧٠.

(٦) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٣١.

والحشم والجند مثل ما كان يطلق في وزارته الاولى، وأن يوفر ٤٥،٠٠٠ دينار شهرياً[١]. وفي رواية أنه سيدفع للمقتدر والسيدة والأمراء ١٥٠٠ دينار يومياً[٢] أي ما قيمته ٤٥،٠٠٠ دينار شهرياً. فعاد ابن الفرات إلى الوزارة سنة (٣٠٦هـ/٩١٧م) وعاد إلى سيرته السابقة بالتوسع في النفقات. وقد ساهمت الأموال التي جمعها علي بن عيسى لتوزيعها على الجند والحشم في العيد عن طريق الإستلاف، وأموال المصادرات، والضمانات التي وردت من فارس وأصبهان ونواحي المشرق في تسيير إدارته[٣].

ونصب ابن الفرات ديواناً خاصاً بالمرافق وأمر العمال بحملها إلى الجهبذ هارون بن عمران، وقبض أموال المصادرين، وعدل بتلك الأموال عن بيت المال[٤]. وكان ابن الفرات يرتفق من والي مصر ١٠،٠٠٠ دينار[٥]، وأخذ باستخراج ودائعه ظاهراً بعد أن حلف بعد نكبته أنه لم تبق له وديعة مما أحفظ الخليفة عليه[٦].

كما عاد إلى سياسته السابقة بالتخلص من كبار رجال الدولة وعلى رأسهم مؤنس الخادم ونصر الحاجب وشفيع اللؤلؤي وأبو القاسم بن الحواري[٧]. مما جعل هذه الفئة تجتمع عليه. وبدأ نصر الحاجب بالتقرب من ابن مقلة وأطمعه بالوزارة ليستخرج ما عنده من أخبار ابن الفرات[٨]. وأخذت وزارة ابن الفرات بالتضعضع منذ أن عجز عن تأمين ما وعد به الخليفة

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٤٣-٤٤. الصابي، الوزراء، ص٣٥-٣٦. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤٩١-٤٩٢.

(٢) الصابي، الوزراء، ص٣٦. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٩٣.

(٣) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٤٣. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٨٣-١٨٤. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤٩٢.

(٤) الصابي، الوزراء، ص٣٨.

(٥) التنوخي، النشوار، ج٢ص٣٢-٣٣. الصابي، الوزراء، ص١٠٦.

(٦) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٦٣. الصابي، الوزراء، ص١١٢.

(٧) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٥٢-٥٣. مجهول، العيون، ج٨ق١ص١٨٤-١٨٥.

(٨) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٥٢-٥٣.

والسيدة والأمراء، كما عجز عن الإيفاء بنفقات الجند والغلمان الذين لم يقبضوا رواتبهم منذ ثلاثة أشهر[١].

وكحلٍ للخروج من الأزمة المالية أغراه كاتبه ابن جبير بما يتحصل لحامد بن العباس من فضل ضمانه لواسط إذ كان يماطل بدفع ما عليه طيلة وزارة علي بن عيسى وشطراً من وزارة ابن الفرات، فلما كاتبه ابن جبير خاف حامد بن العباس على نفسه ورأى أن يدرأ الخطر عن نفسه بطلب الوزارة حتى تمت له سنة (٣٠٧هـ/٩١٩م) [٢]، فقام بمصادرة ابن الفرات على مليون وستمائة ألف دينار[٣]، وخلال المناظرة بيّن ابن الفرات أن سعي حامد بن العباس للوزارة

ما هو إلا ليمنع المطالبة عنه بفضل ضمانه البالغ مليون دينار[٤].

ظهرت قلة خبرة حامد بن العباس بشؤون الدولة فاختير علي بن عيسى لمساندته[٥]. فأخذ علي بن عيسى بالحضور إلى الدار مرتين كل شهر، ثم صار يحضر مرةً كل أسبوع، حتى انفرد بالأمر والتدبير، ولم يعد لحامد من الوزارة سوى الاسم[٦]. فعاد حامد بن العباس يسعى لزيادة ضمانه بعد أن رأى نفسه بلا حول ولا قوة، وضمن للخليفة أن يزيد على ضمانه ٤٠٠،٠٠٠ دينار[٧]، غير أن علي بن عيسى رفض ذلك؛ للخراب الذي سيخلفه استخراج مثل هذا المبلغ، وعندئذ زاد حامد بن العباس على الأربعمائة ألف دينار مائتي ألف دينار فوافق

(١) مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٩٢-١٩٤.

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٥٧-٥٨. الصابي، الوزراء، ص٣٧-٣٩. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤٩٩.

(٣) التنوخي، النشوار، ج٢ص٣٢-٣٣. الصابي، الوزراء، ص١٠٦.

(٤) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٦٣. الصابي، الوزراء، ص١٠٤. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٩٧.

(٥) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٧٣. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٦٨. الهمذاني، التكملة، ج١ص٢٠. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص١٠٨. اليوزبكي، الوزارة، ص١٦٥.

(٦) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٥٩-٦٠.

(٧) ن.م.، ج١ص٧٢.

المقتدر على ضمانه، وأمر علي بن عيسى أن يقتصر على النظر في النفقات، وأن يفرد حامد بن العباس بجباية الأموال والنظر في النواحي[١].

ظهرت الآثار السلبية لضمان حامد سنة (٣٠٨هـ/٩١٩م) بموجة الغلاء التي أثارت العامة، وانضم إليهم الجند، لاحتكاره الحبوب، ومنعه استيرادها من مناطق أخرى، للوفاء بالضمان، وتعويض نفسه. هذا الوضع كان ينذر بخطرٍ عظيم فأمر المقتدر بفتح مخازن الحبوب التابعة للسيدة وحامد والأمراء، وبيعت الحبوب بسعر مخفض، وأمر المقتدر بفسخ ضمان حامد بن العباس[٢]. ثم حاول المقتدر إقصاء حامد، واستيزار علي بن عيسى القائم بأعمال الوزارة عملياً لكنه استعفى، واستمر في عمله حتى إقالة حامد بن العباس في ربيع الثاني سنة (٣١١هـ/٩٢٣م) [٣].

وكان لسياسة علي بن عيسى المالية دور في إسقاط وزارة حامد بن العباس فقد كثر التذمر من تأخير الأرزاق وإسقاطها عن البعض، والحط من أرزاق العمال كل سنة شهرين، وعن أصحاب الأخبار والبُرُد والقضاة أربعة أشهر. وسعى المحسن بن علي بن الفرات لأبيه بالوزارة بدعم من مفلح الأسود الذي كان على عداء مع حامد بن العباس، وتضمن لذلك أموالاً جليلة[٤].

لم يصادر حامد بن العباس بعد عزله عن الوزارة كما جرت العادة؛ لأنه شرط على المقتدر قبل توليه الوزارة أن لا يسلم لمكروه أو مصادرة على ألا يأخذ لقاء وزارته أجراً. فأقره

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٧٢.

(٢) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٨٤-٨٦. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٧٣-٧٥. الهمذاني، التكملة، ج١ ص٢١. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص١٩٤

(٣) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١١٠. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٨٥. الهمذاني، التكملة، ج١ص٣١.

(٤) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٨٦-٨٧. ابن الأثير، الكامل، ج٦ص١٢-١٣. النويري، نهاية الأرب، ج٢٣ص٦٢-٦٣.

ابن الفرات على أعمال واسط[١]. إلا أن ابن الفرات وابنه المحسن تمكنا بالحيلة من القبض عليه ومصادرته، حينما أطمعا المقتدر بما صادرا من أمواله عن طريق جهبذه، وخادمه بغير مناظرة ومكروه، وهي حوالى خمسمائة ألف دينار. واستُخرج بالمكروه من خادمه أربعون ألف دينار وأموال أخرى. كما وجد ابن الفرات من بين حساباته ما يثبت أن أثمان الغلات لسنة واحدة هي خمسمائة ألف دينار ونيفاً وأربعين ألف دينار سوى المحمول إلى الحضرة، وبالتالي فإن فضل ضمانه يصل إلى مبلغ كبير من المال[٢]. إلا أن ابن الفرات سار مع حامد سيرة اللين والحرص على حياته وراحته، وإنه إن أقر بما عنده لم يُسلم للمحسن، فأقر بدفائن لـــه بلغت خمسمائة ألف دينار، وبودائع له بلغت حوالى ثلاثمائة ألف دينار غير الكسوة والطيب المودع بواسط[٣]. عندئذ أمر المقتدر بتسليمه للمحسن الذي بالغ بتعذيبه وإذلاله حتى حمله على بيع ما لـــه بواسط، ثم تخلص منه في رمضان سنة (٣١١هـ/٩٢٣م)[٤]. وقيل أن مبلغ ما أقر به حامد للمحسن بلغ مليون وخمسمائة ألف دينار لم يصل منه لبيت المال إلا القليل[٥].

أما علي بن عيسى فقد أساء المحسن معاملته إلا أن المقتدر والسيدة استنكرا فعل المحسن فأظهر ابن الفرات استيائه لما حصل فصودر على٣٠٠،٠٠٠ دينار ونفي إلى مكة، ثم إلى صنعاء، وحاول ابن الفرات التخلص منه[٦].

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٩٤. الصابي، الوزراء، ص٤٠. الهمذاني، التكملة، ج١ص٣٢.

(٢) مسكويه، تجارب الأمم ، ج١ص٩٩–١٠٠. الصابي، الوزراء، ص٤٠–٤٤ و٣٢٧. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٢٥–٢٢١.

(٣) التنوخي، النشوار، ج١ص٢٤. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١١٢. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٠١–١٠٢.

(٤) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١١٢. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٠٤. الصابي، الوزراء، ص٤٣–٤٤ و٣٢٧–٣٢٨.

(٥) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ١١٢.

(٦) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١١٠–١١٣. الصابي، الوزراء، ص٣٣٣ و٣٢٣–٣٢٦. الهمذاني، التكملة، ج١ص٤١. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٢١٩.

في وزارة ابن الفرات الثالثة كثرت المصادرات، والمبالغ المصادرة والأشخاص المصادرين وقد وضع الصابي قائمة بتلك المصادرات وأصحابها منها :

- أبوالقاسم علي بن محمد الحواري صودر على ٧٠٠،٠٠٠ دينار غير ما أخذ من فرشه وآلاته واصطبلاته. ثم وقع بأن قيمة ما أخذ منه ٣٠٠،٠٠٠ دينار ثم قتل.
- ابن حماد الموصلي صودر على ٢٠٠،٠٠٠ دينار ومات تحت التعذيب.
- علي بن الحسن الياذنيني صودر على ١١،٠٠٠دينار ونفي إلى الموصل.
- أبو المنذر النعمان بن عبدالله صودر على ١٧،٠٠٠دينار، فقد ترك خدمة السلطان لكنه

كان قريباً من حامد وعلي بن عيسى ولم يجد عليه ممسكاً لمصادرته فطالبه بالمباغ السابق الباقي من مال مصادرته في وزارة ابن الفرات الثانية.

- أحمد بن محمد بن بسطام صهر حامد بن العباس صودر على ٣٠٠،٠٠٠ دينار ثم استتر.
- إبراهيم بن عيسى وكان متعطلاً، فصادره على ١١،٠٠٠ دينار بقيت من مال مصادرته السابقة، ثم صادره مصادرة مجددة على ٢٠،٠٠٠ دينار، ونفي إلى البصرة، وقيل إنه سمَّ بالطريق فمات. وأخرج أخاه عبيد الله إلى الكوفة وكان عليلاً ومع هذا وقع تحت تعذيب المحسن.
- وصودر كاتب ابن الحواري على ١٠٠،٠٠٠دينار ومات تحت التعذيب. وافتدى كل من أبي الحسين بن أبي البغل عامل فارس وزيد بن إبراهيم عامل كرمان نفسيهما بمبلغ من المال خوفاً من انفاذهما إلى المحسن.
- وصودر أبو زنبور الحسين بن أحمد المادرائي عامل مصر والشام على مليون وسبعمائة ألف دينار، وقد أحسن إليه ابن الفرات على أمل أن يدعي أن على بن عيسى

كان يرتفق منه لكنه رفض ذلك. كما حظي بعناية المحسن لأنه حمل إليه مالاً جليلاً وثياباً فاخرة وجواهر نفيسة وخدماً رُوقةً[١]. وكان المبلغ المتحصل من هذه المصادرات ٨،٠٤٠،٠٠٠ دينار[٢].

والغريب أن المقتدر أظهر حماساً لأفعال المحسن فخلع عليه خلع المنادمة، وأجرى لـــه في الشهر راتباً مقداره ألفي دينار زيادة على رزق الدواوين[٣].

ظهرت بعد عزل حامد توقيعات مزورة على علي بن عيسى فعرضها على المقتدر الذي أمره بعدم تمشية أي منها إلا بعد إطلاعه عليها ليأمره بما يرى[٤].

لما بدأت وزارة ابن الفرات الثالثة بالتضعضع أخذ المحسن كل من كان محبوساً عنده من المصادرين فقتلهم لأنه كان قد أخذ منهم أموالاً جليلةً لم يوصلها إلى المقتدر فخاف أن يقروا عليه[٥].

ولم يعترف المحسن وابن الفرات أثناء مناظرتهما بما لهما من مال فلم يقر ابن الفرات من ودائعه إلا ١٥٠،٠٠٠ دينار وأخذ خطه بمليوني دينار وقتلا ولم يحصل منهما كثير مال[٦].

يفترض بالوزير الجديد أبو القاسم الخاقاني أن يتوسع بما وجد من مال مصادرات سلفه، لكن الظاهر أن أغلب هذه الأموال ذهبت ووجّه الوزير الجديد بالغلاء، وانقطاع المؤن عن بغداد، وشغب الجند، وعجز عن تأمين ١٠٠،٠٠٠ دينار مما تطلب مساعدة عاجلة من بيت مال

---

(١) الصابي، الوزراء، ص٤٤-٥٢.
(٢) الدوري، تاريخ العراق، ص٢٦٤.
(٣) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٩٣.
(٤) الصابي، الوزراء، ص١٣٦-١٣٧ .
(٥) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٢٣. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص١٩.
(٦) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٢٥. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٤٢. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٢٢٦-٢٢٧.

الخاصة لتمشية الأوضاع[١]. فسقطت وزارته سنة (٣١٣هــ/٩٢٥م) وتقلد الخصيبي الوزارة فجعل همه في المصادرات وبالغ في ذلك فأخذ المال من كل مَنْ له فضل نعمة بأتعس ما يكون الأخذ والشدة[٢]. ولم تسلم منه النساء فقد صادر زوجة المحسن وبنات ونساء آل الفرات مما أثار استنكار خلفه علي بن عيسى[٣].

تولى علي بن عيسى الوزارة في محرم سنة (٣١٥هــ/٩٢٧م)، فقام بالنظر بالأعمال بنفسه ليلاً ونهاراً، واستعان بالكفاة من العمال[٤]. وأظهر المقتدر رغبةً بإبقاء الكلوذاني على ديوان السواد، ومحمد بن يوسف على القضاء[٥]. وتمكن علي بن عيسى من تسيير إدارته بالمصادرات وأموال الضمان، إذ وصل من مال فارس مليون درهم وأدى نصير بن علي ٢٠٠،٠٠٠ درهم، وأحمد بن إسحاق ١٠،٠٠٠ دينار ثم ورد فيج بحمل ٨٠،٠٠٠ دينار، وورد المال من مصر، ومن قبل أبي علي بن رستم من مال أصبهان مبلغ ٤٠٠،٠٠٠ درهم[٦]، كما بلغت أموال مصادرات الخصيبي وأسبابه مليون دينار[٧] ثم أخذ بمناظرة الخصيبيّ الذي لم يكن على علم بمقدار الدخل والخرج للنواحي، وما وصل لبيت المال ومع هذا لم تظهر عليه خيانة في مال السلطان[٨] فصودر على ٤٠،٠٠٠ دينار[٩]. وحاول علي بن عيسى أن يوازن بين الدخل والخرج بإسقاط من لا يحمل السلاح من الجند، ومن أثبت اسمه من أولاد المرتزقة وهو

---

(١) الصابي، الوزراء، ص٦٦. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٥٩.
(٢) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٢٧-١٢٨.
(٣) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٤١ و١٥٥.
(٤) ن.م.، ج١ص١٥١-١٥٢. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص٢٨. النويري، نهاية الأرب، ج٢٣ص٧٦.
(٥) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٣٠.
(٦) ن.م.، ص١٢٩. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٤٩-١٥٠. الصابي، الوزراء، ص٣٣٥-٣٣٦.
(٧) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٥٣.
(٨) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٣٠.
(٩) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٥٦.

في المهد، وأرزاق المغنين والندماء وغيرهم[١]. كما أسقط أرزاق الكتاب وأولاد الكتاب الذين يحضرون ولا يعملون، وغلمان وأسباب أصحاب الدواوين[٢]. واقتصر للغلمان والعمال بجاري عشرة أشهر، ولأصحاب البرد بجاري ثمانية أشهر[٣]. ووجد كاتباً لنازوك يرتزق في النوبة تسعمائة دينار فأسقطها عنه وقال: "رزقه على صاحبه"، وأسقط من رزق مفلح الأسود ألف دينار، وأقره على ألفٍ أخرى في النوبة، وكان المسؤول عن أمر السجون يرتزق ثمانمائة دينار فأقره على مائة وخمسين ديناراً، ولمن يخلفه ثلاثين ديناراً[٤]. فقد كان عليه أن يوفر رزق الرجالة البالغ ٨٠،٠٠٠ دينار سنوياً، ولرجال مؤنس ٦٠٠،٠٠٠ دينار، سوى الحُجْرية والحُجَّاب والحشم والفرسان والفراشين والطباخين[٥]. وقد امتنع علي بن عيسى عن رزق الوزارة[٦].

ولإثبات الداخل والخارج من بيت المال وضع عاملاً يتصل به مباشرة يومياً[٧]، ومع هذا لم يكن عمله محموداً لدى الخدم والحشم الذين تذمروا من سياسته[٨]، ثم كانت الزيادة التي أمر بها المقتدر للرجالة والبالغة ٢٤٠،٠٠٠ دينار سنوياً لحربهم القرامطة سنة (٣١٦هـ/ ٩١٨م) النهاية لوزارة علي بن عيسى[٩].

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٥٢. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص٢٨. النويري، نهاية الأرب، ج٢٣ص٧٦.

(٢) الصابي، الوزراء، ص٣٤٠.

(٣) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٥٢. الصابي، الوزراء، ص٣٤٠.

(٤) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٣١.

(٥) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٥٧.

(٦) ن.م.، ج١ص١٥٩.

(٧) ن.م.، ج١ص١٥١-١٥٢.

(٨) ن.م.، ج١ص١٥٧.

(٩) ن.م.، ج١ص١٨٤. الصابي، الوزراء، ص٣٤٠. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص٣٩-٤٠. النويري، نهاية الأرب، ج٢٣ص٧٩.

وظهر للوزارة عدد من المرشحين هم: الفضل بن جعفر، وابن مقلة، ومحمد بن خلف النيرماني. فاختير ابن مقلة من بينهم لمساندة نصر الحاجب له[١]، وقد علق علي بن عيسى على اختياره لأبي عمرو الشرابي الموكل به في حبسه: "أليس تدبير الخلافة إلى قوم مبلغ عقولهم أنهم يظنون أن ابن مقلة ينهض بما أعجز أنا عنه، ويستقل بما اتفادى منه، إنّا لله وإنا إليه راجعون، ذهبت والله الدنيا، وضاعت الأمور. فقال الشرابي: ما قدروا ذلك ولا توهموه، ولكنهم أرادوا من يأخذ أموال الناس، ويعطيهم إياها، ويطلقهم فيما منعتهم منه"[٢].

تمكَّن ابن مقلة في بداية وزارته من توفير أرزاق الجند من الأموال التي بعث علي بن عيسى يطلبها من الأهواز والبالغة مليون وخمسين ألف درهم[٣]، كما استعان بمعظم الطاقم الإداري لسلفه[٤]. هذا الوضع المستقر في الظاهر لوزارة ابن مقلة لم يستمر فقد خلع المقتدر سنة (٣١٧هـ/٩٢٩م) وأعيد بعد يومين[٥] وقد ارتبكت الناحية المالية تماماً مما اضطر الخليفة لبيع ضياعه وفرشه وآلاته بأقل الأثمان تلبيةً لطلبات الجند[٦]، فأطلق المقتدر مال البيعة مجدداً للرجالة ست نوب وزيادة دينار، وللفرسان ثلث رزق وزيادة ثلاثة دنانير لكل فارس[٧]. وبهذا يكون الفرسان وحدهم قد حصلوا على مليونين وستين ألف دينار، بالإضافة إلى مبلغهم السنوي البالغ مليوني دينار.

---

(١) الصابي، الوزراء، ص٣٤١-٣٤٣. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٢٧٢. ابن الأثير، الكامل، ج٧ ص٤٠.

(٢) الصابي، الوزراء، ص٣٨٧.

(٣) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٨٦-١٨٧.

(٤) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٣٥-١٣٦.

(٥) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٩٣-١٩٥. الهمذاني، التكملة، ج١ص٦٠-٦١. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٢٨٠.

(٦) التنوخي، النشوار، ج١ص٢٨٤-٢٨٥. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٤٤-١٤٥. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٩٩-٢٠١.

(٧) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٤٤-١٤٥. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٩٩.

أصبح تدارك الأزمة المالية أمراً مستحيلاً فكانت السبب المباشر لإسقاط الوزارات التي لم تصمد أمامها إلا أقل من سنة، فوزارة سليمان بن الحسن (٣١٨هـ-٣١٩هـ/٩٣٠-٩٣١م) سقطت بسبب الأزمة المالية، وشغب الجند[١]. ولم يستمر خلفه الكلوذاني في الوزارة سوى شهرين، وسقطت وزارته لنفس الأسباب سنة (٣١٩هـ/٩٣١م)، وقد أظهر الكلوذاني أن الدولة تعاني من عجز بلغ ٧٠٠،٠٠٠ دينار، ولم يستطع الخليفة تقديم أية مساعدة له[٢].

سعى الحسين بن القاسم للوزارة وضمن القيام بكافة النفقات بالإضافة إلى مليون دينار لبيت مال الخاصة[٣]. لكن الظروف السياسية والمالية ما كانت لتسمح للحسين بن القاسم بالقيام بما ضمن ، فمعظم النواحي والأقاليم تعاني من الإضطراب السياسي، وظهور المتغلبة.

وقد اشتدت الأزمة المالية في وزارته فقام بما لم يقم به أحد من قبله إذ باع من الضياع السلطانية بنحو ٥٠٠،٠٠٠ دينار، كما قام بعمل لارتفاع النواحي وما يقدر حصوله منها، فأمر المقتدرُ الخصيبيَّ بتتبع عمله فوجده أضاف إلى ما يقدر حصوله من النواحي أموال نواحٍ خرجت عن يد السلطان بظهور المتغلبة فيها، وما لم يحمل من ديار مضر ومصر والشام منذ أربع سنين، وأسقط من النفقات الزيادة التي زادها للجند والحاشية، ولم يسقط من الأموال التي قدر حصولها من النواحي ارتفاع ما باع من الضياع، وذلك ليجعل التقدير مقارباً لارتفاع النواحي ليسكن بذلك قلب المقتدر[٤].

---

(١) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٥٦-١٥٧ و١٦١. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢١١. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص٦٤-٦٥.

(٢) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٦٤. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢١٨-٢١٩. ابن الطقطقي، الفخري، ص٢٦٧.

(٣) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢١٩. الهمذاني، التكملة، ج١ص٦٤. النويري، نهاية الأرب، ج٢٣ص٩٥.

(٤) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٢٧-٢٢٨. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص٧٢. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣٧٦.

ولما عجز عن إتمام نفقات سنة (٣١٩هـ/٩٣١م) استسلف من مال سنة (٣٢٠هـ/ ٩٣٢م) قبل افتتاحها بشهور، ولم يعد للدولة دخل حتى افتتاح سنة (٣٢١هـ/٩٣٣م) سوى مليون درهم من ضمان السواد والأهواز وفارس هذا إن حصّل كاملاً كما قُدِّر(١). كما اتفق مع كاتب ابني رائق، وكل من سعى له بالوزارة على أخذ نصف أموال الأهواز وفارس وأصبهان(٢).

هذا الوضع جعل خلفه في موقف حرج للغاية فقد نهب الجند دور الوزير الفضل بن جعفر، واشتد الغلاء ببغداد لمنع أبي طاهر القرمطي ومؤنس الغلات من النواحي(٣). فلما جلس القاهر للخلافة سنة (٣٢١هـ/٩٣٣م) لم يجد مالاً يطلقه للبيعة، ولا ثياباً للجلوس للعامة، فنزع جعفر بن الورقاء ثيابه، ولبسها القاهر(٤).

ولتحقيق دخل متزن وثابت للدولة كان لا بد من الإلتفات إلى الناحية الزراعية، ولقد كان وزراء المقتدر يدركون أهمية هذه الناحية. فأُولى واجبات الوزير العمارة والتوفير(٥)؛ لأن الغلات الزراعية تتحمل العبء الرئيسي من الضرائب(٦). ولكن لم تنشأ سياسة زراعية موحدة، وإنما كانت التدابير فردية(٧).

ولعل الوزير علي بن عيسى من أكثر وزراء المقتدر عناية بالفلاحين وأوضاعهم، فقد افتتح عهده سنة (٣٠١هـ/٩١٣م) بتعميم منشورٍ على العمال يدعوهم فيه إلى حسن تدبير نواحيهم وتثميرها، مع إشاعة العدل وإنصاف الرعية، وأنه مع هذا لن يستهين بحقوق

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٢٧-٢٢٨.
(٢) ن.م.، ج١ص٢١٩-٢٢٠.
(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام (٣١١-٣٢٠هـ)، ص٣٩٤. ابن تغري، النجوم الزاهرة، ج٣ص٢٦٣.
(٤) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٨٣.
(٥) التنوخي، النشوار، ج٨ص٤٩-٥٠.
(٦) ديمومبين، النظم الإسلامية، ص٢٤١.
(٧) الدوري، تاريخ العراق، ص٥٠.

السلطان[١]، ومن هنا قام بعزل العمال الذين قصروا في عمارة نواحيهم، أو امتدت أيديهم إلى الضياع السلطانية[٢].

لهذا نجد علي بن عيسى يركز على العدل في معاملة الرعية. وهي نظرة ابن الفرات الذي كان يرى أن العمارة بالرغبة، وحفظ الغلة بالرهبة[٣]، وكان يرغب بالسير سيرة الإحسان والمسامحة مع الفلاحين فيسقط عنهم ثلاثة أقفزة[٤] في كل كر لكنه كان يخشى ألا تقع مثل هذه التوجهات موقعها الذي يؤمل[٥].

ويتلازم مع العدل الرفق في الجباية التي كثيراً ما كانت عنيفة ومرهقة[٦]، ومن هنا تكررت الإشارات الداعية إلى الرفق وإنصاف الفلاحين، إذ قيل أن بعض عمال بادوريا طالبوا ببقايا خراج مستحق فماطل الفلاحون بذلك فحبسوا وقيدوا، ولم يجسر العامل على ضربهم خوفاً من علي بن عيسى، ولما كتب إليه بالصورة جاءه جواب الوزير: "الخراج -عافاك الله- دين، وليس يجب فيه غير الملازمة فلا تتعد ذاك إلى غيره". فلما علموا بجواب الوزير ارتفع وارد بادوريا ذلك العام حتى زرعوا السطوح ثقة بالعدل والإنصاف[٧]. وكتب لأحد العمال أن يتحرى الحق ويتوخى الرفق في الجباية[٨].

كما سار على سياسة تسليف البذور للفلاحين[٩]، واهتم بكري الأنهار وسد البثوق[١٠]. وهذا الجانب حظي باهتمام ابن الفرات، إذ كان ينفق عليه بسخاء، ويوفر لذلك ما يحتاج من

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٧-٢٨. الصابي، الوزراء، ص٢٨٦-٢٨٧.
(٢) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٨. الجاجرجي، نكت الوزراء، ص٧٩.
(٣) الصابي، الوزراء، ص٨٣.
(٤) القفيز: مقياس للأرض يساوي ١/١٠ الجريب ويساوي اليوم ١٥٩,٢م٢. هنتس، المكاييل، ص٩٨.
(٥) الصابي، الوزراء، ص٢٢٣.
(٦) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج١ص١١٢. الدوري، تاريخ العراق، ص١٩٧.
(٧) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٣١. الصابي، الوزراء، ص٣٧٢-٣٧٣.
(٨) التنوخي، النشوار، ج٨ص١٣٠.
(٩) ن.م.، ج٨ص٦٦. الصابي، الوزراء، ص٣٣٨.
(١٠) الصابي، الوزراء، ص٢٨٠. الجاجرجي، نكت الوزراء، ص٧٩.

المهندسين والآلات[١].

وكان علي بن عيسى ينظر في الشكاوى التي يتقدم بها الفلاحون، من ذلك شكوى بعضهم من تلف غلاتهم بالآفة، فأمر بالنظر في أمرهم وتخفيف الضريبة عنهم، مع التوصية باستيفاء الخراج من غير محاباة للأقوياء ولا حيف على الضعفاء[٢]. وتظلم إليه جماعة من فلاحي ديار ربيعة على ما عوملوا عليه سنة (٣١١-٣١٣هـ/٩٢٣-٩٢٥م) من إكراههم على تضمن غلاتهم بالحزر والتقدير، واستخراج الخراج منهم على أعلى نسبة قبل إدراك غلاتهم. فأمر بإزالة هذه السنن الجائرة والعودة بالضرائب إلى ما كانت عليه، مع موافاته بكل ما يحدث[٣]. كما شكى أهالي بادوريا لحامد بن العباس بأنهم يدفعون ثلاثة دراهم على حمل النخلة وأنهم يبيعون ثمرها بدرهمين[٤]. ولما تظلم أرباب النخل من أن الخراج يجبى قبل إدراك الثمار أمر علي بن عيسى بتأخيره[٥].

واهتم علي بن عيسى بمساحة الأرض لأن ذلك يحدد مقدار الضريبة المفروضة عليها فقد تظلم أحد الزراع من النهراونات من الزيادة في مساحته فأمر بإعادة مسحها، فبلغت أحدى وعشرين جريباً[٦] وقفيزاً وبلغت بالمسح اثنين وعشرين جريباً، فاحتج العمال بأن المسح الأول كان قبل الحصاد والثاني بعده فجاءه كتاب علي بن عيسى بالويل والوعيد إن تكرر ذلك[٧].

الظاهر أن الكثير من الأراضي في أواخر حكم المقتدر عانت من الإهمال نتيجة للإضطراب الداخلي وفساد سياسة بعض الوزراء أو تعرضها للإقتطاع إذ يرى الفضل بن جعفر

---

(١) الصابي، الوزراء، ص٢٣٩ و٢٨٠.
(٢) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٨.
(٣) الصابي، الوزراء، ص٣٦٣.
(٤) التنوخي، النشوار، ج٨ص٩٧.
(٥) العلوجي، الوزرات، المجمع العلمي العراقي، مج١٩، ١٩٧٠، ص١٥٣.
(٦) الجريب: مقياس للأرض يساوي ١٥٩٢م^{2}. هنتس، المكاييل، ص٩٦.
(٧) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٣٠.

انه لو أمكن من ضياع عمه ابن الفرات التي أصبحت تغل ثلث ما كانت تغل سابقاً لتمكن بعمارتها من عمارة الدنيا(١). كما أثرت الظروف الطبيعية على الناحية الزراعية فنتيجة للفيضان الذي أصاب نهر دجلة سنة (٣١٠هـ/٩٢٢م) غرقت مساحات واسعة من الأراضي الزراعية والقرى(٢)، وفي سنة (٣١٢هـ/٩٢٤م) شحت الأمطار حتى سميت السنة بسنة الحبس(٣). وتعرضت بغداد سنة (٣١٤هـ/٩١٦م) لموجة شديدة من البرد أعقبها سقوط ثلج كثير أدى إلى تلف أكثر نخيل بغداد وسوادها، وأصاب الأشجار المثمرة بأضرار بالغة كما أدى سقوط الثلج بكميات هائلة إلى ارتفاع مناسيب نهر دجلة، وحدوث الفيضانات(٤).

لا بد من الحديث عن سياسة الضمان التي سارت عليها الدولة منذ خلافة المعتضد لتأمين الحاجات الأساسية للخلافة(٥)، فقد لجأت الدولة لضمان أراضيها للولاة والقادة مقابل مبلغ سنوي يحمل لبيت المال(٦). هذا التوجه كان ينبيء بضعف الدولة السياسي لأن الضامن يكون في الواقع قد أحكمَ سيطرته على الأراضي التي تضمنها وكثيراً ما كان لا يفي بأداء مال ضمانه(٧)، ومن جهة أخرى ينبيء الضمان بالضعف المالي للدولة، لأن الوزراء اعتمدوا في تسيير شؤونهم على المعجل من أموال الضمان(٨) بل أن الوزراء في أواخر خلافة المقتدر اعتمدوا بشكل أساسي على الأموال المقدمة من الضُّمان كما هو الحال في وزارة كل من ابن مقلة (٣١٦-

(١) التنوخي، النشوار، ج٨ص٢٥.
(٢) الهمذاني، التكملة، ج١ص٣١.
(٣) الصولي، أخبار المقتدر، ص٢٣١.
(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٢٥٥-٢٥٦. ابن كثير، البداية، ج١١ص١٥٣-١٥٤.
(٥) الصابي، الوزراء، ص١٤.
(٦) انظر مثلاً، الصولي، أخبار المقتدر، ص٢٢١. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٦ و٥٠ و١٥٧ و٨٢-٨٣.
(٧) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٤٥ و٥٠.
(٨) ن.م.، ج١ص١٨٦.

٣١٨هـ/٩٢٨-٩٣٠م) [١]، والكلوذاني (٣١٩هـ/٩٣١م) [٢]، والفضل بن جعفر (٣٢٠هـ/ ٩٣٢م) [٣].

وفي العادة ما يكون المبلغ المتحصل من الضمان أقل بكثير من الخراج الذي يستولون عليه فقد كان يفضل عن ضمان حامد بن العباس أكثر من مليون دينار[٤]، ناهيك عن حياة البذخ التي كان يعيشها الضامنون، إذ أهدى حامد بن العباس للمقتدر سنة (٣١٠هـ/٩٢٢م) البستان المعروف بالناعورة الذي أنفق عليه مائة ألف دينار[٥]. وقد تسبب ضمانه بموجة غلاء وهياج في بغداد سنة (٣٠٨هـ/٩٢٠م)[٦].

وخلف علي بن أحمد الراسبي المتقلد للأعمال من حد واسط إلى شهرزور وجندي سابور والسوس وبادوريا (٣٠١هـ/٩١٣م) مليون دينار[٧].

الإشراف على الجيوش وتولية العمال:

لقد مارس الوزراء في خلافة المقتدر بالإضافة إلى سلطاتهم المدنية الإشراف على الجيش وتوجيه الحملات ففي سنة (٢٩٧ هـ/٩٠٩م) وجد ابن الفرات أن أعمال فارس وكرمان خارجة عن يد السلطان لا يحمل من مالها إلى المركز إلا النزر اليسير، فأشار على المقتدر بإعادة فتحها خاصةً بعد أن تغلب عليها سُبكري فوجه الوزير الجيوش بقيادة مؤنس الخادم وفتحت سنة (٢٩٨هـ/٩١٠م) [٨]. وكلف إعادة فتح فارس خزينة الدولة أربعة ملايين دينار[٩].

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٢٩ و١٨٦-١٨٧.

(٢) ن.م.، ج١ص٢١٣.

(٣) ن.م.، ج١ص٢٢٩.

(٤) ن.م.، ج١ص٦٣. الصابي، الوزراء، ص١٠٤. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٩٧.

(٥) الصولي، أخبار المقتدر، ص٢٢٥. الهمذاني، التكملة، ج١ص٢٢.

(٦) الصولي، أخبار المقتدر، ص٢٢٤. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٨٤-٨٥. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٧٣-٧٥. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص١٩٤.

(٧) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٦٦. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص١٤٧-١٤٨.

(٨) الصولي، أخبار المقتدر، ص٢٠٠-٢٠١. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٥٤-٥٥. الصابي، الوزراء، ص٣١٧. مجهول، العيون، ج٤ق١ص١٩٩-٢٠٣.

(٩) الصولي، أخبار المقتدر، ص١١٦.

وفي سنة (٣٠١هـ/٩١٤م) سار علي بن عيسى في ألف فارس لغزو الصائفة[١]. وعندما أوقع القرمطي بالحجاج سنة (٣١١هـ/٩٢٣م) قام ابن الفرات بتنظيم إرسال فرق من الجيش، وتوفير ما تحتاج إليه من مال وعتاد[٢]. ولما تجدد خطر القرامطة سنة (٣١٥هـ/ ٩٢٧م) قام علي بن عيسى بتوفير كل ما يحتاج إليه جيش ابن أبي الساج من الميرة والسلاح[٣]، ورتب أصحاب البرد ليكون على اطلاع بتحركات العدو ساعةً بساعة[٤]، ونشر فرق الجيش حول بغداد لحمايتها ومنع تقدم القرمطي[٥]، وأمر نازوك بالتطواف بجنده في العاصمة للحفاظ على الأمن والاستقرار[٦].

كما يشرف الوزير على الولايات التي تتألف منها الدولة من خلال الدواوين الإقليمية. إذ كان لكل ولاية ديوان مختص بها في العاصمة يشرف على شؤونها[٧]. وعلى رأس كل ولاية رجلان: الأمير وهو القائد الجيش في الولاية، وإليه إمامة الصلاة والخطبة، وهذا يجعله رئيساً للمسلمين في الولاية، والعامل الذي يطلق عليه صاحب الخراج أو عامل الخراج[٨]، ويتولى سد نفقات الولاية من خلال خراجها الذي يجبيه ويرسل الباقي إلى العاصمة[٩]. وقد تجمع الوظيفتان بيد رجل واحد[١٠]. والظاهر أن الدولة كانت تحرص على الفصل بين الناحية الإدارية والمالية من خلال وظيفتي الأمير والعامل لتضمن تبعية الولاية ووصول المال. لأن اجتماع الوظيفتين بيد رجل واحد أو اجتماع الأمير والعامل على مصلحة واحدة كان يعني أحياناً استقلال الولاية

---

(١) ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣٨٤-٣٨٥.
(٢) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٢٢.
(٣) ن.م.، ج١ص١٧٢-١٧٣.
(٤) ن.م.، ج١ص١٧٩.
(٥) ن.م.، ج١ص١٧٥-١٧٦.
(٦) ن.م.، ج١ص١٧٩.
(٧) السامرائي، المؤسسات الإدارية، ص١٦٥.
(٨) الدوري، دراسات، ص١٩١.
(٩) الصابي، الوزراء، ص٨١.
(١٠) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٦٦.

كما حصل سنة (٣١٩هـ/٩٣١م) عندما تظافر العامل والأمير بفارس وكرمان على قطع حمل الأموال إلى العاصمة واستمرا على ذلك حتى سنة (٣٢٢هـ/٩٣٤م)[١].

هؤلاء العمال يتم تعيينهم من قبل الوزير فيختار من يثق بهم ويقلدهم وفي الغالب يعزلون بمجرد عزل الوزير[٢]. فعندما تقلد ابن الفرات الوزارة سنة (٣٠٦هـ/٩١٨م) أرسل علي بن أحمد بن بسطام والياً على مصر، وأمره بالقبض على عمال علي بن عيسى الحسين بن أحمد ومحمد بن علي الماذرائيان[٣].

وانتشرت طريقة الضمان في الجباية ففي سنة (٢٩٧هـ/٩٠٨م) قلد ابن أبي الساج أرمينيا وأذربيجان بضمان قدره ١٢٠،٠٠٠ دينار[٤]. وفي وزارة حامد بن العباس الذي كان وزيراً وضامناً[٥] اتسع استعمال الضمان فقد تضمن أحمد بن محمد بن رستم أصبهان بزيادة ١٠٠،٠٠٠ دينار على ضمانه السابق[٦]. وكانت فارس في ضمان ابن أبي القاسم بن بسطام[٧]. ونتيجةً لضعف الدولة سياسياً ومالياً بدأت تقر المتغلبة على الولايات التي يظهرون بها مقابل مالٍ يقاطعون عليه، فعندما تغلب سبك غلام ابن أبي الساج على أذربيجان أقره الوزير ابن الفرات مقابل ٢٢،٠٠٠ دينار سنوياً[٨]. وفي سنة (٣٠٤هـ/٩١٦م) أعلن أحمد بن علي أمير قم العصيان، وتغلب على الري ثم شرع بمراسلة الخلافة للإعتراف به فقلد أعمال الخراج في

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢١١.
(٢) ن.م.، ج١ص٤٢.
(٣) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٦٥ و١٩٧-١٩٨.
(٤) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٦.
(٥) الصولي، أخبار المقتدر، ص٢٢٤. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٩.
(٦) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٦٠.
(٧) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٧٨.
(٨) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٥٠.

دنباوند وقزوين وزنجان وأبهر لقاء ١٦٦،٠٠٠ دينار محمولة إلى الحضرة سنوياً[١]. وفي نفس السنة تغلب كثير بن أحمد على أعمال سجستان فأرسل يطلب المقاطعة على مال يحمله كل سنة فقوطع على ٥٠٠،٠٠٠ دينار[٢].

اختلف الحال مع ابن أبي الساج سنة (٣٠٤هـ/٩١٦م) إذ ادعى أن علي بن عيسى أنفذ إليه اللواء والعهد عن المقتدر بتقليده أعمال الحرب بالري وقزوين وزنجان وأبهر أنكر علي ابن عيسى هذا فلم يقبل المقتدر بأي حل وسط إلا أن يطأ ابن أبي الساج البساط بالحضرة أسيراً، وهو ماحصل سنة (٣٠٧هـ/٩١٩م) [٣]، وبقي بالسجن لغاية سنة (٣١٠هـ/٩٢٢م)، ولما عفا عنه المقتدر قلده أعمال الصلاة والمعاون والخراج والضياع بالري وقزوين وزنجان وأبهر وأذربيجان وقوطع عن هذه الأعمال على ٥٠٠،٠٠٠ دينار سنوياً[٤].

وفي وزارة أبي علي الخاقاني (٢٩٩-٣٠١هـ/٩١١-٩١٤م) كان يتم تعيين العمال دون النظر لكفايتهم وإخلاصهم وإنما بمقدار المرفق المقدم إذ كان يقلد في أسبوع واحد عدةً من العمال[٥]. ومما زاد من إرباك إدارته اشتراك بعض الأشخاص مع الوزير في اختصاصاته فقد "توصل الأشرار إلى كتب الرقاع على يد أم موسى إلى المقتدر يخطبون الأعمال، ويتضمنون الأموال، فخرج الأمر إلى الخاقاني بتقليدهم ذلك؛ فانتشر أمره وشاركه الأشرار في النظر"[٦]. وعلى رأسهم أبو الهيثم بن ثوابة الذي تغلب على الأمور فصار يصرف عمال الوزير ويولي من

---

(١) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٧٣. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٥١-٥٢.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٦ص٤٩٤-٤٩٥. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣٧.

(٣) الصولي، أخبار المقتدر، ص٢٠٠-٢٠١ و٢٠٩ و٢١٩. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٤٧-٥٠.

(٤) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٨٢-٨٣.

(٥) ن.م.، ج١ص٢٣. الصابي، الوزراء، ص٢٨٥-٢٨٦. الهمذاني، التكملة، ج١ص٢١.

(٦) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٥.

يريد[١]. وقريب من هذا ما فعله حامد بن العباس مع ابن الحواري فقد قلده أعمال عطاء العساكر لسائر نواحي المغرب لما ظهر تمكنه من المقتدر[٢]. ولما خشي أبو علي الخاقاني من أم موسى القهرمانة بعد أن أفشل سعيها لابن أبي البغل بالوزارة سعى لإرضائه وأخيه بأن قلد أحدهما أعمال الخراج والضياع بأصبهان، وقلد الآخر أعمال الصلح والمبارك فيها[٣]. وبقيا يستعملان حتى سنة (٣١٠هـ/٩٢٢م) عندما قبض على أم موسى القهرمانة، فصرف علي بن عيسى ابن أبي البغل عن أعماله بفارس، وقلدها لأبي عبد الله جعفر بن القاسم الكرخي[٤].

سار علي بن عيسى على سياسة استشارة المقتدر في تعيين الولاة وعزلهم. فعندما تظلم أهل البصرة من عاملهم محمد بن اسحاق بن كنداج استأمر المقتدر في عزله[٥]. وفي سنة (٣١٥هـ/٩٢٧م) أشار على المقتدر بتقليد ياقوت أعمال الحرب والمعاون بفارس، وتقليد محمد بن عبد الصمد أعمال المعاون بكرمان[٦]. وكان علي بن عيسى يعزل العمال الذين يقصرون في عمارة نواحيهم[٧]، أو لا يحسنون ضبطها[٨].

وقد يرتبط تعيين بعض العمال بظروف خاصة فقد قلد ابن أبي الساج الخراج والضياع بنواحي همذان وساوة ورُوزة وقم وماه البصرة وماه الكوفة وماسبذان ومهرجانقذق بالإضافة إلى ضمانه على أرمينيا وأذربيجان للإستعانة بأموال تلك النواحي في مواجهة القرامطة[٩]. وقلد

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٤-٢٥.
(٢) ن.م.، ج١ص٦٨.
(٣) ن.م.، ج١ص٢٢. الصابي، الوزراء، ص٢٩٦.
(٤) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٨٤.
(٥) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٤٢.
(٦) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٥٧.
(٧) ن.م.، ج١ص٢٨. الجاجرجي، نكت الوزراء، ص٧٩.
(٨) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٤٦.
(٩) ن.م.، ج١ص١٤٧-١٤٨.

أبو القاسم الخاقاني سنة (٣١٢هـ/٩٢٤م) علي بن عيسى الإشراف على مصر والشام بتوصيةٍ من مؤنس الخادم[١]، وأقره الخصيبي عليهما[٢]. في حين تقلد البريديون أعمالهم على الأهواز والسوس وجند يسابور وغيرها بعد مرفق دفعوه[٣].

النظر في المظالم:

كان الخلفاء العباسيون يتولون النظر في الشكاوى التي يتقدم بها الشعب ضد القادة ورجال الدولة، وآخر من جلس للمظالم الخليفة المهتدي بالله (٢٥٥-٢٥٦هـ/٨٦٨-٨٦٩م)[٤] إذ عهدوا بذلك إلى الوزراء أحياناً. وفي خلافة المقتدر انفرد الوزراء في النظر في المظالم حتى غدت من اختصاصات الوزير وأصبح سلبها تجاوزاً على اختصاصاته. فقد أفرد المقتدر علي بن عيسى بالنظر في المظالم طيلة وزارة سليمان بن الحسن (٣١٨-٣١٩هـ/٩٣٠-٩٣١م). والكلوذاني (٣١٩هـ/٩٣١م) [٥]. وهذا لم يعجب الحسين بن القاسم واشترط على المقتدر لقبوله الوزارة "ألا ينظر علي بن عيسى في شيءٍ من الأمور، ولا يجلس للمظالم"[٦].

وأفرد يوم الثلاثاء للنظر في المظالم[٧]. وكان أبو الحسن بن الفرات يجلس للمظالم بصحبة الوزير القاسم بن عبيد الله (٢٧٧-٢٨٨هـ/٨٩٠-٩٠١م) وكان يظهر حنكةً وذكاءً في التعامل مع الكثير من الشكاوى، وكثيراً ما كان الوزير يأخذ بأحكامه[٨]. واستمر ابن الفرات على هذا النهج في مختلف وزاراته. وكان ينظر للقضايا التي تعرض عليه بنفسه. فعندما نهب

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٤١.

(٢) ن.م.، ج١ص١٤٦.

(٣) ن.م.، ج١ص١٥٨.

(٤) الماوردي، الأحكام، ص١٢٩.

(٥) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢١٢.

(٦) ن.م.، ج١ص٢١٩.

(٧) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٧١. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٣٠.

(٨) التنوخي، النشوار، ج٥ص٦٢-٦٣. الصابي، الوزراء، ص١٢٤-١٢٥.

أحد الوكلاء مالاً لبنات محمد بن سعيد بن الأزرق الذي مات في الحبس لمشاركته في فتنة ابن المعتز رق لحالهن، وعني بأمرهن حتى رد أموالهن[١]. ولما خوطب بشان أسماء بنت عيسى أخت علي بن عيسى وعرف رقة حالها أمر برد الضياع المقبوضة عن محمد بن داود إليها، وأجرى عليها خمسمائة درهم في الشهر[٢]. كما جلس ابن مقلة بنفسه للنظر في الظالم[٣]. لكن في وزارة الخصيبي (٣١٣-٣١٤هـ/٩٢٥-٩٢٦م)، نتيجة إهماله النظر في الأمور أمر بعمل مختصرات لما يرد عليه في قصص المتظلمين؛ لتعرض عليه ثم يوقع عليها، ثم أوكل قراءة قصص المتظلمين لكتابه[٤].

تراجع الوزارة:

بدأت الوزارة تتراجع وتفقد هيبتها، تحت وطاة الأزمة المالية، وشغب الجند، كما لعب الوزراء أنفسهم دوراً في زعزعة منصب الوزارة بتحاسدهم، وتآمرهم، ومصادرتهم لبعضهم، مما فتح المجال لازدياد نفوذ الجيش وأخذت المؤسسة الإدارية تفقد مع الزمن تأثيرها في توجيه الدولة.

لقد بدأت المؤشرات على بروز قوة الجيش منذ تمكنه من قمع حركة ابن المعتز، وتثبيت المقتدر على العرش. لكن بروز بعض الوزراء الأقوياء كابن الفرات وعلي بن عيسى كان يحد من سيطرتهم، إلى أن وقع الصدام الفعلي في وزارة ابن الفرات الثالثة سنة (٣١١-٣١٢هـ/٩٢٣-٩٢٤م) فلقد أدت سياسة المحسن بن علي بن الفرات الدموية في المصادرات والتعذيب، وإطلاق يده في الدولة يفعل ما يشاء[٥] -ويبدو ان ذلك كان بتأييد خفي من أبيه-[٦]

(١) الصابي، الوزراء، ص١٦٥-١٦٦.

(٢) ن.م.، ص١٦٦. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢ص٢٠١.

(٣) التنوخي، النشوار، ج٥ص٦٢.

(٤) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٤٤.

(٥) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٤١. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١١٣-١١٤. الصابي، الوزراء، ص٤٠-٤٤ و١٩٤-١٩٧.

(٦) الصابي، الوزراء، ص١٢٠-١٢١ و١٣٩.

إلى زعزعة وزارته. كما استجلب ابن الفرات عداء الخاصة بمحاولته التخلص من كبار رجال الدولة وعلى رأسهم مؤنس الخادم[١]. ثم اضطربت العاصمة نتيجة ماأقدم عليه القرمطي من قتل الحجاج فظهر الوزير خائراً ضعيفاً مما سمح للحاشية بالتطاول عليه أمام الخليفة[٢]. وبدا وكأن الوضع لا يتحسن إلا بقدوم مؤنس من الرقة، فلما قدم العاصمة خرج الجميع لاستقباله، ولم يتأخر عنه أحد بما فيهم الوزير ابن الفرات ولم تجر لــــه بذلك عادة، ولا لأحد من قبله. فلما علم مؤنس الخادم استعظم هذا، وخرج وتلقاه، وسأله أن ينصرف فلم يفعل حتى صعد طياره وهنأه. فلما همَّ بالخروج خرج معه مؤنس الخادم إلى أن نزل الوزير إلى طياره وقبل يده[٣]. هذه الظروف أدت إلى اجتماع رجال الدولة وإلى جانبهم الجيش على ضرورة التخلص من ابن الفرات، أو خلع الطاعة فاضطر المقتدر للخضوع لهم، وتم قتله وابنه المحسن سنة (٣١٢هـ/٩٢٤م)[٤]. ورغم أن الغاية هي التخلص من ابن الفرات وابنه إلا أن نازوك الموكل بهما عندما وصله توقيع الخليفة بقتلهما قال: "هذا أمر عظيم لا يجوز أن أعمل فيه بتوقيع". فلما أمر المقتدر بإمضاء ما كتب، رفض التنفيذ إلى أن يسمع مشافهة[٥]. وقد تم قتل ابن الفرات بتواطؤ من أبي القاسم الخاقاني[٦] الذي ظهر بعد تولية الوزراة كالتابع للحاشية وبدل أن يجلس في دار الوزارة جلس في دار الحجبة تقرباً ومداراةً لهم. وكذلك فعل علي بن عيسى وحامد بن العباس باستثناء ابن الفرات[٧].

---

(١) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١١١-١١٣. التنوخي، النشوار، ج٤ص٧٠-٧١. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١١٥-١١٧.

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٢١-١٢٢. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص١٩.

(٣) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٢٠. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٢٢-١٢٣. الصابي، الوزراء، ص٥٧-٥٨.

(٤) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٣٧-١٣٨. الصابي، الوزراء، ص٦١. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٢٢٥-٢٢٦.

(٥) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٣٨.

(٦) ن.م.، ج١ص١٣٦-١٣٧.

(٧) الصابي، الوزراء، ص٢٩١.

لم يكن أبو القاسم الخاقاني أهلاً لمنصب الوزارة فقد عجز عن تدبير النواحي المالية، وتوفير أرزاق الجند، كما وقع الغلاء في بغداد مما دفع الجند إلى الشغب والنهب، وأشرفت بغداد على فتنة عظيمة والظاهر أن الوضع كان خطراً فأمر المقتدر بإخراج ثلاثمائة ألف دينار من بيت مال الخاصة لتوزع على الجند، واعتمد على ياقوت في توزيعها دون الوزير(١). مما يدل على فقدانه لثقة الخليفة. وزاد مرضه من وهن وزارته مرضه فأخذ ابنه وكتابه ينوبون عنه في التدبير ولزوم دار الخلافة(٢)، وانضاف إلى هذا سعي الخصيبي للوزارة مبيناً معايب أبي علي الخاقاني وكتابه، وفساد تدبيره وتضييعه للأموال(٣).

إفتتح الخصيبي وزارته سنة (٣١٣هـ/٩٢٥م) بشغب الجند الذين رموه بالسهام، ولم يتخلص منهم إلا بجهد ولما جلس في مجلسه قال: "لعن الله من أشار بي لهذا الأمر وحسَّن دخولي فيه".(٤) فجعل همه تأمين أرزاق الجند فكثرت في عهده المصادرات، وأهمل ما دون ذلك من شؤون الدولة(٥).

وفي سنة (٣١٦هـ/٩٢٨م) طالب الجند بزيادة أرزاقهم لدفعهم خطر القرامطة عن العاصمة، فاضطر المقتدر إلى زيادة دينارٍ لكل جندي مما أفسد سياسة وزيره علي بن عيسى المالية فاضطر إلى تقديم استقالته(٦). خلال ذلك كان ابن مقلة يتقرب إلى نصر الحاجب ليرشحه

---

(١) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٢٥. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٤١-١٤٢. الهمذاني، التكملة، ج١ص٤٧.

(٢) ن.م.، ص١٢٥. ن.م.، ج١ص١٤٢. ن.م.، ج١ص٤٧.

(٣) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٤١-١٤٢. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٢٤٩.

(٤) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٢٧.

(٥) ن.م.، ص١٢٧. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٤٤-١٤٥. مجهول، العيون،ج٤ق١ص٢٢٧ و٢٣١.

(٦) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٨٤. الصابي، الوزراء، ص٣٤. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص٣٩-٤٠. النويري، نهاية الأرب، ج٢٣ص٧٩.

أمام الخليفة للوزارة، ورغم ترشيحه لابن مقلة فقد ظهر مستهيناً به حين قال للخليفة: "يُقلد فإن قام بالأمر كما يجب، وإلا فالصرف العاجل بين يديه"[١].

لم يسلم ابن مقلة في وزارته من شغب الجند فقد حاولوا قتله، وضربوه بالدبابيس[٢]. ثم ثاروا عليه مرةً أخرى سنة (٣١٨هـ/٩٣٠م) وأخذوا دواته، فهرب من بينهم بلا حذاء ولا رداء[٣].

بقي ابن مقلة في الوزارة بعد عودة المقتدر إلى الخلافة سنة (٣١٧هـ/٩٢٩م) وخلع عليه وعلى ولديه وقلدهما الدواوين، وكناه وكتب بذلك إلى الأطراف[٤]. ثم بدأ المقتدر يشك في وزيره لولائه لمؤنس، وفي محاولة منه للتخلص من مظهر من مظاهر سيطرة مؤنس استغل المقتدر خروجه إلى أوانا متنزهاً فأقصى ابن مقلة عن الوزارة، وكاد أن يقتله عندما طلب مؤنس إرجاعه للوزارة لولا وساطة علي بن عيسى[٥]. ورغب المقتدر باستيزار الحسين بن القاسم لكنه لم يحقق رغبته بسبب ضغط مؤنس الخادم فوقع الإختيار على سليمان بن الحسن[٦] وعمد المقتدر إلى تعيين علي بن عيسى للإشراف على الأعمال والدواوين فسلب الوزير كافة صلاحياته المالية والإدارية، وأصبح لا ينفرد سليمان بن الحسن بأمر، ولا يقلد أحداً أو يعزله إلا بموافقة علي بن عيسى[٧]. وهو ما حصل في وزارة الكلوذاني سنة (٣١٩هـ/٩٣١م) إذ أمر

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٨٤.
(٢) الأصفهاني، تاريخ سني، ص١٥٥-١٥٦. الهمذاني، التكملة، ج١ص٦٣.
(٣) الأصفهاني، تاريخ سني، ص١٥٧.
(٤) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٤٤. الهمذاني، التكملة، ج١ص٦١.
(٥) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٠٣-٢٠٥. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٢٩١. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص٦٠. ابن كثير، البداية، ج١١ص١٧٦.
(٦) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٠٤-٢٠٥. مجهول، العيون، ج٤ق١ص٢٥١. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣٧٥.
(٧) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٠٥. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص٢٩١.

المقتدر علي بن عيسى " بأن يجري على عادته في الإشراف على الأمور والحضور معه. وعرفه أنه قد أفرده بالنظر في المظالم دون الكلوذاني"[١]. الظاهر أن المقتدر لجأ لهذه الطريقة لاضطراره إلى استيزار أشخاص لا رغبة له فيهم مع ثقته بعلي بن عيسى وحسن تدبيره، وربما لقلة كفاءة بعضهم فسليمان بن الحسن استعظم الناس الوزارة عليه؛ لإظهاره اللفظ القبيح، والكلام السخيف بين يدي الخليفة مما يجل عنه الوزراء، فازدراه العام والخاص وهجاه الشعراء[٢].

ولما تمكن المقتدر من تحقيق رغبته باستيزار الحسين بن القاسم سنة (٣١٩هـ/ ٩٣١م)[٣] نجد الإنسجام بينهما فالمقتدر قبل بكافة شروطه قبل توليه الوزارة وذلك أن لا يشاركه علي بن عيسى في شيء من الأمور، وأن لا يجلس للمظالم[٤]. ولم يكتفِ بذلك بل طالب بنفيه إلى مصر أو سوريا فتم نفيه إلى الصافية رغم تدخل مؤنس الخادم[٥]. وبدت سياسة الوزير الجديد متفقة مع رغبات المقتدر بالتخلص من سيطرة مؤنس فقد قابل المقتدر مصادرة الوزير لمؤنس وأتباعه بالإرتياح. وكمكافأة لــه أمر بأن يكنى ويلقب بعميد الدولة، وضرب لقبه على الدنانير والدراهم[٦]. إلا أن الوزير بدأ يفقد هذه المكانة لسوء أدبه، وإهانته من قبل الحاشية، وسوء تدبيره فتم صرفه سنة (٣٢٠هـ/٩٣٢م) [٧].

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢١٢. الذهبي، تاريخ الإسلام (٣١١-٣٢٠هـ)، ص٣٨٩.

(٢) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٦١.

(٣) ن.م.، ص١٦٤. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢١٩. الهمذاني، التكملة، ج١ص٦٤. النويري، نهاية الأرب، ج٢٣ص٩٥.

(٤) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢١٩.

(٥) ن.م.، ج١ص٢٢٠-٢٢١.

(٦) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٢٣.

(٧) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٧٣. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٢٦-٢٢٨. الهمذاني، التكملة، ج١ص٦٦-٦٧.

لم يكن الحسين بن القاسم أهلاً لتولي منصب الوزارة، ولم يعرف بتدبير وسياسة[١]. وارتبط وصوله للوزارة بأساليب غريبة، ومن ذلك اتصاله بوراق محتال يدعى بالدانيالي يزور الكتابات، ويضع فيها إشارات ورموز ويدعي أنها ملاحم متوارثة عن آبائه. فأمره بعمل كتاب له ذاكراً وصفه وصفته مبرزاً لمزاياه وخصاله. وعن طريق هذا الكتاب استمال مفلح الأسود الذي قام بأمره لدى المقتدر[٢]. كما كان يمضي إلى كُتاب ابن رائق وشفيع ومؤنس ويضمن لهم الضمانات حتى صلحوا له. وقال لكاتب مؤنس: "إن تقلدت الوزارة فأنت قلدتنيها"[٣].

أما آخر وزراء المقتدر الفضل بن جعفر فلم يكن له تأثير أو دور كبير في التأثير على سياسة الدولة، حتى أن منصب الوزارة فقد هيبته. فعندما أظهر الفضل بن جعفر رغبته في الوزارة عجب الناس من ذلك[٤].

---

(١) التنوخي، النشوار، ج١ص٢١٥-٢١٦. ابن الطقطقي، الفخري، ص٢٦٨.

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢١٥-٢١٦. الهمذاني، التكملة، ج١ص٦٤. ابن خلدون، العبر، ج٣ص٣٧٦.

(٣) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢١٨.

(٤) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٧٣.

الفصل الرابع

الدواوين

- ديوان الخراج
- ديوان التوقيع والدار
- ديوان الفض
- ديوان الخاتم
- ديوان الرسائل
- ديوان البريد والسكك
- ديوان الجيش
- ديوان النفقات
- ديوان بيت المال
- ديوان الجهبذة
- ديوان المصادرين
- ديوان البر
- ديوان المرافق
- ديوان المقبوضات عن أم موسى وأسبابها
- ديوان المرتجعة
- ديوان المخالفين
- ديوان المواريث

الدواوين:

أنشئت الدواوين لتنظيم النواحي الإدارية وغيرها للدولة، وبدأت في أوقات متفاوتة، ثم أخذت تتوسع وتتعقد مع تطور المجتمع، وازدياد حاجاته.

وفي العصر العباسي صارت الدواوين تحت إشراف الوزير، وتقوم بمساعدته في مختلف الأمور وفقاً لتوجهاته، وقد يكون بعضها خارج إشراف الوزير أحياناً ولكن في الغالب أن تكون –كما في فترتنا– تابعة له.

واتصفت بعض الدواوين بالاستمرار في حين وجدت دواوين مؤقتة كانت تزول وتتلاشى بزوال الأسباب التي دعت إلى وجودها. والدواوين الدائمة والمؤقتة توجد في المركز، وهناك دواوين في الولايات، وهي فروع للدواوين المركزية، وسيتركز البحث على الدواوين المركزية ومنها:

ديوان الخراج:

كان في كل أقليم من أقاليم الدولة ديوان خاص به يشرف عليه ديوان الخراج المركزي، وقد كان متولي الخراج في كل أقليم يستوفي من أموال الخراج التي بعهدته أعطيات الجند، والنفقات الراتبة، ثم يرسل الباقي إلى المركز(١) حيث ديوان الخراج المركزي. ويتألف ديوان الخراج من المجالس التالية:

- **مجلس الأصل:** وفيه سجل شامل لكل الأراضي الخراجية في ولايات الدولة، وتقدير خراجها(٢)، والإشراف على سير الأعمال في المجالس الأخرى من الديوان والتنسيق بينها(٣).

---

(١) أبو يوسف، الخراج، ص٢٩.

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، ج١،ص٥٧. الحياري، الدواوين، ص٢٢.

(٣) السامرائي، المؤسسات الإدارية، ص١٩٨.

- **مجلس الحساب:** ويقوم بتصنيف الأموال الواردة إلى ديوان الخراج وتنظيمها، وبيان أوجه الصرف في الديوان، وينظم قوائم الحسابات المتعلقة بكل صنف من الأصناف[١]. وكاتب هذا المجلس غير محتاجٍ إلى معرفةٍ باللغة وفنونها إلا بما يكفي لإظهار المعنى، لكنه يحتاج إلى أن يكون عارفاً بالتقدير، والعمليات الحسابية الصعبة[٢]، عالماً برسوم العبر[٣]، وأحكام الخراج، والنفقات، والجاري، وأن يكون عدلاً، لا يميل به الهوى مع بعض العمال، أو الإنحراف عن بعضهم[٤]. وفيه يقول ابن الفرات: "لأني وسائر الوزارات نحكم بقوله، وبما يخرجه من ديوانه"[٥].
- **مجلس التفصيل:** مهمته النظر في الجرائد، وما يحمل إلى بيت المال من أموال[٦]، وتصفح الأسماء، وأوقات العطاء، وتدقيق ما يرد وما يصدر عن عمال الخراج وإخراج الخلاف إن وجد[٧]. ويشبه قدامة عمل هذا المجلس بعمل مجلس المقابلة في ديوان الجيش[٨].
- **مجلس الجهبذة:** ويتولى الإشراف على أعمال جباية الخراج، والأموال من الولايات[٩]، وتدقيق الحسابات، وضمان وصول ما يتحصل من أموال الولايات إلى ديوان الخراج المركزي[١٠].

---

(١) الرفاعي، المنزلة الخامسة، ص١٣٥.
(٢) ابن وهب، البرهان، ص٣٥٤-٣٥٧. البطليوسي، الإقتضاب، ج١،ص١٤٢.
(٣) العبرة: هي أن يعتبر مثلاً ارتفاع السنة التي هي أقل ريعاً والسنة التي هي أكثر ريعاً يجمعان ويؤخذ معدلهما لتقدير الجباية. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٧٨.
(٤) ابن وهب، البرهان، ص٣٥٨. البطليوسي، الإقتضاب، ج١ص١٤٣.
(٥) ابن وهب، البرهان، ص٣٥٨.
(٦) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٦٢.
(٧) قدامة بن جعفر، الخراج، ص٢٣. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٥٦.
(٨) قدامة بن جعفر، الخراج، ص٢٣.
(٩) التنوخي، النشوار، ج١ص٢٢٢-٢٢٣.
(١٠) الحياري، الدواوين، ص٢٣.

- **مجلس الجيش:** يقوم بالإشراف على الأموال الخاصة بجيش الخلافة في المركز والولايات، وتحديد أوقات وكيفية صرف أرزاق ورواتب الجند. وهو على اتصال وثيق بمجلس الجاري في ديوان النفقات، وبديوان الجيش[١].
- **مجلس الإنشاء والتحرير:** يتولى كتابة مسودات الرسائل فيعرضها الكاتب على صاحب الديوان ليزيد فيها أو ينقص منها أو يقرها على حالها[٢]، ثم يتم نسخها وتحريرها. ويعرف الخوارزمي التحرير بأنه نقل الكتاب من سواد النسخة إلى بياض نقي[٣]. ويحتاج كاتب التحرير إلى جودة الخط، والعلم بفنون اللغة[٤]، وإلى معرفةٍ بمراتب الناس[٥]. وكان يتقاضى زمن المعتضد عشرة دنانير شهرياً[٦].
- **مجلس النسخ:** ويتولى نسخ المكاتبات الواردة والصادرة، ونسخ الكتب على عدة نسخ مطابقة للأصل، ويرسل النسخة الأصلية إلى الجهة المراد توجيه الكتاب إليها وذلك بعد الاحتفاظ بنسخة منها في المجلس[٧]، ويقوم بإرسال باقي النسخ إلى الدواوين ذات العلاقة بموضوع الكتاب الموجه. والقائم عليه يدعى بالناسخ [٨].
- **مجلس الأَسكدار**[٩]: تمر به كافة الكتب الصادرة إلى الجهات والواردة ويتم تسجيلها قي سجل خاص، وتصنيفها[١٠]، ويتم ذلك بعد أن تعرض على صاحب الديوان، وتعمل خلاصات لها، وتكون جاهزة ليطلع عليها الخليفة أو الوزير وقت الطلب[١١].

---

(١) قدامة بن جعفر، الخراج، ص٢٣.
(٢) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٧٨.
(٣) ن.م.، ص٧٨.
(٤) ابن وهب، البرهان، ص٣١١-٣١٧. البطليوسي، الإقتضاب، ج١ص١٣٨-١٣٩.
(٥) ن.م.، ص٣٣٣. ن.م.، ج١ص١٤٠-١٤١.
(٦) التنوخي، النشوار، ج٥ص٧٣. الصابي، الوزراء، ص١٣٥.
(٧) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٧٨. الصابي، الوزراء، ص١٣٥.
(٨) الرفاعي، المنزلة الخامسة، ص١٣٢.
(٩) الأسكدار: لفظة فارسية تعني أين تُمسِك. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٦٥.
(١٠) الجهشياري، الوزراء، ص١٩٩. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٦٤.
(١١) الرفاعي، المنزلة الخامسة، ص١٣٣.

وذكر الصابي مجلس الجماعة والسودان[١] تابعاً لديوان الخراج دون تحديد لمهامه، ولعله يختص بالنظر بفئة معينة من الجند. ولديوان الخراج زمام مشترك مع ديوان الضياع السلطانية[٢].

يعتبر ديوان الخراج من أهم دواوين الدولة؛ لأنه ينظر في إدارة جبايات الأموال في الدولة. والخراج هو من الموارد الأساسية لخزينة الدولة. وقد تم إعادة تنظيم ديوان الخراج زمن المعتضد وضم ثلاثة دواوين فرعية هي: ديوان المشرق، وديوان المغرب، وديوان السواد[٣].

ويعد ديوان السواد الأهم، لأنه يشرف على خراج سواد العراق، وهو أهم مورد مالي للدولة زمن المقتدر. وكان الوزراء يشرفون إشرافاً مباشراً على هذا الديوان[٤]، وينتقون لإدارته أكفأ الكتاب[٥]. وقد تولى الكلوذاني رئاسة هذا الديوان لفترةٍ طويلةٍ[٦]. وعبر علي بن عيسى عن أهمية هذا الديوان بقوله للكلوذاني: "إن هذا الديوان من أجل الدواوين، ومتى تشاغلت بخلافتي اختل، وليس يقوم به أحد كقيامك"[٧]. وبالفعل لما فقد الوزير الكلوذاني سنة (٣١٩هـ/٩٣١م) إشرافه المباشر على الديوان انقطعت مواد كثيرة كانت تصل لبيت المال[٨]. ولديوان السواد زمام لمراقبته والإشراف عليه[٩].

---

(١) الصابي، الوزراء، ص١٨٤.

(٢) ن.م.، ص٢٨٤.

(٣) انظر التمهيد من هذه الدراسة، ص٣٩-٤٠.

(٤) الصولي، أخبار المقتدر، ص٧٤.

(٥) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٢٩. الهمذاني، التكملة، ج١ص٥٩.

(٦) الصولي، أخبار المقتدر، ص٢٦٦. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٥١. الصابي، الوزراء، ص٣٣٨-٣٣٩.

(٧) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٥١.

(٨) ن.م.، ج١ص٢١٢-٢١٣.

(٩) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج١ص١١٨. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٩١.

بلغ راتب كاتب ديوان السواد خمسمائة دينار شهرياً أنقصه علي بن عيسى ١/٣ إلى ٣٣٣دينار، وكان راتب كاتب ديوان المشرق مائة دينار شهرياً[١]، وبلغت نفقات ديوان السواد الشهرية سبعة آلاف دينار[٢].

بالإضافة إلى كتاب الديوان بمجالسه المختلفة، فقد كان يتبع لديوان الخراج جهاز إداري ضخم لمراقبة الضرائب، وتنظيمها وجبايتها. وهم:

- **عامل الخراج:** وهو رأس جهاز الجباية ويتركز عمله في ثلاثة أوقات هي:
  - وقت العمارة: وهو وقت زراعة الأرض، وتجهيزها وحراثتها.
  - وقت التقدير وهو التقدير الأولي لناتج الأرض.
  - وقت جمع الغلات: بالحرز والتخمين من قبل موظفي الدولة موظفي الدولة[٣]. وبعد أن تتم الجباية يرفع العامل حساباً جامعاً يسمى بالموافقة[٤].
- **كاتب الخراج:** المشرف على عملية الزرع من بدايتها، وتحصيل الخراج وتسليمه للجهبذ المحلي[٥].
- **المستخرج:** يقوم بجمع الخراج[٦]، ويرتبط به عددٌ من المستحثين لمساعدته في جمع الخراج[٧].

---

(١) الصابي، الوزراء، ص٣٤٠. ابن الجوزي، الأذكياء، ص٤٧. الدوري، تاريخ العراق، ص٢٤٢.
(٢) الصابي، الوزراء، ص٣٧.
(٣) ن.م.، ص٢٧٦.
(٤) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٥٦.
(٥) الحياري، الدواوين، ص٢٤.
(٦) التنوخي، النشوار، ج١ص٢٢٣.
(٧) الصابي، الوزراء، ص١٨.

- **الدهقان:** وهو رئيس القرية، ومقدم أهل الزراعة، وكان يشرف على عملية الجباية[١]. ويبدو أن الدهاقين كانوا يحصلون رواتبهم من حصة من الناتج تسمى حق الدهقنة[٢].

ويشرف ديوان الخراج على الضرائب التالية :

أولاً: الخراج: وهو ضريبة تفرض على أصناف من الأراضي وهي:

- **الأراضي التي فتحت عنوةً**، وجعلت وقفاً للمسلمين ومنها السواد[٣]. إلا أنه في الفترة الأموية إزداد إقتناء الأشراف للأرض الخراجية مما حول الكثيرمن الأراضي الخراجية إلى أراضٍ عشرية تدفع العشر مما هدد عائدات الدولة[٤]. فلما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة سنة (٩٩-١٠١هـ/٧٣٤-٧٣٦م) جعل الخراج ثابتاً على الأرض سواء أكان صاحبها ذمياً أو مسلماً. لكن تدابيره أهملت لفترة من بعده[٥]، ثم استقرت.
- **الصوافي:** هي كل أرض لم يكن لها مالك عند الفتح، ويدخل ضمنها أراضي الأسر الحاكمة والنبلاء، وأرض من قتل أوهرب أثناء الفتح، وأراضي البريد، والأراضي المخصصة لبيت النار[٦]. والواقع يشير إلى أن الصوافي لم توزع ابتداءً إلا أن ناتجها كان يقسم بين المقاتلة الأوائل[٧]. إلى أن تولى معاوية الخلافة سنة (٤١-٦٠هـ/٦٦١-٦٧٩م) فضم أراضي الصوافي إلى بيت مال المسلمين وكانت مصدراً للإقطاعات

---

(١) الحياري، الدواوين، ص٢٤.

(٢) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج١ص٤٨.

(٣) يحيى بن آدم، الخراج، ص٢٢. أبو عبيد، الأموال، ص٧٧-٩٠. الصولي، أدب الكتاب، ص٢١٨. الماوردي، الأحكام، ص٢٣٢.

(٤) الدوري، نشأة الإقطاع، مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد، مج٢٠ سنة ١٩٧٠، ص٨-٩.

(٥) يحيى بن آدم، الخراج، ص٢٢-٢٣. أبو يوسف، الخراج، ص٧٥. ابن قدامة، المغني، ج٢ص٥٧٥-٥٧٦.

(٦) يحيى بن آدم، الخراج، ص٦٨-٦٩. أبو عبيد، الأموال، ص٣٩٩.

(٧) الدوري، نشأة الإقطاع، مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد، مج٢٠، سنة ١٩٧٠، ص٨.

الفردية أو الجماعية[١]. وقد حصلت تطورات على أرض الصوافي لخصها يحيى بن آدم بقوله: "وهو للإمام إن شاء أقام منها من يعمرها لا يؤدي لبيت المال منها شيئاً، وإن شاء أنفق عليها من بيت مال المسلمين أو يتولاها مباشرة. وإن شاء أقطعها رجلاً له غناء من المسلمين"[٢]. وبمجيء العباسيين ترسخت فكرة ملكية الدولة للصوافي. فأصبحت مثل أرض الخراج مصدراً ثابتاً للوارد[٣].

- **أرض الصلح:** تبقى في أيدي أصحابها، ويسقط عنها الخراج بإسلامهم[٤].

أما تقدير الخراج فيعتمد على: ١. خصوبة التربة، ٢. نوع المحصول المزروع، ٣. طبيعة الري إن كان طبيعياً أو صناعياً[٥]، ٤. البعد أو القرب من الأسواق[٦].

وتتم جباية الخراج بالطرق التالية :

١. يفرض على مساحة الأرض سواء زرعت أم لا .

٢. يفرض على المساحة المزروعة من الأرض.

٣. المقاسمة وهي نسبة تؤخذ على المحصول[٧].

ولقد حدد المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣م) مقدار الخراج في السواد بخُمْسي الحاصل بعد أن كان يؤخذ نصفه[٨]. ويبدو أن الجباية زمن المقتدر كانت على هذا

---

(١) الصولي، أدب الكتاب، ص٢١٩.

(٢) يحيى بن آدم، الخراج، ص٢٣.

(٣) ابن خلدون، العبر، ج٣ص١٦٥. خزنة كاتبي، الخراج، ص٤٨٨ و٤٩٥-٤٩٦.

(٤) يحيى بن آدم، الخراج، ص٢٢. الماوردي، الأحكام، ص٢٣٣. ابن قدامة، المغني، ج٢ص٥٧٥. ابن رجب، الإستخراج، ج٢ص١٨٦.

(٥) يحيى بن آدم، الخراج، ص١١٢-١١٤. أبو عبيد، الأموال، ص٦٤٤-٦٤٧. الماوردي، الأحكام، ص٢٣٤.

(٦) الماوردي، الأحكام، ص٢٣٤.

(٧) ن.م.، ص٢٣٤.

(٨) الطبري، تاريخ، ج٥ص١٥١ .

الأساس ولكن يبدو أن بعض الأراضي التي جلا عنها أصحابها، وما خرب من الضياع وكان يوزع على كاهل باقي المزارعين كما في فارس فيما عرف بالتكملة واستمرت جبايتها لسنة (٣٠٣هـ/٩١٥م) حين أمر المقتدر بإلغاء الضريبة بفضل وزيره علي بن عيسى(١).

ثانياً: الأعشار: تفرض ضريبة عشور الزروع على أصناف من الأراضي قسمها قدامة إلى:

١. الأراضي التي أسلم عليها أهلها وهي في أيديهم(٢).

٢. ما يستحييه المسلمون من الأرض الموات، ويؤخذ منها العشر من غلاتها(٣).

٣. ما يقطعه الأئمة لبعض المسلمين فإذا صار في يده، وتملك الإقطاع لزمه العشر(٤).

٤. ما أصبح في يد المسلمين من الصوافي التي أصفاها عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أرض السواد، وهي ما كان لكسرى وأهله وخاصته(٥).

٥. ما جلا عنه العدو من الأراضي، فأصبحت بيد من سكنها، وأقام بها من المسلمين مثل أراضي الثغور(٦).

٦. ما ملك من المشركين عنوة فتكون غنيمة تقسم بين الفاتحين إذا قرر الإمام ذلك(٧).

وقد يجبر أصحاب الأراضي العشرية على دفع أضعاف هذة الضريبة ففي سنة (٣١٣هـ/٩٢٥م) شكى بعض زراع ديار ربيعة لعلي بن عيسى بأنهم أجبروا على العشر من المساحة فدفعوا أكثر من العشر(٨).

---

(١) التنوخي، النشوار، ج١ص١٢٨. الصابي، الوزراء، ص٣٣٦.

(٢) قدامة بن جعفر، الخراج، ص٢٠٤. وانظر يحيى بن آدم، الخراج، ص٢٠. الماوردي، الأحكام، ص٢٣٢.

(٣) قدامة بن جعفر، الخراج، ص٢٠٤. الصولي، أدب الكتاب، ص٢١٨. الماوردي، الأحكام، ص٢٣١.

(٤) قدامة بن جعفر، الخراج، ص٢٠٤.

(٥) ن.م.، ص٢٠٤. وانظر، أبو يوسف، الخراج، ص٦٢. ابن وهب، البرهان، ص٣٨٦.

(٦) قدامة بن جعفر، الخراج، ص٢٠٤.

(٧) ن.م.، ص٢٠٤. الماوردي، الاحكام، ص٢٣٢.

(٨) الصابي، الوزراء، ص٣٦٣.

كما يؤخذ من المسلمين عشر الزروع كزكاة إذا سقيت من ماء المطر ونصف العشر إذا سقيت صناعياً[١].

وهناك ضريبة العشر المفروضة على التجار من دار الحرب، ويدفع المسلمون ربع العشر على تجاراتهم كزكاة في حين يدفع التجار من أهل الذمة نصف العشر[٢].

ثالثاً: الصدقة (الزكاة): وتجب في "الأموال المرصدة للنماء بنفسها، أو بالعمل فيها". وتقوم الدولة بجباية الأموال الظاهرة كالمواشي والزروع والثمار. أما الزكاة الباطنة كالذهب والفضة فتترك للأفراد[٣].

رابعاً: الضرائب المفروضة على البضائع المنقولة براً ونهراً: وقد ألغى علي بن عيسى (٣٠١-٣٠٤هـ/٩١٣-٩١٦م) المكوس التي تجبى في حصن مهدي ونهر السدرة[٤]. وأنشئت دور خاصة لجمع المكوس على ضفاف الأنهار عن طريق سلسلة أو حبل يشد معترضاً النهر ليمنع السفن من المرور ويسمى بالمآصر[٥]. كما فرضت الضرائب على البضائع المنقولة بحراً[٦] وتدعى أماكن جبايتها بالمراصد[٧]. وبلغت الضرائب المجباة في مرصد من المراصد مائة ألف دينار[٨]. وجاء في قائمة علي بن عيسى لسنة (٣٠٦هـ/٩١٨م) أن ضرائب السفن القادمة كانت تساوي ٢٢,٧٥٧ دينار سنوياً[٩].

---

(١) الصولي، أدب الكتاب، ص٢١٠. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٥٨.

(٢) قدامة بن جعفر، الخراج، ص٢٠٥. وأنظر، يحيى بن آدم، الخراج، ص٢٥ و٤٦. الصولي، أدب الكتاب، ص٢٠٨. الخزاعي، تخريج الدلالات، ص٥٢٢.

(٣) الماوردي، الأحكام، ص١٧٩. وانظر الصولي، أدب الكتاب، ص٢٠٨.

(٤) الصابي، الوزراء، ص٢٨٦.

(٥) ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص١٨٥. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٧٠. ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٨٣. ميتز، الحضارة الإسلامية، ج١ص٢٢٣.

(٦) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٠٤-١٠٥ و٣٤٠.

(٧) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٥٩.

(٨) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٠٢.

(٩) الدوري، تاريخ العراق، ص١٩٤.

خامساً: الجوالي: وهي ضريبة يدفعها أهل الذمة الذين جلوا عن أوطانهم. وأصبحت كلمة جوالي وكلمة جزية تعنيان شيئاً واحداً[(١)]. وبلغت سنة (٣٠٦هـ/٩١٨م) في بغداد حسب قائمة علي بن عيسى ١٦٠٠٠دينار سنوياً[(٢)].

ويذكر ابن البطريق أن علي بن عيسى حاول سنة (٣١٥هـ/٩٢٧م) أن يأخذ الجزية من القسيسين والرهبان والأساقفة والفقراء المعدمين من أهل الذمة في مصر السفلى إلا أن المقتدر ألغى هذه التدابير بعد أن استمع إلى شكاوى الأهلين[(٣)].

سادساً: الأخماس: ومنها أخماس الغنائم التي تغتنم من أهل الحرب[(٤)]، بالإضافة إلى أخماس المعادن، والركاز، وهو: المال المدفون من دفائن الجاهلية[(٥)]. وسيب البحر، وهو ما يقذف به، ويستخرج منه كالعنبر والحلية[(٦)].

سابعاً: ما يؤخذ من اللقط في الطريق وما يجري مجراها، وأثمان الأباق من العبيد، وما كان يؤخذ من اللصوص من الأموال والأمتعة، إذا لم يأت لذلك طالب يستحقه[(٧)].

ثامناً: ضريبة الإرث[(٨)].

تاسعاً: ضربية مفروضة على غلات الأسواق. وقد بلغ وارد أسواق الغنم في بغداد، وسامراء، وواسط، والبصرة، والكوفة سنة (٣٠٦هـ/٩١٨م) ١٦٧٩٥ دينار سنوياً[(٩)].

---

(١) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٥٩. ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٣١٧.

(٢) قدامة بن جعفر، الخراج، ص٢٥١.

(٣) ابن البطريق، التاريخ المجموع، ج٢ص٨٣.

(٤) يحيى بن آدم، الخراج، ص١٥-١٦. قدامة بن جعفر، الخراج، ص٢٠٥.

(٥) قدامة بن جعفر، الخراج، ص٢٠٥. وأنظر، أبو يوسف، الخراج، ص٢٤. الصولي، أدب الكتاب، ص٢٠٨. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٥٩.

(٦) ن.م.، ص٢٠٥. وأنظر، ن.م.، ص٧٥. ن.م.، ص٢٠٨. ن.م.، ص٥٩.

(٧) قدامة بن جعفر، الخراج، ص٢٠٥ و٢٤٤.

(٨) أنظر ديوان المواريث من هذا الفصل.

(٩) الدوري، تاريخ العراق، ص١٩٤.

عاشراً: ضريبة على المستغلات وهي مبان بناها الناس على أراضٍ حكومية[١]. وبلغ واردها زمن المقتدر ١٣٠٠٠ دينار سنوياً[٢].

وبلغ مجموع دخل الدولة من هذة الضرائب حسب قائمة علي بن عيسى لسنة (٣٠٦هـ/٩١٨م) كالآتي:

جباية السواد	١٨٣٦١٨١ دينار سنوياً
جباية المشرق	٦٤٣٩٦٦٣ دينار سنوياً
جباية المغرب	٤٦٦٠٣٤١ دينار سنوياً
جباية الأموال الخاصة والموقوفة	١٧٧١٠١٥ دينار سنوياً
مجموع جباية الدولة	١٤٧٠٧٢٠٠ دينار سنوياً[٣] .

ونتيجة لأهمية هذا الديوان، وتشعب أعماله يجب على متوليه أن يكون على معرفة بوجوه الأموال، ورسوم الخراج، والمعرفة بجزء غير يسير من كتابة الرسائل، وعلى معرفة بأحكام المساحة والزراعة وأوقاتها، ورسوم السقي، وعمل الجسور، والترع، والإحاطة بارتفاع كل ناحية، والمعرفة بالعمال والكتاب والخزان وأسمائهم، ومنازلهم، وسيرهم، ومبالغ أرزاقهم. وأن يكون مع ذلك صبوراً، وأميناً، ونزيهاً[٤].

---

(١) التنوخي، النشوار، ج١ص١٤٦. الدوري، تاريخ العراق، ص١٩٥.

(٢) الصابي، الوزراء، ص٣١٠.

(٣) السامرائي، المؤسسات الإدارية، ص٢١٥-٢١٦.

(٤) علي بن خلف،مواد البيان، ص٧٦-٧٨. وانظر الشريشي، شرح مقامات الحريري، ص٦٤. ابن الربيع، سلوك المالك، ص١٦٠.

ديوان التوقيع والدار:

يقوم بالتعليق على الطلبات، أو الرقاع المرفوعة إلى الخليفة بعد أن يتحرى الوزير الأمر من خلال الإطلاع على ما أتاه من الدواوين الأخرى. وبعد اطلاع الخليفة يقوم صاحب ديوان التوقيع بصياغة رأي الخليفة بأبلغ الكلام وأجزله، ثم يحيله إلى كاتب التوقيع ليقوم بتثبيت التوقيع عنده وينشيء كتاباً إلى ديوان الدار يتضمن أمر الخليفة حول المسألة لتنفيذه، فينشأ كتاب من ديوان الدار لتنفيذ الأمر إلى الديوان المعني بالمشكلة[١].

يجب أن يتصف صاحب هذا الديوان بحسن الخط، وسرعة البديهة، وأن يكون ديناً، نزيهاً لا يخرج عما يؤمر به ولا يتعداه، عالماً بأمور الدواوين، ووجوه الأموال[٢].

ويضم هذا الديوان عدداً من الكتاب وهم كاتب الإنشاء، وكاتب التحرير، وكاتب النسخ[٣].

ديوان الفض:

ينظر في الكتب الواردة على الخليفة من النواحي، ويقوم متوليه بفضها وعمل خلاصات لها؛ لعرضها على الخليفة للإطلاع عليها والتوقيع بما يراه. ويرى قدامة أن هذا الرسم كان جارياً في الأوقات التي كانت الخلفاء تتولى بنفسها النظر في الكتب. وبعد ذلك باشر الوزير الإشراف بنفسه على فض الكتب وتوقيعها، وإحالتها على الدواوين، وأصبح متولي الديوان يلتزم حضور دار الوزير وينفذ أوامره[٤].

---

(١) قدامة بن جعفر، الخراج، ص٥٣-٥٤. ميتز، الحضارة الإسلامية، ج١ص١٣٣.

(٢) علي بن خلف، مواد البيان، ص٧٤-٧٥.

(٣) قدامة بن جعفر، الخراج، ص٤٥.

(٤) ن.م.، ص٥٨. ميتز، الحضارة الإسلامية، ج١ص١٣١.

ويحتاج ديوان الفض لكاتب يقوم بتصنيف الكتب الواردة إلى الديوان، وتقسيمها حسب الدواوين والأعمال. وكاتب لعمل الخلاصات لعرضها على الخليفة أو الوزير، وآخر يقوم بنسخ ما يراد نسخه من الكتب[(١)].

ديوان الخاتم:

وجد هذا الديوان لمنع وقوع خطأ، أوتزوير في الكتب الصادرة عن الخليفة والتي تحتاج إلى أن تختم بختمه[(٢)]. والختم طابع منقوش فيه اسم السلطان، أو شارته يغمس في طين أحمر خاص يسمى بطين الختم يطبع به على طرفي السجل عند طيه وإلصاقه[(٣)]. ثم يمر الكتاب بعدة دواوين ذات علاقة به للمقابلة فيها[(٤)] بما كان مثبتاً في سجلاتها ثم يعاد إلى ديوان الخاتم فيثبت فيه ويحتفظ بنسخة منه في الديوان وترسل نسخة إلى المكان الموجهة إليه[(٥)].

كان متولي ديوان الخاتم منفرداً بعمله حتى سنة (٢٩٦هـ/٩٠٨م) عندما تولى ابن الفرات الوزارة فلم يجد لابن مقلة أفضل من تقليده ديواني الفض والخاتم براتب مقداره أربعمائة دينار شهرياً[(٦)]، ويبدو أن توحيد الديوانين استمر ففي وزارة علي بن عيسى سنة (٣١٥هـ/ ٩٢٧م) قلد رئاستهما أحد الكُتاب[(٧)].

ديوان الرسائل:

ويسمى بديوان الإنشاء[(٨)]. وصاحب ديوان الرسائل أو متولّي ديوان الرسائل يجب أن

---

(١) قدامة بن جعفر، الخراج، ص٥٨.
(٢) ن.م.، ص٥٨.
(٣) ابن خلدون، العبر، ج٣، ص٤٣٦.
(٤) ميتز، الحضارة الإسلامية، ج١ص١٣٠.
(٥) قدامة بن جعفر، الخراج، ص٥٤. السامرائي، المؤسسات الإدارية، ص٢٨٥.
(٦) الصابي، الوزراء، ص١٩٨.
(٧) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٥٢.
(٨) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١ص١٢٧. الغزولي، مطالع البدور، ج٢ص١١٨.

يكون متصرفاً في جميع فنون المكاتبات، عالماً بأصولها وفصولها، مستقلاً بأعبائها. وأن يكون من البلاغة والفصاحة في أعلى رتبة، وأسنى منزلة[١]، وأن يعرف كثيراً من السنة، والأخبار، والسير، وله يد في عمل الشعر[٢]. وعلى معرفة بمقادير الناس، وطبقاتهم ومكانهم من الدولة؛ ليوفيهم حقوقهم في النعوت والألقاب، والخطاب[٣].

ويساعده كاتب الإنشاء الذي يحتاج إلى أن يكون فصيحاً، بليغاً، عالماً باللغة، وفنونها[٤].

يلازم صاحب الديوان مجلس الخليفة للنظر في الكتب الواردة عليه، ويكتب تحت كل فصل منها ما يكون جواباً على أحسن الوجوه وأفضلها. وبعد أن يتأكد[٥] منها يعرضها على الخليفة ثم يتم نسخها وتصنيفها[٦]. وكانت الكتب في بغداد تودع في خزانة تعرف باسم الخزانة العظمى، حيث تحفظ وتفهرس[٧] من قبل خازن الديوان، الذي يحتاج إلى أن يكون ذكياً، فطناً، بالغاً في الثقة والأمانة[٨].

وفي بعض الأحيان كان ديوان الرسائل يضاف إلى الوزير، فيدبر شؤونه بنفسه، أو يفرد له كاتباً للإشراف عليه[٩].

---

(١) قدامة بن جعفر، الخراج، ص٣٧. القلقشندي، صبح الأعشى، ج١ص١٣٧.

(٢) ابن الصيرفي، قانون ديوان الرسائل، ص١٠. وانظر علي بن خلف، مواد البيان، ص٧٥.

(٣) الحسن بن عبد الله ، آثار الأول، ص٦٨ .

(٤) قدامة بن جعفر، الخراج، ص٣٨. ابن الصيرفي، قانون ديوان الرسائل، ص٢٢-٢٣. عبد المنعم، السياسة، ص٥١.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١ص١٤٨.

(٦) ابن الصيرفي، قانون ديوان الرسائل، ص٣٥.

(٧) ن.م.، ص٣٧ .

(٨) ن.م.، ص٣٦-٣٧ .

(٩) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١ص١٢٧.

يجري في هذا الديوان كتابة العهود والتقليدات[١]، ولا ينظر بشكل أساسي في أمور الحسابات والنواحي المالية إلا بقدر ما يتعلق بديوان الرسائل[٢].

ولم يصلنا ما يفيد في معرفة نفقات هذا الديوان إلا أن الصابي يذكر أن راتب كل من الكُتاب الذين يحتاج إليهم لتصريف أمور هذا الديوان كان عشرة دنانير شهرياً[٣].

ديوان البريد والسكك:

من دواوين الدولة الهامة، يرتبط بالخليفة مباشرةً، ويتم تعيين متولي الديوان من قبل الخليفة[٤]. وقد يعاصر متولي الديوان مجموعة من الخلفاء وهو على رأس عمله[٥]. لهذا يرى قدامة أن أهم صفة يجب أن يمتاز بها متولي هذا الديوان أن يكون "ثقة إما في نفسه أو عند الخليفة القائم بالأمر؛ لأن هذا الديوان ليس فيه من العمل ما يحتاج معه إلى الكافي المتصفح، وإنما يحتاج إلى الثقة المتحفظ"[٦].

كما يحتاج إلى حظٍ وافر من اللغة والبلاغة؛ لأنه يكاتب السلطان في المهمات والأسرار التي لا يطلع عليها غيره. وأن يستقل من الحساب بما يقدره على ضبط ما يجري على يده من أرزاق المستخدمين، وأن لايهادي أحداً من العمال أو يداعبهم، ولا يقبل هداياهم، ولا يحضر دعوتهم، ولا يكتم شيئاً من أمورهم[٧].

---

(١) انظر قدامة بن جعفر، الخراج، ص٣٩-٤٧. القلقشندي، صبح الأعشى، ج١ص٨٤.

(٢) قدامة بن جعفر، الخراج، ص٣٧ .

(٣) الصابي، الوزراء، ص١٩.

(٤) قدامة بن جعفر، الخراج، ص٥٠.

(٥) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج١ص٩٧.

(٦) قدامة بن جعفر، الخراج، ص٧٧.

(٧) علي بن خلف، مواد البيان، ص٨٤-٨٥.

لم يكن منصب صاحب البريد من المناصب الميسورة، لأن مهمته ليست قاصرة على تصدير الرسائل إلى الجهات المطلوب إرسالها إليها، وتسليم الوارد منها، وإنما يتناول الإشراف على السلطات المختلفة في جميع أنحاء الدولة.

وأطلقت لفظة البريد إبتداءً على دواب البريد الموقوفة له، ثم على الرسول الذي يركبها، وعلى المسافة التي بين سكك البريد[١]. إذ قسمت طرق البريد إلى محطات تسمى السكك كل محطة مزودة بدواب البريد للتغيير، ومجهزة لنقل الأخبار[٢]. ويذكر ابن فضل الله العمري أن المسافة بين كل محطة وأخرى اثني عشر ميلاً[٣]. في حين يذكر الخوارزمي بأنها ستة أميال[٤]. والظاهر أنه لم تكن هنالك مسافة محددة، فوجود الماء مثلاً في مكان يحدد موقع منازل البريد[٥]. كما شكلت طبيعة الارض جبلية أو سهلية، صحاري أو غابات، عاملاً آخر في رسم طرق البريد[٦]. وبلغ عدد السكك في الدولة العباسية تسعمائة وثلاثين سكة[٧].

ويتولى صاحب البريد إيصال ما يصدر عن الخليفة أو الوزير إلى العمال في الأقاليم، ويتلقى ما يرد منهم إلى الخليفة أو الوزير، ويقوم بعمل خلاصات لعرضها على الخليفة[٨]. ثم توسعت مهامه فأصبح عيناً للخليفة على عماله، وينقل إليه كل ما يجري في دولته[٩]، ويساعده

---

(١) ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٨٣. الخفاجي، شفاء الغليل، ص٤٥. ابن رضوان، الشهب اللامعة، ص٣٢٩. الكتاني، التراتيب الإدارية، ج١ص١٩١-١٩٢.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٤ص٤١٨.

(٣) ابن فضل الله العمري، مسالك الأمصار، ج١ص٢٣.

(٤) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٦٣.

(٥) ابن خرداذبة، المسالك، ص١٨٨-١٨٩. القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٤ص٤١٨.

(٦) السعداوي، نظام البريد، ص١١٨.

(٧) ابن خرداذبة، المسالك، ص١٥٣.

(٨) قدامة بن جعفر، الخراج، ص٧٧. ميتز، الحضارة الإسلامية، ج١ص١٢٧. الكتاني، التراتيب الإدارية، ج١ص١٩٣.

(٩) الحسن بن عبد الله، آثار الأول، ص٨٣. السعداوي، نظام البريد، ص٩٨.

في هذا عيون له يوافونه بكل جديد[١]. كما يتولى الإشراف على الموظفين التابعين للديوان سواء الموجودين في العاصمة، أو العاملين في السكك[٢].

وعلى صاحب البريد أن يكون على علم بالطرق وطبيعتها ومسافتها، بحيث يجد الخليفة عنده ما يحتاج إليه عند إنفاذ جيش، أو أمر يدعو لمعرفة الطرق[٣]. هذا بالإضافة إلى حفظ الطرق، وصيانتها من القطاع واللصوص. ومتابعة أحوال مراكز ومنازل البريد، وما تحتاج إليه[٤].

وبين قدامة مهام صاحب البريد وعماله، فهم يشرفون على جميع الأمور الهامة في الدولة، ولهم حق التجسس على جميع موظفيها. أذ يجب كتابة تقارير عن عمال الخراج، وعن واردات الولاية ومواردها، وعن وضع المزارعين ومعاملتهم، وتصرف السلطات المحلية مع الرعية، وأحوال دار ضرب النقود، ومبلغ ما يسك فيها من ذهب أو فضة[٥]، مما يتطلب معرفةً دقيقةً، وواسعة في كثير من الشوؤن المالية والإدارية، والحسابية الصعبة، على أن يشترط في جمع المعلومات التحري والتثبت، مع إقامة الدلائل والشواهد[٦].

ويبدو أن هذا الديوان كان يحوي مجالس مثل الإنشاء والتحرير والنسخ والأسكدار، فقد ذكر قدامة بأن "الرسوم التي يحتاج إليها من أمر الديوان هو ما يقارب الرسوم التي بيناها في غيره مما تضبط به أعماله وأحواله"[٧]. وقد ضم الديوان بالإضافة إلى كتاب هذه المجالس:

- **صاحب الديوان**، ومقره العاصمة، ويسمى أحياناً بصاحب ديوان البريد والخرائط[٨].

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١ص١٥٥. ميتز، الحضارة الإسلامية، ج١ص١٢٨.

(٢) قدامة بن جعفر، الخراج، ص٧٧. السعداوي، نظام البريد، ص٦٦.

(٣) قدامة بن جعفر، الخراج، ص٧٨.

(٤) الحسن بن عبد الله ، آثار الأول، ص٨٨.

(٥) قدامة بن جعفر، الخراج، ص٥١.

(٦) ن.م.، ص٥١.

(٧) ن.م.، ص٧٧.

(٨) الصابي، الوزراء، ص١٧٧. والخريطة: وعاء مثل الكيس من أدم، أو ديباج، أو خرق يشرج على ما فيه، ويتخذ لكتب العمال أو للدراهم، أو للجوهر فيبعث بها. الصابي، رسوم دار الخلافة، ص١٧.

- **عمال البريد في الولايات**[١]: ويتم تعيينهم من قبل صاحب الديوان؛ لتنفيذ سياسته، وتصريف شؤون البريد في ولايته[٢].

- **المرتبون** وهم السعاة المسؤولون عن حمل الرسائل في الخرائط[٣]، وهم رجال خفاف تعودوا الجري والصبر على السير[٤].

- **الموقِّعون**، ويقومون بتثبيت أوقات انطلاق السعاة، ووصولهم. ولابد أن يثبت ذلك ولا يكون إلا بالكتابة فلابد أن يكون للموقعين سجلات خاصة لذلك[٥].

- **الفُرَانْقِيون**، ويتولون مسؤولية مراقبة سكك البريد والسعاة والخيالة، ويقدمون تقاريرهم عن ذلك إلى صاحب الديوان في العاصمة[٦].

- **الوكلاء والمخبرون**، ومهمتهم مساعدة عامل البريد في جمع المعلومات والأخبار[٧].

كما استخدم العباسيون الحمام في إرسال الرسائل[٨]. ومما يجدر ذكره أن للبريديِّ في العصر العباسي شارة خاصة وهي قطعة فضية بقدر الكف يعلقها العامل على كتفه، كتب على إحدى صفحتيها البسملة واسم الخليفة، وعلى الأخرى "إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً"[٩].

لم ترد معلومات تفصيلية عن نفقات هذا الديوان لكن أهميته وما يحتاجه من موظفين وأدوات ودواب تستدعي نفقات كبيرة[١٠]. وهناك إشارة إلى نفقات الدواب وأثمانها وأرزاق

---

(١) السامرائي، المؤسسات الإدارية، ص٢٧٣.

(٢) السعداوي، نظام البريد، ص٧١.

(٣) قدامة بن جعفر، الخراج، ص٥٢. السعداوي، نظام البريد، ص٦٩-٧٠.

(٤) الحسن بن عبد الله، آثار الأول، ص٨٨.

(٥) قدامة بن جعفر، الخراج، ص٥٢. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٦٤. الرفاعي، المنزلة الخامسة، ص٢٠٤

(٦) قدامة بن جعفر، الخراج، ص٥٢. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٦٤.

(٧) قدامة بن جعفر، الخراج، ص٥١.

(٨) الحسن بن عبد الله، آثار الأول، ص٨٨.

(٩) سورة الأحزاب، آية٤٥. أنظر، القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٤ (هامش ٢) ص٤١٦-٤١٧.

(١٠) انظر الحسن بن عبد الله ، آثار الأول، ص٨٨.

البنادرة والفرانقيين لسنة وتبلغ مائة ألف وتسعة وخمسون ألفاً ومائة دينار[١]. ويرد في ذكر نفقات المقتدر رواتب أصحاب البريد والبالغة ٧٩،٤٠٢ دينار سنوياً[٢].

ديوان الجيش:

ينظر صاحب هذا الديوان بشكل أساسي فيما يتعلق بالجند ورواتبهم ومقاديرها، وأوقات عطائهم، والنظر في خيولهم وأسلحتهم[٣]؛ لهذا يجب عليه أن يكون على قدر من العلم في الحساب، ومعرفة بالسلاح واستخدامه، متأدباً بالفروسية[٤].

ويضم ديوان الجيش مجموعة مجالس هي:

- **مجلس التقرير:** وينظر في استحقاقات الرجال، وأوقات أعطياتهم، ومعرفة أيامهم وشهورهم، وتقدير ما يحتاجون إليه من الأرزاق حسب الرسوم المقررة في جرائد الديوان[٥]. وتصرف رواتب الجند من أموال الخراج المجباة[٦]. وتختلف أوقات إطلاق رواتبهم فمنهم من يكون شهره أربعون يوماً أو تسعون يوماً وآخرون مائة وعشرون يوماً[٧]؛ وذلك للتخفيف على خزينة الدولة، ومنع شغب الجند[٨]. كما يعمل فيه تقدير للنفقـــات من الأرزاق الواجب اطلاقها في كل وقت من الأوقات المقررة، وإرسالها إلى

---

(١) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٥٣.

(٢) ابن دحية، البنراس، ص١٠٣-١٠٤. النويري، نهاية الأرب، ج٢٣ص١٠١-١٠٢. الكنـــدي، أخبـــار الدول، ورقة ٤٨-أ.

(٣) ابن وهب، البرهان، ص٣٦٣-٣٦٤. النصيبي، العقد الفريد، ص١٥٦. الحسن بن عبدالله، آثار الأول، ص٦٩-٧٠.

(٤) علي بن خلف، مواد البيان، ص٨٢-٨٣. ابن الربيع، سلوك الممالك، ص١٥٩-١٦٠.

(٥) قدامة بن جعفر، الخراج، ص٢١.

(٦) المقريزي، الخطط، ج١ص٩٥.

(٧) انظر، الصابي، الوزراء، ص١٦-١٩.

(٨) ابن وهب، البرهان، ص٣٦٤.

المراكز التي تنفق فيها[١].

- **مجلس المقابلة:** يختص هذا المجلس بالمقابلة بين ما هو موجود في الديوان في جرائد مفصلة للجند وأوقات عطائهم، وأرزاقهم، وبين ما يرد إلى الديوان من كتب مفصلة بالانفاق التي يبحث بها متولوا الإنفاق على الجند، وما يصدر إليهم من كتب، وإخراج الخلاف[٢]. ويشبه عمل المجلس عمل مجلس التفصيل في ديوان الخراج[٣].

كما يضم مجالس أخرى وهي الإنشاء، والتحرير، والأسكدار كما في ديوان الخراج[٤].

ولكل جندي في هذا الديوان وصفٌ دقيقٌ لـــه من حيث السن، واللون، وسمات الوجه، والعلامات الفارقة[٥]، وكذلك لدواب الجند، فلا بد من معرفة نوعها، ولونها[٦]، وأوصافها المحمودة والمذمومة، وعيوبها الأصيلة والحادثة[٧].

ويشير الصابي إلى مجلس التفرقة دون تحديد واضح لمهامه، وربما يختص بتوزيع استحقاقات الجند[٨]. ويقوم عليه عدد من كتاب العطاء[٩] الذين لا يرد ذكرهم عند قدامة.

وهناك كتّاب العرض الذين يقومون بإخراج السجلات المتضمنة لقوائم الجند في الديوان، وإرسالها إلى خزان الأموال لإرسال المال حيث يتم توزيع أرزاقهم بعد عملية العرض، إذ يعرض القائد جماعته أمام الخليفة والوزير بالسلاح التام على الخيل التي توسم، لئلا تكون

---

(١) قدامة بن جعفر، الخراج، ص٢١.
(٢) ن.م.، ص٢٣. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٥٦. الخفاجي، شفاء الغليل، ص٧١.
(٣) قدامة بن جعفر، الخراج، ص٢٣.
(٤) ن.م.، ص٢١.
(٥) ن.م.، ص٢٤-٢٥. ابن وهب، البرهان، ص٣٦٥-٣٦٧.
(٦) انظر قدامة بن جعفر، الخراج، ص٢٤-٢٥. البطليوسي، الإقتضاب، ج١ص١٥٠-١٥١.
(٧) علي بن خلف، مواد البيان، ص٨١.
(٨) الصابي، الوزراء، ص٢٦.
(٩) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٣٨. الصابي، الوزراء، ص٢٦ و٢٥٩.

مستأجرة، ويمتحنون بما يحسنون استعماله من السلاح، فإن كان حسب المدوَّن في السجلات أمضى أمره، وإن كان غير ذلك وضعت حلقة على اسمه لإسقاطه من الديوان، وتوفير رزقه[١]. وأما الذين نجحوا في العرض فيعطون استحقاقاتهم. ويكتب الكتاب حساباً وافياً بما أنفقوا من أموال وما وفروه[٢]. ويحصل هؤلاء الكتاب رواتبهم من أموال الساقطين من الخدمة، أو المخلين بأمر دوابهم[٣].

ويذكر قدامة أن هناك أحكاماً خاصة بالجند تتسم بالظلم منها: التقريب، أي أن الرجل الذي يتأخر دفع راتبه لا يُدفع لـــه ذلك الراتب بحجة التوفير، وكلما تقادم الزمن على ذلك تأكد وجوب إسقاطه[٤]. وكذلك لا يجوز أن يزاد الجندي أكثر من مبلغ راتبه مهما كان قليلاً، وإن أبلى في الحرب بلاءً حسناً[٥].

ومن أحكامهم أن يبقى للجندي راتب شهر موقوف، فإذا نقل من محله إلى محل آخر يدفع له راتب حسب المحل الجديد، فربما يصل بعد توزيع الراتب بيوم فلا يستلم إلا بعد مرور شهر كامل، وربما يصل قبل توزيع الأرزاق فيستلم منهم، وقد يكون قد استلم رزقه مسبقاً وبالتالي يستلم رزقه مرتين[٦].

ديوان النفقات:

أهم مهمات هذا الديوان هو القيام بنفقات دار الخلافة وحاجاتها، ونفقات الدواوين المركزية، والمصالح العامة في العاصمة[٧]. وينبغي فيمن يتولى هذا الديوان أن يكون جيد

---

(١) ابن وهب، البرهان، ص٣٦٤-٣٦٥. الصابي، الوزراء، ص١٧-١٨.

(٢) ابن وهب، البرهان، ص٣٦٧-٣٦٨. وانظر التنوخي، النشوار، ج٨ص١٨٢.

(٣) الصابي، الوزراء، ص٢٦.

(٤) قدامة بن جعفر، الخراج، ص٣٠.

(٥) ن.م.، ص٣٠.

(٦) ن.م.، ص٣١.

(٧) الصابي، الوزراء، ص١٥ و٢٧. علي بن خلف، مواد البيان، ص٨٠-٨١. السامرائي، المؤسسات الإدارية، ص٢٣٠.

الحساب، وعلى معرفة بالمكاييل والأوزان والأسعار والضرائب، وأصناف الأموال، عارفاً بجميع الأصناف من ملابس ومطاعم وآلات، وعلى معرفة بالرسوم السلطانية، والعطاء والصلات والهدايا[١].

ويضم ديوان النفقات المجالس التالية :

- **مجلس الجاري:** وفيه يتم تتبع نفقات المرتزقة، وتصنيفهم حسب الأعمال الموكلة لهم، وتثبيت أوقات استحقاق الرواتب حسب جرائد خاصة لهذا الغرض[٢]. وفي الغالب يكون شهر عطائهم خمسة وأربعون يوماً[٣].
- **مجلس الأنزال**[٤]: ينظر هذا المجلس في النفقات الخاصة بالإقامات والأنزال كالخبز واللحم والزيت والحلوى والثلج والفاكهة [٥]، كما يشرف على نفقات الخزائن الكسوة والخلع والسلاح، وما يتخذ من الفراش والستائر والحصر. ويتولى النظر في أرزاق السقائين والمطابخ والمخابز[٦]، وأرزاق الطباخين والفراشين وخزان الفرش والشموع، وأرزاق الجلساء والملهين والأطباء[٧].
- **مجلس الكراع:** ينظر في أمر الحيوانات في اصطبلات الدولة من الإبل والخيول، والبغال، وما فيها أو يباع أو يستبدل، وما تحتاجه من كسوةٍ وعلاجٍ وعلوفةٍ، ومحاسبة العلافين عما يردهم من غلات الضياع السلطانية، والإهتمام بمراعيها. بالإضافة إلى نفقات القائمين عليها من ساسة ومروضين وبياطرة[٨].

---

(١) الحسن بن عبد الله ، آثار الأول، ص٧٢-٧٣.

(٢) قدامة بن جعفر، الخراج، ص٣٣ .

(٣) الرفاعي، المنزلة الخامسة، ص١٦٧.

(٤) الأنزال: ما هيء للضيف إذا نزل. أي الضيافة. ابن منظور، لسان العرب، ج١١ص٦٥٨.

(٥) الحياري، الدواوين، ص٢٩. الرفاعي، المنزلة الخامسة، ص١٦٧.

(٦) الصابي، الوزراء، ص٢٠-٢١.

(٧) ن.م.، ص١٩. الرفاعي، المنزلة الخامسة، ص١٦٨

(٨) قدامة بن جعفر، الخراج، ص٣٤. الرفاعي، المنزلة الخامسة، ص١٧٠

- **مجلس البناء والمرمة:** يشرف على المباني التي تعود ملكيتها للدولة، كما يشرف على بناء ما يأمر به الخليفة أو الوزير[١] ويقوم بترميم البنايات التي يحتاج وضعها ذلك[٢]. ويتم في هذا المجلس محاسبة ذوي العلاقة من مهندسين، ومتعهدين بتأمين البناء والصناع من نجارين وبنائين ومزوقين[٣]؛ لهذا يجب على القائمين على هذا المجلس من معرفةٍ في الأمور الهندسية والحسابية الصعبة[٤]. لضمان الدقة في تحديد الكميات المستعملة في الإنشاء والترميم وتحديد كلفتها[٥].

مما يجدر ذكره أن أهمية هذا المجلس تتفاوت حسب آراء الخلفاء في الإغراق في البناء أو الإكتفاء بيسيره[٦].

- **مجلس بيت المال:** مهمته ضبط وتنظيم حسابات ديوان النفقات من خلال مقابلة النفقات من الصكوك[٧] وأوامر الصرف لمجموع ما صرف من الأموال، وإخراج الخلاف إن وجد[٨]. ويتم مساعدة الوزير في ضبط هذه الأمور من خلال مجالس تجمع المعلومات حول مختلف القضايا الخراجية والمالية[٩]. وينفرد متولي الديوان بالنظر في أصول المعاملات التي يجب أن تكون بخطه أما الفروع فإنها مردودة إلى الكاتب[١٠].

---

(١) الرفاعي، المنزلة الخامسة، ص١٧١.

(٢) السامرائي، المؤسسات الإدارية، ص٢٣٦.

(٣) قدامة بن جعفر، الخراج، ص٣٤-٣٥.

(٤) ن.م.، ص٣٥.

(٥) الرفاعي، المنزلة الخامسة، ص١٧١.

(٦) قدامة بن جعفر، الخراج، ص٣٤.

(٧) الصك: عمل يعمل لكل طمع، يجمع فيه أسامي المستحقين وعدتهم ومبلغ مالهم ويوقع السلطان بـآخره بإطلاق الأرزاق لهم. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٥٦. ابن منظور، لسان العرب، ج١٠ص٤٥٧.

(٨) قدامة بن جعفر، الخراج، ص٣٥.

(٩) الرفاعي، المنزلة الخامسة، ص١٧٧-١٧٨.

(١٠) ن.م.، ص١٧٤.

- **مجلس الحوادث:** يتولى النظر في النفقات التي صرفت على الأمور الطارئة التي لا وجود لها في الأصل بأمر من الخليفة أو الوزير[١]. مثل تعويض المصابين في أموالهم بالحرائق والغرق[٢].

ويتبع لديوان النفقات مجالس أخرى وهي مجلس الإنشاء، ومجلس التحرير، ومجلس النسخ، وتقوم هذه المجالس بنفس المهمات السابق ذكرها[٣].

ديوان بيت المال:

هو أصل الدواوين. ويمثل خزينة الدولة، إذ يشرف على ما يرد إلى بيت المال في العاصمة من أموال، وما يخرج منه في وجوه النفقات والإطلاقات، ويثبت في جرائد جميع أصول الأموال السلطانية[٤].

وكان الرسم المتبع في عمل هذا الديوان أن الجهبذ في المركز يرفع كتاباً في كل شهر إلى ديوان بيت المال بمجمل الواردات والمصروفات يسمى بالختمة[٥].

والرسم في الختمة إذا عملت لا ترفع إلى الديوان عن الشهر إلا في منتصف الشهر التالي[٦]. كما كان على الجهبذ إعداد خلاصة سنوية بالواردات والمصروفات، والمتبقي من الأموال تعرف بالختمة الجامعة[٧].

---

(١) قدامة بن جعفر، الخراج، ص٣٥.
(٢) الرفاعي، المنزلة الخامسة، ص١٧٦.
(٣) قدامة بن جعفر، الخراج، ص٣٥.
(٤) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٦٢. الحسن بن عبد الله، آثار الأول، ص٧٤.
(٥) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٧٤.
(٦) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٥٢.
(٧) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٥٤.

ونتيجة لإضطراب الأوضاع المالية سنة (٣١٥هـ/٩٢٥م) طلب الوزير علي بن عيسى من صاحب الديوان عمل حسابات أسبوعية تعرف بالروزنامجات[١].

ولأهمية هذا الديوان، وتنوع موارده ينبغي على متوليه أن يكون ثقةً، حافظاً وعارفاً قدر ما ائتمن عليه، متجنباً للخيانة، عالماً بالأصناف التي تحت يده، حازماً لا تتم عليه حيلة وأن يكون قيماً في الحساب بما يكفيه لضبط ما يحمل إليه[٢]. كما ينبغي عليه حصر أوجه المال وأقسامها وأصول الأموال (عشرية، وخراجية، وعشور التجارة، ومقاسمات وغنيمة)[٣].

ويشمل ديوان بيت المال على مجالس الإنشاء والتحرير والنسخ[٤].

وقد كانت جميع الكتب الصادرة إلى الدواوين، والمتعلقة بالنواحي المالية يتم تثبيتها فيه قبل إرسالها إلى تلك الدواوين. وكذلك الأمر بالنسبة للكتب الواردة من الدواوين لصاحب بيت المال، وإذا ما حصل خلاف في خلاصة الحساب الشهري المرفوع وما فيه من نفقات وحاصل من قبل صاحب بيت المال والدواوين الأخرى، يحال الأمر للوزير، وتتم دراسة الخلاف من قبل صاحب بيت المال ويعطي التوجيه بناء على ما عنده من نسخ الكتب[٥]. من هنا جاء الإرتباط بشكل أساسي بين ديوان بيت المال وديوان النفقات فالأصل بمتولي ديوان النفقات أن يرفع ما يثبت عنده من مصروفات لصاحب بيت المال[٦].

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٥١-١٥٢.
(٢) علي بن خلف، مواد البيان، ص٨٠. الشيزري، المنهج المسلوك، ص٢٢٩.
(٣) النصيبي، العقد الفريد، ص١٥٨-١٥٩.
(٤) قدامة بن جعفر، الخراج، ص٣٦.
(٥) ن.م.، ص٣٦.
(٦) الحسن بن عبد الله، آثار الأول، ص٧٤.

ولصاحب ديوان بيت المال علامة أو ختم يؤشر بها على الكتب والصكاك وهي ضرورية لقبول الكتب؛ وذلك لضبط الناحية المالية، ومنع التلاعب[١].

وقد وجد بيتان للمال في الدولة العباسية:

- **أولهما:** بيت المال العام: وهو خزينة الدولة ويدار عادةً من قبل الوزير[٢]. وهو مسؤول بشكل أساسي عن الصرف على نفقات دار الخلافة والدواوين، والحرمين وطريقهما، ورواتب القضاة في الولايات وولاة الحسبة والمظالم[٣].

- **ثانيهما:** بيت مال الخاصة: وهو في الواقع بيت مال الخليفة[٤]. وهو مؤسسة مستقلة بذاتها لها مواردها ومصروفاتها، غير أنه يشكل خزينة إحتياطية يلجأ إليه الوزراء في حالات الطواريء، والعجز المالي.

ويشار إلى بيت مال الخاصة منذ زمن الخليفة الهادي (١٦٩-١٧٠هـ/٧٨٥-٧٨٦م)[٥]، لكن يبدو أن إنشاء بنايةٍ مستقلة لـــه كان في عهد المعتضد الذي بنى قلعة ملأ دعاماتها وأثقالها بالرصاص المذاب[٦]. والغاية الأساسية من تأسيس بيت مال الخاصة هي المحافظة على ثروات الخلفاء، وإدارة ممتلكاتهم[٧]. وإذا ما استخدمت تستخدم لحالات الطواريء. إلا أن الأوضاع المالية المتردية للدولة زمن المقتدر جعلت أموال بيت مال

---

(١) قدامة بن جعفر، الخراج، ص٣٦.

(٢) انظر مثلاً، مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٥١.

(٣) الكندي، أخبار الدول، ورقة ٤٨-أ. ابن دحية، النبـــراس، ص١٠٣-١٠٤. النـــويري، نهايـــة الأرب، ج٢٣ص١٠١-١٠٢.

(٤) الدجيلي، بيت المال، ص١٨١.

(٥) الجهشياري، الوزراء، ص١٧٦.

(٦) الصابي، الوزراء، ص١٥٧.

(٧) ن.م.، ص١٨٣.

الخاصة الحل السريع لدفع الرواتب، وسد احتياجات الدولة العاجلة، كما حصل مع أبي علي الخاقاني سنة (٢٩٩هـ/٩١١م)[١].

واتهم علي بن عيسى ابن الفرات باعتماده في تدبير النفقات على بيت مال الخاصة[٢]. في حين حاول علي بن عيسى تصويب الأوضاع المالية دون الاعتماد على بيت مال الخاصة[٣]، وأنه لم ينفق منه –على حد قوله– نصف عشر ما أنفق أبو علي الخاقاني وابن الفرات، وتعهد برد القليل الذي أخذه[٤]. وفي سنة (٣١٥هـ/٩٢٧م) لم يبق في بيت مال الخاصة سوى خمسمائة ألف دينار[٥]. لكن المقتدر كان يرفض أحياناً تقديم المساعدة كما حصل في وزارة ابن الفرات الثانية (٣٠٦-٣٠٨هـ/٩١٧-٩١٩م)[٦].

ولبيت مال الخاصة إدارة منفصلة عن بيت المال العام، والظاهر أن لـه ديواناً خاصاً يرأسه خازن، وقد تولى مؤنس الخادم هذا المنصب أيام المعتضد والمقتدر[٧]. له كاتب خاص، وقد تولى عبد الرحمن بن هشام الملقب بأبي قيراط هذا المنصب أيام المقتدر[٨]. وتعتبر ثروات الخلفاء –وهي كبيرة أحياناً– مورداً أساسياً لبيت مال الخاصة[٩]. وقد كان المعتضد والمكتفي يستفضلان فيه في كل سنة من سني حكمهما بعد سد جميع النفقات مليون دينار[١٠]. لذا يفترض

---

(١) الصابي، الوزراء، ص٦٦. أنظر، مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٤.
(٢) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٨. الصابي، الوزراء، ص٣١٦.
(٣) الصابي، الوزراء، ص٣١٦.
(٤) ن.م.، ص٣٠٨.
(٥) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٨١.
(٦) ن.م.، ج١ص٥٦.
(٧) الصابي، الوزراء، ص٢٧ و١٥٨.
(٨) ن.م.، ص١٥٨.
(٩) ن.م.، ص١٨٨. الدجيلي، بيت المال، ص١٨٨.
(١٠) مسكويه، تجارب الأمم، ج١،ص٢٤١.

مسكويه أنه لو سار المقتدر على سنتهما لخلف في بيت مال الخاصة خمساً وعشرين مليون دينار خلال سني حكمه[١].

ويشكل ارتفاع الضياع السلطانية مورداً آخر لبيت مال الخاصة، ومن هذه الضياع الأراضي التي استولى عليها العباسيون من الأمويين[٢]. ومنها الضياع الخاصة والفراتية ولا يوجد في المصادر المعاصرة ما يوضح معانيها[٣]، والضياع المستحدثة التي أضيفت حديثاً[٤]، والضياع المرتجعة التي أقطعت من قبل وألغي إقطاعها[٥]. ولإدارة هذه الضياع استحدث لها ديوان الضياع السلطانية[٦]. وكانت هذه الضياع عرضةً للإقتطاع بشكل غير مشروع كما فعل ابن الفرات[٧]. وكان بعضها يضمن فقد ضمن أبو عبد الله البريدي الضياع الخاصة[٨].

ويلجأ للضياع السلطانية في الأزمات كما فعل المقتدر سنة (٣١٧هـ/٩٢٩م)[٩]، والوزير الحسين بن القاسم سنة (٣١٩هـ/٩٣١م)[١٠]. ومن موارد بيت مال الخاصة المصادرات[١١].

ويتصرف الخليفة بأموال بيت مال الخاصة لأغراضه الشخصية أو ما يأمر به "كنفقات الموسم، ومن يخرج من الغزوات للصائفة، ونفقات الأبنية والمرمات، والحوادث والملمات، والرسل الواردين والفداء" [١٢].

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٤١.
(٢) قدامة بن جعفر، الخراج، ص٢٤١. الدجيلي، بيت المال، ص١٩٠-١٩١.
(٣) الدوري، تاريخ العراق، ص٣٨.
(٤) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٦١.
(٥) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٤٥.
(٦) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٥٢.
(٧) الصابي، الوزراء، ص١٥١.
(٨) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٥٢ و١٥٨. الهمذاني، التكملة، ج١ص٦٤.
(٩) التنوخي، النشوار، ج١ص٢٨٤-٢٨٥. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٤٤-١٤٥. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٠٠. ابن الأثير، الكامل، ج٧ص٥٣. النويري، نهاية الأرب، ج٣ص٨٧-٨٩.
(١٠) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٢٦.
(١١) سيرد الحديث عن المصادرات في هذا الفصل.
(١٢) الصابي، الوزراء، ص٢٧.

ديوان الجهبذة:

يبدو أن ديوان الجهبذة كان في الأصل شعبةً من ديوان بيت المال[١]. وقد ورد ذكر ديوان الجهبذة مضافاً إلى ضياع البر سنة (٣١١هـ/٩٢١م)[٢]. وذكره عريب كديوانٍ مستقل سنة (٣١٦هـ/٩٢٥م)[٣].

ويقوم عليه أشخاص اختصوا بالحسابات والأمور المالية يطلق عليهم الجهابذة. وقد عرف ابن مماتي الجَهبَذ بأنه "كاتب برسم الاستخراج والقبض وكتب الوصولات وعمل المخازيم[٤] والختمات... ، ويطالب بما يقتضيه تخريج ما يرفعه من الحساب اللازم لـــه لا الحاصل"[٥]. ويعرفه القاموس المحيط: بالناقد الخبير[٦]. ويعرفه الزبيدي بالنَّقّاد الخبير بغوامض الأمور العارف بطرق النقد[٧].

هذه التعاريف تشير إلى عمل من أعمال الجهابذة وهو الاشتغال بالصيرفة لكن مدلول الجهبذ تغير حسب تطور الوظيفة ذاتها[٨]. فالجهبذ في الأصل تاجر، وقد توسعت مهامه عندما استعان به الولاة في جباية الضرائب في بعض المقاطعات. ثم صار صاحب بيت مالي تلجأ إليه الدولة للتسليف[٩] كما فعل ابن الفرات سنة (٢٩٦هـ/٩٠٨م) مع الجهبذ يوسف بن فنحاس[١٠]. كمـــا اعتمد ابن الفرات على الجهبذين يوسف بن فنحاس وهارون بن عمران في حفظ الأموال

---

(١) قدامة بن جعفر، الخراج، ص٣٦.
(٢) الصابي، الوزراء، ص٣١٦.
(٣) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٣٥.
(٤) المخازيم: خزمت الكتاب إذا ثقبته، ابن منظور، لسان العرب، ج١٢ص١٧٥.
(٥) ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٣٠٤.
(٦) الفيروزأبادي، القاموس المحيط، ج١ص٣٥٢.
(٧) الزبيدي، تاج العروس، ج٩ص٣٩٢.
(٨) الدوري، تاريخ العراق، ص١٥٤.
(٩) ن.م.، ص١٥٨-١٥٩.
(١٠) الصابي، الوزراء، ص١٩٨.

المصادرة من أنصار ابن المعتز دون صاحبي بيت مال العامة والخاصة[١].

ولما تولى علي بن عيسى الوزارة سنة (٣٠١هـ/٩١٣م) سعى لتنظيم عملية التسليف للدولة مع الجهبذين السالف ذكرهما، على أن يرتجعا مالهما من واردات الأهواز[٢].

وصار هذان الجهبذان مختصين بدار الخلافة زمن المقتدر ولهما رسم خاص في المراسلات والمكاتبات. وكان لأكثر الوزراء جهابذة خاصون مثل إبراهيم بن يوحنا جهبذ حامد بن العباس[٣]، الذي صودر على مائة ألف دينار، وكان لعلي بن عيسى معاملات مع ناقد[٤].

ومهمة الجهابذة تدقيق حسابات الواردات والمصروفات الفرعية التي لاتدخل في أصول الأموال[٥]، وعلى رئيس الديوان أن يقدم خلاصة شهرية لحسابات بيت المال[٦]، كما كان عليه إعداد خلاصة سنوية بالواردات والمصروفات والمتبقي من الأموال[٧].

ويستلم الجهبذ أجراً لقاء خدماته من الضرائب المجباه[٨]، ويشار في أواخر القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي إلى ضريبة عرفت باسم مال الجهبذة وصفها علي بن عيسى بأنها بلاءٌ على الناس[٩].

ديوان المصادرين:

وربما كان له أوليات في العصر الأموي في دار الإستخراج[١٠]. غير أن المصادرات في ذلك العصر لم تكن عامة ومستمرة بل كانت وقتية تكمن وراءها عوامل سياسية

---

(١) التنوخي، النشوار، ج٨ص٣٨-٤٢. الصابي، الوزراء، ص٩٠.
(٢) التنوخي، النشوار، ج٨ص٤١-٤٢.
(٣) ن.م.، ج١ص٤١. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٩٥. الصابي، الوزراء، ص٢٤٨.
(٤) الصابي، الوزراء، ص٣١٦.
(٥) السامرائي، المؤسسات الإدارية، ص٢٥٢.
(٦) قدامة بن جعفر، الخراج، ص٣٥. الخوارزمي، مفاتيح العلوم ،ص٥٤.
(٧) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٥٤.
(٨) الدوري، تاريخ العراق، ص١٥٩.
(٩) الصابي، الوزراء، ص٢٧٧-٢٧٨.
(١٠) المعايطة، نشأة الدواوين، ص٢٣٦.

وشخصية[١]. إلا أن المصادرات في عهد المقتدر تحديداً كان دافعها الحاجة إلى المال نتيجة الأزمة المالية التي كانت تعاني منها الدولة، إضافة إلى الخلافات بين الوزراء، وشكلت مثل هذه الأموال دخلاً ثابتاً لبيت المال يمكن للدولة الإستعانة به في تغطية جزء من نفقاتها. ورأى بعض الوزراء في المصادرة مورداً أساسياً لبيت المال كما فعل الخصيبي سنة (٣١٣هـ/٩١٩م)[٢]. وشملت المصادرات بالدرجة الأولى الوزراء والكتاب ثم الولاة[٣]، والتجار[٤]، والقضاة[٥]، والجهابذة[٦] وحتى النساء[٧]. ونتيجة المنافسة بين الوزراء وأنصارهم، أصبح من المعتاد أن يصادر الوزير الجديد سلفه وأنصاره، وقد يتعرض للتعذيب[٨]. مما أدى إلى تأكيد سنة المصادرات بين الوزراء والكتاب في خلافة المقتدر. كما أن كل وزير كان يرغب بإظهار أنه الأقدر على استخراج المال، فكان ابن الفرات كثيراً ما يقدم المال طائعاً حتى يفوت على الوزير الجديد فرصة التباهي أمام الخليفة باستخرج المال[٩]. وكان كتاب الوزير المعزول وأعوانه يقدمون المعونة له أحياناً عند مصادرته تخفيفاً عنه، كما حصل مع علي بن عيسى سنة (٣١١هـ/٩٢٣م)[١٠]. ويسمح للأشخاص المصادرين بمكاتبة وكلائهم وأصحابهم لتسديد الأموال التي تعهدوا بها[١١]، وفي أحيان أخرى يتم تسديد جزء من المبلغ ويقسط الباقي وفي الغالب يسقط

---

(١) السامرائي، المؤسسات الإدارية، ص٢٨٦.

(٢) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٢٨. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٤٤ و١٥٤.

(٣) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٠٨.

(٤) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٧. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٤٨. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٣٥.

(٥) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٤ و١٦. الطرسوسي، تحفة الترك، ص١٧٩.

(٦) الصابي، الوزراء، ص١٤١.

(٧) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٩٣ و١٤١.

(٨) انظر الصولي، أخبار المقتدر، ص٢٣٣. التنوخي، النشوار، ج٥ص٥٢-٥٣. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٢ و٩٣ و٩٨. الصابي، الوزراء، ص٢٦٤.

(٩) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٢٨.

(١٠) ن.م.، ج١ص١١٢.

(١١) التنوخي، النشوار، ج٨ص١٠٦. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٣١ و١٥٠، ١٥٥.

الجزء المقسط[١].

وقد بلغت المصادرات ذروتها في عهد المقتدرفي وزارة ابن الفرات الثالثة إذ شملت أربعين شخصية وبلغ مجمل المصادرات أكثر من ثمانية ملايين دينار[٢]. وبلغت مصادرات ابن الفرات وكتابه في مختلف وزاراته وعلي بن عيسى وحامد بن العباس وابن الحواري وابن الجصاص مع ارتفاع ضياعهم ١٨،١٥٠،٠٠٠ دينار[٣].

ويظهر أنه لم تكن هناك قاعدة تحدد نسبة ما يصادر عليه الشخص فقد بلغت مصادرة الخصيبي ١٦% من دخله. ومصادرة ابن الفرات سنة (٣٠٦هـ/٩١٨م) ٤٢% من دخله. في حين اضطر حامد بن العباس إلى بيع ضياعه لدفع ما طلب منه[٤].

والظاهر أن الأموال المصادرة توجه في الغالب لبيت المال العام إلا في حالات يرى الخليفة ووضعها في بيت مال الخاصة[٥]، وكثيراً ما كانت أموال المصادرات عرضةً للسرقة[٦]. ودفعت المصادرات البعض إلى حيل لإخفاء أموالهم كجعلها ودائع لدى الناس[٧]، أو دفنها[٨].

وللإشراف على استيفاء أموال المصادرات أنشيء ديوان المصادرين[٩]. وقد جرت العادة أن تودع خطوط المصادرين والكفالات، وضمانات الضمناء في خزائن يتسلمها وزير بعد وزير[١٠]. وقد شذ عن هذا الخصيبي حين أودعها عند صاحب ديوان المصادرات، وقد أنكر

---

(١) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٩٧. التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج١ص١٠٩.

(٢) الصابي، الوزراء، ص٤٢-٥٢. الدوري، تاريخ العراق، ص٢٦٤.

(٣) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٣٩-٢٤٠.

(٤) الدوري، تاريخ العراق، ص٢٦٤.

(٥) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٢٨. الصابي، الوزراء، ص١٤١.

(٦) أنظر مثلاً، الصولي، أخبار المقتدر، ص٣٣. مسكوبه، تجارب الأمم، ج١ص١٢٣.

(٧) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٧٦. مسكوبه، تجارب الأمم، ج١ص٦٧ و١٠٢.

(٨) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٠٢.

(٩) ن.م.، ج١ص٢١ و١٥٤.

(١٠) ن.م.، ج١ص١٥٥.

علي ابن عيسى عليه ذلك. فلما أجابه بأنه عمل ذلك رغبة في عمارة الديوان، رد عليه علي بن عيسى: "إن كنت أردت عمارة الديوان، فكان ينبغي أن تأخذ الخطوط على نسختين، نسخة للديوان ونسخة تكون عندك، فلو باع صاحب الديوان رقاع المصادرين والكفالات وضمانات الضمناء. هل كان على السلطان مضرة في هذا أعظم منك؟"[١].

وصاحب هذا الديوان من ثقات الوزير الذين يتبدلون بتبدله. فقد كان المحسن بن علي بن الفرات يتولى ديوان المصادرين في وزارة أبيه الثالثة[٢].

ديوان البر:

استحدث هذا الديوان في وزارة علي بن عيسى سنة (٣٠١هـ/٩١٣م) حين استطاع إقناع المقتدر بوقف مستغلات العاصمة وغلتها ١٣،٠٠٠ دينار سنوياً، والضياع الموروثة بالسواد وغلتها ٨٠،٠٠٠ دينار على الحرمين والثغور[٣]. ولابد أن هذا الديوان أنشيء لاستثمار هذه الأوقاف والإشراف على وارداتها. وأول من تقلده أبو شجاع الكاتب[٤].

وفي وزارة علي بن عيسى الثانية سنة (٣١٤هـ/٩٢٦م) تقلده عبد الوهاب بن الحسن الكاتب تحت اسم ديوان البر وديوان الصدقات[٥].

ديوان المرافق:

المرافق هي الرشاوي، وقد استحدث ابن الفرات هذا الديوان في وزارته الثانية سنة (٣٠٤هـ/٩١٦م) حين قبض على كافة عمال وكتاب الوزير السابق، وصادرهم وطالب العمال المصادرين بإظهار المرافق، ونصب لتتبع تلك الأموال ديواناً[٦].

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٥٥.

(٢) الصابي، الوزراء، ص٣٣٢.

(٣) ن.م.، ص٣١٠-٣١١.

(٤) ن.م.،ص٣١١.

(٥) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٥٢.

(٦) ن.م.، ج١ص٤٢.

ربما كان للأوضاع المالية دور في دفع ابن الفرات لاستحداث هذا الديوان خاصة وأنه تكفل بدفع مبلغ من المال للخليفة والسيدة والأمراء[١]، فربما افترض أن يتم تغطية المبلغ أو جزء منه من خلال هذا التدبير خاصةً وأن المرافق كانت مبالغ كبيرة نسبياً[٢]. وقد عهد لهارون بن عمران برئاسة هذا الديوان، وتحصيل الأموال[٣] وهو من الدواوين المؤقتة.

ديوان المقبوضات عن أم موسى وأسبابها:

قام علي بن عيسى بإنشاء هذا الديوان أثناء إشرافه على الدواوين والأعمال في وزارة حامد بن العباس سنة (٣٠٦-٣١١هـ/٩١٩-٩٢٣م)[٤]؛ للإشراف على الأموال والضياع المصادرة من أم موسى القهرمانة وأختها وأخيها، ومن هنا أخذ تسميته. وقد بلغت قيمة ما صودروا عليه أكثر من مليون دينار[٥]، بعد أن اتهمت أم موسى بمحاولة نقل الخلافة لصهرها أحد أحفاد المتوكل[٦]. وقد قلد هذا الديوان أبا شجاع الكاتب، وتقلد الزمام عليه أبو عبد الله اليوسفي الكاتب[٧]. ولا بد أن مهمة هذا الديوان قد انتهت بانتهاء الغرض من إنشائه .

ديوان المرتجعة:

وهو من الدواوين المؤقتة، أنشيء بعد عودة المقتدر للخلافة إثر خلعه سنة (٣١٧هـ/٩٢٩م)[٨]. وبعد عودته كان لا بد أن يطلق مال البيعة وأرزاقاً للجند. ولكن ما كان

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٤٢.
(٢) ن.م.، ج١ص٦١.
(٣) الصابي، الوزراء، ص٣٨٠.
(٤) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٥٨.
(٥) ن.م.، ج١ص٨٤.
(٦) الصولي، أخبار المقتدر، ص٢٢٨. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٠٨. مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٨٤.
(٧) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٨٤.
(٨) ن.م.، ج١ص١٩٥-١٩٩. الهمذاني، التكملة، ج١ص٦٠-٦١.

موجوداً في الخزائن لم يفِ بذلك؛ فأمر الخليفة بارتجاع ما أقطعه للناس من أموال وضياع، وأفرد لذلك ديوان سمي بديوان المرتجعة[١]. وقد بيع الكثير من هذه الأملاك بأبخس الأثمان[٢].

وقد تقلد عبد الله بن محمد بن روح هذا الديوان، ولما اشتدت مطالبة الجند للأموال استعفى، وقلد مكانه الحسين بن أحمد الماذرائي[٣]. وقد انشغل الوزير ابن مقلة وأصحاب الدواوين بتيسير مهمة هذا الديوان[٤].

ديوان المخالفين:

وهو من الدواوين المؤقتة، أنشيء سنة (٣١٩هـ/٩٣١م) إثر خروج مؤنس الخادم إلى الموصل في أعقاب تأزم علاقته مع الخليفة[٥]. فقام الوزير الحسين بن القاسم بقبض أملاكه وضياعه وضياع أسبابه، وأفرد لها ديواناً سماه الديوان المخالفين[٦].

ديوان المواريث:

ينظر في تركة المتوفى ممن ليس لـــه قريب. وقد أمر المعتضد ثم المكتفي بإلغاء الضريبة وإزالة الديوان[٧]. والظاهر أن الأوامر السابقة لم تكن سارية خلال السنوات الأولى من حكم المقتدر الذي أمر سنة (٣٠٠هـ/٩١٢م) بإلغاء ضريبة الإرث، وأن يورث ذوو الأرحام، ولا يعرض إلا لمن ليس له قريب[٨]. ولكن في سنة (٣٠١هـ/٩١٣م) لما توفي علي بن أحمد

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٠٠.
(٢) ن.م.، ج١ص٢٠٠.
(٣) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٤٤.
(٤) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص١٩٩-٢٠٠.
(٥) ن.م.، ج١ص٢٢٢. الهمذاني، التكملة، ج١ص٨٣.
(٦) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٢٢٣. الهمذاني، التكملة، ج١ص٨٣.
(٧) الصابي، الوزراء، ص٢٦٨.
(٨) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٥٤. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص٣٨. أبو الفـداء، المجتـصر، ج١ص٣٧٩.

الراسبي أحد عمال السلطان أمر الخليفة بقبض أملاكه[١]. وفي سنة (٣٠٢هـ/٩١٤م) ماتت بدعة جارية عريب مولاة المأمون، وقد خلفت مالاً كثيراً، وجوهراً، وضياعاً. فأمر المقتدر بقبض ذلك كله أيضاً[٢].

ولما توفي الفضل بن يحيى بن فرُّخان شاه سنة (٣٠٣هـ/٩١٥م) أخذت جميع أملاكه وودائعه[٣]. وكذلك عند وفاة العباس بن عمرو الغنوي سنة (٣٠٥هـ/٩١٧م)، -وهو من العمال- حمل ما خلف من مال وسلاح إلى المقتدر[٤].

وفي سنة (٣٠٨هـ/٩٢٠م) توفي كاتب السيدة فاقتطعت من أمواله ١٠٠،٠٠٠ دينار[٥]. وتتبع حامد بن العباس المواريث، فقلد جبايتها عمالاً يجرون مجرى عمال الخراج، وتعسف في جبايتها[٦].

وفي سنة (٣١١هـ/٩٢٣م) توفي يانس الموفقي، فقام المحسن بن علي بن الفرات بتحصيل تركته فأذهب أكثرها، وخان الخليفة فيها، وأخذ أكثر ذلك لنفسه[٧]. وبقي الناس في عنت من هذه الضريبة إلى أن توفي أحمد بن محمد بن خالد المعروف بأبي صخرة -وهو من مشايخ الكتاب-، فأمر المقتدر بالتوكيل بخزائنه وداره فسار ورثته إلى المحسن وضمنوا له مالاً إن أزال التوكيل فسعى وأبوه في ذلك إلى أن أصدر المقتدر منشوراً أمر فيه بإسقاط المواريث. إلا أن المحسن أول من خرق الأمر حين وجه إليهم من أخذ مالهم، وأمر بحبسهم[٨].

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ج١ص٣٢. الهمذاني، التكملة، ج١ص١٣. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ص١٤٧-١٤٨.

(٢) الصولي، أخبار المقتدر، ص١٨٠-١٨١.

(٣) ن.م.، ص١٨٠-١٨١.

(٤) عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١٦٩.

(٥) الصولي، أخبار المقتدر، ص٢٢٢.

(٦) الصابي، الوزراء، ص٢٧٠.

(٧) الصولي، أخبار المقتدر، ص٢٤٥. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١١٠-١١١.

(٨) الصولي، أخبار المقتدر، ص٢٤٦-٢٤٧. عريب بن سعيد، صلة الطبري، ص١١٦-١١٧. الصابي، الوزراء، ص٢٦٨.

الخـــلاصة :

عانت الخلافة العباسية في فترة سيطرة الترك من فوضى سياسية ومالية كادت أن تودي بها، إلا أنها شهدت بعض الإنتعاش في خلافة المعتمد والمعتضد والمكتفي فأعادوا للخلافة بعضاً من هيبتها وقوتها، وانتعشت المؤسسة الإدارية، وظهر الإنسجام بين توجهات الخلافة وسياسة الوزراء، وتم إلزام الجيش في نطاق عمله.

تولى المقتدر الخلافة والدولة تبدو قوية قد تجاوزت أزماتها السياسية والمالية. إلا أن خلافته منذ البداية قامت على أسس واهية حين اختير للحكم في سنٍ صغيرة وتم التخلص ممن يصلح فعلياً لهذا المنصب الخطير بقوة الجيش، ومساندة الحاشية وغلمان دار الخلافة مما ساعد في إظهار نفوذ هذه الفئات منذ بداية خلافته، وتأكدت مع الزمن قوة الجيش بقيادة مؤنس الخادم أقوى شخصية في البلاط. ولم يستطع الخليفة الحد من طلبات الجيش المتكررة بروواتبهم وزياداتهم فأسهم ذلك في خلق الأزمة المالية التي صارت تعاني منها الدولة في خلافة المقتدر. إضافة إلى التنافس والتحاسد الذي كانت تشهده الوزارة مما جعل من الصعب على الخليفة الإعتماد عليها في مواجهة الجيش –في النصف الثاني من حكمه–من جهة، وأفضى إلى تهميش دور الوزارة، وفقدان تأثيرها في توجيه الدولة .

أظهرت الدراسة أن شخصية المقتدر ونشأته الأولى تأثرت بمجموعة متداخلة من الظروف وسمته باللين والبعد عن الحزم، فخضع لتأثير والدته وسيدات القصر، والحاشية والغلمان وبرز تأثيرهم واضحاً في سياسته. وأسهمت الإضطرابات السياسية والمالية في إضعاف الخلافة حتى انتهى بخضوعها للحكم البويهي.

كما أظهرت الدراسة أن الوزارة في بداية خلافة المقتدر كانت على درجة من القوة والسلطة هي في الواقع امتداد للإزدهار الذي شهدته في الفترة السابقة. كما كان معظم وزراء المقتدر يمتازون بالمقدرة والكفاءة المالية والثقافية. ورغم أن سلطة الوزير تعتمد على رضى

الخليفة إلا أنه بعد تفويض السلطة إليه كان يلعب الدور المهم في تسيير دفة الحكم، والإشــراف على النواحي المالية والسياسية. وكان الوزير يشرف على إدارة شــؤون الدولــة مــن خــلال الدواوين المتعددة التي تُكون جهازاً إدارياً واسعاً. غير أن الوزارة شهدت تراجعاً فــي أواخــر خلافة المقتدر.

وقد خلصت الدراسة إلى الآتي:

أولاً: كان صغر سن الخليفة عاملاً أساسياً ساهم في إبراز القوى المختلفة، وتأكيد نفوذ بعــض الشخصيات في الدولة أدى مع الزمن إلى التنافس فيما بينها على السلطة.

ثانياً: ظهرت في خلافة المقتدر سلطة الحرم وعلى رأسهن السيدة والدة المقتدر والقهرمانات اللواتي يستمددن سلطتهن في الواقع من السيدة إذ سمح احترام المقتدر الكبير لها إلى نفوذ كلمتها، وتأكيد سلطتها إلا أن الباحثة يرى أن هذه السلطة ضخمت في الروايات.

ثالثاً: كان الوزراء عرضة للعزل لأسباب مالية، أو لفساد إدارتهم، أو نتيجةَ ضــغط الحاشــية والمقربين من البلاط، ففقد الوزراء عنصر الإستقرار والثقة مما دفع بــالبعض إلــى اســتغلال منصبهم لأغراضهم الخاصة، ومداراة الفئات ذات التأثير على حساب الدولة. كما ظهــر عــدم الإنسجام والتكامل بين سياسات الوزراء المالية التي كانت في معظمها متضاربة.

رابعاً: أن الأزمة المالية التي عانت منها خلافة المقتدر نشأت من عوامل متعددة منهــا تبــذير المقتدر، والفساد الإداري الذي سهل سرقة الأموال ، والزيادات التي طرأت على رواتب الجيش والمؤسسة الإدارية، كما أدت الإضطرابات في الولايات إلى تقليص واردات الدولــة، وتركــت آثارها السلبية على ماليتها.

ويبدو أن الأزمة المالية أدت إلى إظهار نفوذ التجار والجهابذة وأصبح للبعض منهم مكانة خاصة في دار الخلافة.

المصادر

– ابن الأبار، أبو عبدالله محمد بن أبي عبدالله (ت٦٥٨هـ/١٢٥٩م)، إعتاب الكتاب، ط١، تح، صالح الأشتر، د.ن، ١٩٦١م.

– الإبشيهي، شهاب الدين محمد بن أبي أحمد (ت٧٩٠هـ/١٣٨٨م)، المستطرف في كل فن مستظرف، د.ط، ٢ج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

– ابن الأثير، محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، ط١ ،١٠ج، تح، محمد يوسف دقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

– الأربلي، عبدالرحمن سنبط قنيتو (ت٧١٧هـ/١٣١٧م)، خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك، ط٢، تح، مكي السيد جاسم، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٤م.

– إسترابادي، حسين واعظ، دستور الوزراء، د.ط، تصحيح وتعليق إسماعيل واعظ جوادي، مركز الثقافة الإيرانية، طهران، ١٩٤٥م.

– الأصفهاني، أبو عبدالله حمزة بن الحسن (ت٣٦٠هـ/٩٧٠م)، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، ط٣، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦١م.

– الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد (ت٣٥٦هـ/٩٦٦م)، الأغاني، د.ط، ٢١ج، دار الفكر، د.ن، د.ت.

– الإصطخري، إبراهيم بن محمد الفارسي الكرخي (ت٥٤١هـ/١١٤٦م)، المسالك والممالك، د.ط، تح، محمد جابر العيني، دار العلم، المملكة العربية المتحدة، ١٩٦١م.

– ابن الأكفاني، محمد بن إبراهيم الأنصاري (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، نخب الذخائر في أحوال الجواهر، د.ط، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

– الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد (ت٥٧٧هـ/١١٨١م)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ط٣، تح، إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء، ١٩٨٥م.

– ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي (ت٩٣٠هـ/١٥٢٣م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ط٢، ٥ج، تح، محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٨٢م.

– ابن بسام المحتسب، محمد بن أحمد، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، د.ط، تح، حسام الدين السامرائي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٨م.

–ابن البطريق، سعيد (ت٣٢٨هـ/٩٣٩م)، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، د.ط، ٢ج، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٩م.

– البطليوسي، أبو محمد عبدالله بن محمد (ت٥٢١هـ/١١٢٧م)، الإقتضاب في شرح أدب الكتاب، د.ط، ٣ج، تح، مصطفى السقا وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.م، ١٩٨١م.

–البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر (ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م)، الفرق بين الفرق، د.ط، تح، محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا، القاهرة، د.ت.

– البلوي، أبو محمد عبدالله بن محمد، سيرة أحمد بن طولون، د.ط، تح، محمد كرد علي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.

–البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت٤٣٠هـ/١٠٣٨م)، الآثار الباقية عن القرون الخالية، د.ط، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.

الجماهر في معرفة الجواهر، ط١، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٩٣٦م.

- البيهقي، ظهير الدين أبو الحسن علي بن زيد (ت٥٦٥هـ/١١٦٩م)، تاريخ حكماء الإسلام، د.ط، تح، محمد كرد علي، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٤٦م.

- التنوخي، أبو علي المحسن بن علي (ت٣٨٤هـ/٩٥٩م)، الفرج بعد الشدة، د.ط، ٢ج، يطلب من زكي مجاهد، الصنادقية، ١٩٣٨م.

جامع التواريخ المعروف باسم نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، د.ط، ٨ج، تح، عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٩٧٢م.

- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، ط١، ١٦ج، تح، محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.

مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، د.ط، ٢ج، تح، نبيل محمد عبد العزيز، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٩٩٧م.

- الثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن محمد (ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م)، آداب الملوك، ط١، تح، خليل العطية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠م.

الإعجاز والإيجاز، د.ط، المكتب العالمي للطباعة والنشر ودار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٢.

تحفة الوزراء، د.ط، تح، حبيب الراوي وابتسام الصفار، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٧م.

ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، د.ط.، المطبعة الظاهرية، القاهرة، ١٩٠٨م.

خاص الخاص، د.ط.، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

لطائف المعارف، د.ط.، تح، إبراهيم الأبياري، حسن كامل، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، د.ت.

- الجاجرمي، أبو المعالي المؤيد بن محمد (ت ق٧هـ/ق١٣م)، نكت الوزراء، د.ط.، تح، نبيلة عبد المنعم داود، بغداد، ١٩٨٤م.

- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، أخبار الحمقى والمغفلين، د.ط.، تح، كاظم المظفر، المكتبة الحيدرية ومطبعتها، النجف، ١٩٦٦م.

الأذكياء، د.ط.، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ت.

تلبيس إبليس، د.ط.، تح، د. آدم أبو سنينة، دار الفكر للنشر والتوزيع، الأردن، د.ت.

مناقب بغداد، د.ط.، تح، مهدي بهجت الأثري، دار السلام، بغداد، ١٩٣٠م.

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ط١، ١٨ج، تح محمد عبد القادر عطا وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.

– ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م)، جمهرة أنساب العرب، د.ط، تح عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، ١٩٦٢م.

– الحسن بن عبد الله (ت ق ٨هـ/ق ١٤م)، آثار الأول في ترتيب الدول، د.ط، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٨٨٣م.

– ابن حمدون، محمد بن الحسن (ت ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م)، التذكرة الحمدونية، ط١، تح د. إحسان عباس، معهد الإنماء العربي، بيروت، ١٩٨٣م.

– ابن حوقل، أبو القاسم محمد (ت ٣٦٧هـ/ ١٩٧٧م)، صورة الأرض، د.ط، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

– أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (ت ٤٠٠هـ/ ١٠١٢م)، الإمتاع والمؤانسة، د.ط، ٣ ج، تح أحمد أمين وأحمد الزين، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

الذخائر والبصائر، د.ط، ٤ ج، تح د. إبراهيم الكيلاني، د.ن، د.ت.

– ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٣٠٠هـ/ ٩١٢م)، المسالك والممالك، د.ط، ليدن، مطبعة بريل ١٩٦٧م.

– الخزاعي، علي بن محمد (ت٧٨٩هـ/١٣٨٧م)، تخريج الدلالات السمعية في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعملات الشرعية، ط١، تح، إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٠م.

– الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ط١، ٢٤ج، تح، مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

- الخفاجي، أحمد بن محمد (ت١٠٦٩هـ/١٦٨٤م)، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، د.ط، المطبعة الوهبية، القاهرة، ١٨٦٥م.

- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، د.ط، ٧ج، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٧١م.

- ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ط١، ٤ج، تح، رياض عبدالله، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٩٩٧م.

- الخوارزمي، أبو عبدالله محمد بن أحمد (ت٣٧٨هـ/٩٩٧م)، مفاتيح العلوم، د.ط، تح، جرلون فان فولتن، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٦٨م.

- ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن الحسن (ت٦٧٤هـ/١٢٧٥م)، النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، ط١، تح، مديحة الشرقاوي، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ٢٠٠١م.

- ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم بن محمد (ت٨٠٩هـ/١٤٠٦م)، الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، ط١، تح، كمال الدين عز الدين علي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٥٨م.

- الديار بكري، حسين بن محمد (ت٩٦٦هـ/١٥٥٨م)، تاريخ خميس في أحوال أنفس نفيس، ط١، ٢ج، مطبعة عثمان عبد الرزاق، د.م، ١٨٨٤م.

- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ط١، تح، عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩١م.

دول الإسلام، ط٢، ٢ج، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٩٤٤م.

سير أعلام النبلاء، ١٧ج، ط١، تح، محب الدين أبو سعيد عمر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٧م.

العبر في خبر من غبر، د.ط، ٢ج، تح، أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت .

- ابن رجب، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد، (ت٧٩٥هـ/١٣٩٢م)، الاستخراج لأحكام الخراج، ط١، تح جندي شلاش، مكتبة الرشد، الرياض، ١٩٨٩م.

- ابن أبي الربيع، أحمد بن محمد (ت٦٨٨هـ/١٢٨٩م)، سلوك المالك في تدبير الممالك، ط١، تح، ناجي التكريتي وآخرون، بيروت، باريس، ١٩٧٨م.

-ابن رستة، أبو علي أحمد بن عمر (ت٢٩٠هـ/٩٠٢م)، الأعلاق النفيسة، د.ط، ليدن، مطبعة بريل، ١٨٩١م.

- ابن رضوان، أبو القاسم بن يوسف (ت٧٨٣هـ/١٣٨١م)، الشهب اللامعة في السياسة النافعة، ط١، تح، علي سامي النشار، دار الثقافة، المغرب، ١٩٨٤م.

- الزبيدي، أبو الضيا عبد الرحمن بن علي (ت ٩٤٣هـ)، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، د.ط، ٢ ج، تح، محمد بن علي الأكوع، المطبعة السلفية ومطبعتها، القاهرة، د.ت.

- الزبيدي، محمد المرتضى الحسيني (ت ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م)، تاج العروس من جواهر القاموس، د.ط، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٧٤م.

– ابن الزبير، الرشيد (ت ق٥هــ/ق١١م)، الذخائر والتحف، د.ط، تح، محمد حميد الله، الكويت، ١٩٥٩م.

– زكار، سهيل، تاريخ أخبار القرامطة، د.ط، مؤسسة الرسالة، دار الأمانة، بيروت، ١٩٧١م.

– ابن الساعي، تاج الدين أبو طالب علي بن أنجب (ت٦٧٤هــ/١٢٧٥م)، نساء الخلفاء المسمى أمهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء، ط٢، تح، مصطفى جواد، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

– ابن سعيد، علي بن موسى (ت٥٥٤هــ/١١٥٩م)، المُغرب في حلى المَغرب، د.ط، ٢ج، تح، زكي محمد حسن وآخرون، مطبعة جامعة فؤاد الأول، مصر، ١٩٥٣م.

–السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هــ/١٥٠٥م)، تاريخ الخلفاء، د.ط، تح، محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٥٢م.

– الشابشتي، أبو الحسن علي بن محمد (ت٣٨٨هــ/٩٩٨م)، الديارات، ط٢، تح، كوركيس عواد، مكتبة المثنى، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٦م.

–الشريشي، أبوالعباس أحمد بن عبد المؤمن (ت٦١٩هــ/١٢٢٢م)، شرح مقامات الحريري، د.ط، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشروالتوزيع، مطبعة المدني، القاهرة، د.ت.

– الشيزري، عبد الرحمن بن عبد الله (ت٥٨٩هــ/١١٩٣م)، المنهج المسلوك في سياسة الملوك، ط١، تح، علي عبد الله الموسى، مكتبة المنار، الأردن، ١٩٨٧م.

- الصابي، أبو الحسين هلال بن المحسن (ت٤٤٨هـ/١٠٥٦م)، رسوم دار الخلافة، د.ط، تح، ميخائيل عواد، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٤م.

غرر البلاغة، ط١، ٢ج، تح، أسعد ذبيان، دار الكلمة العربية للدراسات والتوزيع، بيروت، ١٩٨٣م.

المنتزع من كتاب التاجي، د.ط، تح، محمد حسين الزبيدي، د.ن، د.م، د.ت.

الوزراء، أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، د.ط، تح، عبد الستار فراج، دار إحياء الكتب العربية، د.م، ١٩٥٨م.

- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، رسائل الصفدي، (بلا).

الوافي بالوفيات، ط٢ ،٢٢ج، باعتناء محمد الحجيري، دار صادر، بيروت، ١٩٩٢.

- الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى (ت٣٣٥هـ/٩٤٦م)، أخبار الراضي بالله والمتقي لله، أو تاريخ الدولة العباسية من سنة (٣٢٢-٣٣٣هـ) من كتاب الأوراق، ط٢، عني بنشره، هيورث دن، دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٩م.

قسم من أخبار المقتدر بالله، أو تاريخ الدولة العباسية من سنة (٢٩٥-٣٢٠هـ) من كتاب الأوراق، د.ط، تح، خلف رشيد نعمان، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٩م.

أدب الكتاب، د.ط، تح، أحمد حسن بسج، دار الكتب العلية، بيروت، ١٩٩٤م.

– ابن الصيرفي، أبو القاسم علي بن منجب (ت٥٤٢هـ/١١٤٧م)، قانون ديوان الرسائل، ط١، تح، أيمن فؤاد السيد، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٠م.

–الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، تاريخ الأمم والملوك، ط٢، ٦ج، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.

– الطرسوسي، إبراهيم بن علي (٧٥٨هـ/١٣٥٦م)، تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك، ط١، تح، عبد الكريم مطيع الحمداوي، دار الحق، بيروت، دار الشهاب، دمشق، ٢٠٠٠م.

– ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ط١، تح، عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي، حلب، ١٩٩٧م.

– ابن ظافر الأزدي، علي (ت٦١٣هـ/١٢١٦م)، أخبار الدول المنقطعة، د.ط، ٢ج، تح، عصام الهزايمة وآخرون، دار الكندي، إربد، ١٩٩٩م.

– ابن ظفر المكي، أبو عبد الله محمد بن أبي محمد (ت٥٦٥هـ/١١٦٩م)، أنباء نجباء الأبناء، ط١، تح، لجنة إحياء التراث العربي، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٠م.

– عباس، إحسان (محقق)، شذرات من كتب مفقودة في التاريخ، د.ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م.

– عبد المنعم، فؤاد (محقق)، المجموع في السياسة، د.ط، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، د.ت.

– ابن العبري، أبو الفرج بن هارون (ت٦٨٥هـ/١٢٨٧م)، تاريخ مختصر الدول، د.ط، دار المسيرة، بيروت، د.ت.

– أبو عبيد، القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ/٨٣٨م)، الأموال، د.ط، تح، محمد خليل مهراس، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، د.ت.

– عريب بن سعيد القرطبي (ت ق ٤هـ/ق ١٠م)، صلة تاريخ الطبري، د.ط، ليدن، مطبعة بريل، ١٨٩٧م.

– ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسين (ت٥٧١هـ/١١٧٥م)، تاريخ مدينة دمشق، د.ط، ٨٠ج، تح، صلاح الدين المنجد، محمد أحمد دهمان، المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٥٤م.

– علي بن خلف، مواد البيان، د.ط، تح، حسين عبد اللطيف، منشورات جامعة الفاتح، ١٩٨٢م.

– العصامي، عبد الملك بن الحسين (ت١١١١هـ/١٦٩٩م)، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ط١، ٤ج، تح، أحمد عبد الجواد وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

– ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد (ت١٠٨٩هـ/١٦٨٦م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط١، ٩ ج، تح، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

– ابن العمراني، محمد بن علي (ت٥٨٠هـ/١١٤٨م)، الأنباء في تاريخ الخلفاء، د.ط، تح، قاسم السامرائي، ليدن، ١٩٧٣م.

– الغزالي، محمد بن محمد (ت٥٠٥هـ/١١١١م)، فضائح الباطنية، د.ط، تح، عبد الرحمن بدوي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٤م.

– الغزولي، علي بن عبد الله (ت٨١٥هـ/١٤١٢م)، مطالع البدور في منازل السرور، ط١، ٧ج، مطبعة إدارة الوطن، القاهرة، ١٨٨١م.

– أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي (ت٧٣٢هـ/١٣٣٣م)، المختصر في أخبار البشر، ط١ ،٢ج، تح، محمد ديوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

– ابن فضل الله العمري، أحمد بن يحيى (ت ٧٤٩هـ/١٣٦٥م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، د.ط، تح، أحمد زكي باشا، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٨٢م.

– الفيروز آبادي، أبو الطاهر محمد بن يعقوب (ت ٨٢٣هـ/١٤٢٠م)، القاموس المحيط، د.ط، ٢ج، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩١٣م.

– ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م)، عيون الأخبار، ٤ج، تح، محمد الإسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٤م.

المعارف، د.ط، تح، ثروت عكاشة، دار الكتب، د.م، ١٩٦٠م.

– القضاعي، أبو عبد الله محمد بن سلامة (ت٤٥٤هـ/١٠٦٢م)، عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف، د.ط، تح، عبد الرحيم محمد، دار الينابيع للنشر والتوزيع، د.م، ١٩٩٧م.

– قدامة بن جعفر (ت٣٢٨هـ/٩٣٩م)، الخراج وصناعة الكتابة، د.ط، تح، محمد حسين الزبيدي، د.ن، د.م، د.ت.

– ابن قدامة، أبو محمد عبد الله بن أحمد (ت٦٢٠هـ/١٢٢٣م)، المغني والشرح الكبير على متن المقنع، ط١، ١٤ج، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٤م.

– القرماني، أحمد بن يوسف (ت١٠١٩هـ/١٦١٠)، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، ط١، ٣ج، تح، أحمد حطيط وآخرون، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٢م.

– القفطي، أبو الحسن علي بن يوسف (٦٤٦هـ/١٢٤٨م)، تاريخ الحكماء وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات الملتقطات من كتاب العلماء بأخبار الحكماء، د.ط، مكتبة المثنى، بغداد، مؤسسة الخانجي، مصر، د.ت.

– القلقشندي، أحمد بن عبد الله (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ط١، ١٤ج، تح، محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١م.

مآثر الإنافة في معالم الخلافة، د.ط، تح، عبد الستار فراج، د.ن، الكويت، ١٩٦٤م.

– القمي، سعد بن عبد الله (ت٣٠١هـ/٩١٤م)، المقالات والفرق، د.ط، تح، محمد جواد مشكور، مطبعة حيدري، طهران، ١٩٦٣م.

– ابن الكازروني، أبو الحسن علي بن محمد (ت٦٩٧هـ/١٢٩٧م)، مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس، د.ط، تح، مصطفى جواد وآخرون، المؤسسة العامة للصحافة والنشر، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٧٠م.

– الكتبي، محمد بن شاكر (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، فوات الوفيات والذيل عليها، د.ط، ٤ج، تح، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت.

- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، البداية والنهاية، ط١، ١٤ج، تح، أحمد أبو ملحم وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م.

- الكرديزي، أبو سعيد عبد الحي بن ضحاك (ت أواسط ق ٥هـ/أواسط ق ١١م)، زين الأخبار، د.ط، تح، محمد بن تاويت، مطبعة محمد الخامس الجامعية الثقافية، فاس، ١٩٧٢م.

- الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف (ت بعد٣٥٥هـ/بعد٩٦٥م)، الولاة والقضاة، د.ط، تح، رفن كست، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م.

- ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد (ت ٢٧٣هـ/٨٠٩م)، تاريخ الخلفاء، د.ط، تح، محمد مطيع حافظ، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، د.ت.

- ماديلونغ، فيلفرد (محقق)، أخبار أئمة الزيدية في طبرستان وديلمان وجيلان، د.ط.، مطبعة المتوسط، بيروت، د.ت.

- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، د.ط، د.ن، بغداد، ١٩٨٩م.

- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)، التنبيه والإشراف، د.ط، تح، عبد الله الصاوي للطبع والنشر والتأليف، ١٩٣٨م.

مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط١، (٤ج)، تح، عبد الأمير علي مهنا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩١م.

الجزء الثامن، ط٢، تح، باربيه دومينار، ياوه دكورتل، مؤسسة مطبوعاتي إسماعيليان، طهران، ١٩٧٠م.

– المغلطاي بن قليج بن عبد الله (ت٧٦٢هـ/١٣٦٠م)، الإشارة إلى تاريخ المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفاء، د.ط، تح، محمد نظام الدين فتيح، دار القلم، دمشق، ١٩٩٦م.

– المقدسي، أبو زيد أحمد بن سهل (ت٣٢٢هـ/٩٣٣م)، البدء والتاريخ، د.ط، ٥ج، د.ن، باريس، ١٨٩٩م.

– المقدسي، أبو عبد الله محمد بن مفلح (ت ٣٨٠هـ/٩٩٩م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٢، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٠٦م.

– مسكويه، أبو علي، أحمد بن محمد (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م)، تجارب الأمم، د.ط، ٣ج، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.

– المقريزي، أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)، المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، د.ط، ٢ج، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.

المقفى الكبير، ط١، ٨ج، تح، محمد البعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩١م.

– ابن المعتز، أبو العباس عبد الله بن محمد (ت٢٩٦هـ/٩٠٨م)، ديوان ابن المعتز، ط١، تح، يوسف شكري فرحات، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٥م.

رسائل ابن المعتز في التقدم والأدب والإجتماع، ط١، تح، محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده مصر، ١٩٤٦م.

– ابن مماتي، أسعد بن مهذب (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م)، قوانين الدواوين، د.ط، تح، عزيز سوريال عطية، مطبعة مصر، مصر، ١٩٤٣م.

– ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم (ت٧١١هــ/١٣١١م)، لسان العرب، د.ط، ١٥ج، دار صادر، دار بيروت، بيروت، ١٩٥٦م.

– الموصلي، ياسين بن خير الله (ت١٢٣٢هــ/١٨١٧م)، الروضة الفيحاء في تواريخ النساء، ط١، تح، عماد علي حمزة، الدار العالمية للنشر والطباعة، د.م، ١٩٨٧م.

– مؤلف مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحقائق، د.ط، ٣ج، عمر السعيدي، د.ن، دمشق، ١٩٧٢م.

– ابن النديم، محمد بن اسحاق (ت٤٣٨هــ/١٠٥٦م)، الفهرست، ط١، تح، إبراهيم رمضان، دار الفتوى، دارالمعرفة، بيروت، ١٩٩٤م.

– النرشجي، أبو بكر محمد بن جعفر (ت٣٤٨هــ/١٠٤٦م)، تاريخ بخارى، د.ط، تح، أمين عبد الحميد وآخرون، دار المعارف، مصر، د.ت.

– النصيبي، أبو سالم محمد بن طلحة (ت٦٥٢هــ/١٢٥٤م)، العقد الفريد للملك السعيد، د.ط، مطبعة الوطن، القاهرة، ١٨٨٨م.

– النوبختي، أبو محمد الحسن بن موسى، فرق الشيعة، د.ط، تح، هــ. رنير، مطبعة الدولة، إسطنبول، ١٩٣١م.

– النويري، أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هــ/١٣٣٢م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، د.ط، تح، أحمد كمال زكي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢م.

– ابن هذيل، علي بن عبد الرحمن (ت ق٨هــ/ق١٤م)، عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٣٨م.

– أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله (ت ق٤هـ/ق١٠م)، الأوائل، د.ط، تح، محمد المصري، وليد قصاب، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٥م.

– الهمذاني، محمد بن عبد الملك (ت٥٢١هـ/١١٢٧م)، تكملة تاريخ الطبري، د.ط، تح، ألبرت يوسف كنعان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، د.ت.

– ابن الوردي، أبو حفص عمر بن مظفر (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، تاريخ ابن الوردي، ط١، ٢ج، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.

– ابن وهب، أبو الحسن إسحاق بن إبراهيم (ت بعد٣٣٥هـ/بعد٩٦٥م)، البرهان في وجوه البيان، ط١، تح، أحمد مطلوب وآخرون، جامعة بغداد، بغداد، ١٩٦٧م.

– اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد (ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ط١، ٣ج، تح، خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

– ياقوت الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، ط١، ٧ج، تح، عمر فاروق الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٩٩م.

معجم البلدان، د.ط، ٥ج، دار صادر، بيروت، د.ت.

– يحيى بن آدم (ت٢٠٣هـ/٨١٨م)، الخراج، د.ط، تح، أحمد شاكر، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٩٢٨م.

– اليعقوبي، أحمد بن إسحاق (ت٢٨٤هـ/٧٩٨م)، تاريخ اليعقوبي، د.ط، ٢ج، دار صادر، دار بيروت، بيروت، ١٩٦٠م.

مشاكلة الناس لزمانهم، ط١، تح، حليم ملورد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٦٢م.

– أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت١٨٢هـ/٧٩٨م)، الخراج، ط٤، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٩٧٢م.

المخطوطات:

– الكندي، أبو يوسف يعقوب بن اسحاق (ت٢٦٠هـ/٧٦٤م)، أخبار الدول، مخطوط مصور في الجامعة الأردنية عن مكتبة محمد علي يوسف الطعاني.

– محمد بن إبراهيم، الإكتفاء في أخبار الخلفاء، مخطوط مصور في الجامعة الأردنية، مركز الوثائق والمخطوطات مصور عن الخزانة العامة، الرباط، رقم الشريط (٥٩٦).

المراجع باللغة العربية:

– الباشا، حسن، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، د.ط، مكتبة النهضة، القاهرة، ١٩٥٧م.

– الحياري، مصطفى، الدواوين من كتاب الخراج وصناعة الكتابة لقدامة بن جعفر الكاتب، د.ط، نشر بدعم الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٨٦م.

– دائرة المعارف الإسلامية، ١٥ج، ترجمة محمد ثابت الفندي وآخرون، طهران، نسخة عن طبعة القاهرة، ١٩٣٣م.

- الدجيلي، خولة، بيت المال نشأته وتطوره من القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع الهجري، د.ط، مطبعة وزارة الأوقاف، بغداد، ١٩٧٦م.

- الدوري، عبد العزيز، تاريخ العراق الإقتصادي في القرن الرابع الهجري، ط٢، دار المشرق، بيروت، ١٩٧٤م.

دراسات في العصور العباسية المتأخرة، د.ط، مطبعة السريان، بغداد، ١٩٤٥م.

- ديمومبين، موريس غود، النظم الإسلامية، ط٢، ترجمة، فيصل السامر، صالح الشماع، دار النشر للجامعيين، القاهرة، ١٩٦١م.

- السامر، فيصل، ثورة الزنج، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧١م.

- السامرائي، حسام الدين، المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية خلال (٢٤٧-٣٣٤هـ/٨٦١-٩٤٥م)، د.ط.، مكتبة دار الفتح، دمشق، ١٩٧١م.

- السعداوي، نظير، نظام البريد في الدولة الإسلامية، د.ط، دار مصر للطباعة، مصر، ١٩٥٣م.

- شعبان، محمد عبد الحي، الدولة العباسية والفاطميون، د.ط، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨١م.

- العش، يوسف، تاريخ عصر الخلافة العباسية، ط١، راجعه ونقحه، محمد العش، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٢م.

- علبي، أحمد، ثورة الزنج وقائدها علي بن محمد، ط١، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦١م.

- عمر، فاروق، الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية (٢٤٧-٣٣٤هـ/٨٦١-٩٤٦م)، د.ط، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٩٧٣م.

- الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير، نظام الحكومة النبوية المسمى بالتراتيب الإدارية، د.ط، تح، حسن جعنا، د.ن، د.م، د.ت.

- متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، د.ط، ترجمة، عبد الهادي أبو ريدة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٠م.

- هنتس، فالتر، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، د.ط، ترجمة، كامل العسلي، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٧٠م.

- اليوزبكي، توفيق، الوزارة نشأتها وتطورها في الدولة العباسية (١٣٢-٤٤٧هـ)، ط٢، جامعة الموصل، مؤسسة دار الكتب، ١٩٧٦م.

المراجع باللغة الإنجليزية:

Bowen, Harold, The life and times of Ali Ibn Isa ”The Good Vizier”, Combridge, 1928.

Encyclopaedia of Islam, Vol. 3, Ed. 1, Leiden, Brill, 1936.

Muir, William, The Caliphate its rise, decline and fall, Beirut, Khayats, 1963.

الرسائل الجامعية:

– خزنة كاتبي، غيداء، الخراج (ضريبة الأرض) بين الواقع التاريخي والنظرية الفقهية من صدر الإسلام حتى نهاية العصر العباسي الأول، إشراف د.عبد العزيز الدوري، (رسالة دكتوراة)، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩٢م.

– الرفاعي، طلال جميل، المنزلة الخامسة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة لأبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي دراسة وتحقيق، إشراف د.حسام الدين السامرائي، (رسالة ماجستير)، أم القرى، السعودية، ١٩٨٣م.

– الكبيسي، حمدان، عصر الخليفة المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ) دراسة في أحوال العراق الداخلية، إشراف د. فيصل السامر (رسالة ماجستير)، جامعة بغداد، بغداد، ١٩٧٤م.

الدوريات

- الدوري، عبد العزيز، نشأة الإقطاع في المجتمعات الإسلامية، مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد، مج ٢٠، ١٩٧٠م، ص ٣-٢٤.
- العلوجي، عبد الحميد، كتاب الوزارات، مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد، مج ١٩، ١٩٧٠م، ص ١٤٩-١٦٤.